طبعة
مزيدة
ومنقّحة

كمَا تَدِينَ تُدَانَ

قصص حقيقية من واقع الحياة

(المجموعة الكاملة)

تأليف
سيد عبدالله سيد عبد الرحمن الرفاعي

الطبعة الثانية
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

شركة مكتبة المعارف المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لشركة مكتبة المعارف المتحدة الكويت. حولي. شارع المثنى، ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

الكتب التي تصدرها المكتبة تعبر عن آراء واجتهادات
أصحابها وليس بالضرورة تعبر عن رأي المكتبة

الناشر
شركة مكتبة المعارف المتحدة
الكويت - ص.ب ٥٩٩٤ - حولي
تلفاكس: ٠٠٩٦٥٢٦٦٨٨٠٨
ردمك: ISBN:978 - 99906 - 655 - 0 - 5
رقم الإيداع في مكتبة الكويت الوطنية: 277/2007

الإهداء

أهدي كتابي هذا إلى كل الإخوة الذين شجعوني على الكتابة والتأليف ، وإلى جميع الذين يتابعون مقالاتي ولم يبخلوا علي بالنصيحة . . . كما أهدي كتابي هذا إلي رفيقة دربي أم هاشم ، التي كانت نعم العون لي ، فجزاها الله خيراً وحفظها وأبقاها . . . اللهم آمين .

سيد عبدالله سيد عبدالرحمن الرفاعي

«أبو هاشم»

مقدمة الطبعة الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حمداً يليق بجلال قدره وعظيم سلطانه ، وصل اللهم وسلم على معلم البشرية الخير البشير النذير والسراج المنير محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله الطاهرين وصحابته الغر الميامين أفضل الصلاة والتسليم وعلى من اهتدى بهديه وسار على دربه إلى يوم الدين وبعد :

هذه طبعة جديدة من كتاب (كما تدين تدان) ولله الحمد والمنه على نعمته وتوفيقه وقد قامت بطباعته ونشره شركة (مكتبة المعارف المتحدة) وهي طبعه منقحة وفيها قصص جديدة زيادة على القصص السابقة أرجو أن تحوز على إعجاب القراء الكرام وإني أشكر الإخوة القائمين على إدارة شركة (مكتبة المعارف المتحدة) على حرصهم الشديد لاظهار هذه الطبعة بصورة جميلة وفقهم الله تعالى لعمل الخير وسدد خطاهم .

وإني أرجو الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وقارئه وأن يغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب .

سيد عبدالله سيد عبدالرحمن الرفاعي

أبو هاشم

في يوم الخميس : ١٠ من ربيع الأول ١٤٢٨هـ

الموافق : ٢٩ من مارس ٢٠٠٧م

الجزء الأول

صور مشرقة لرجال من بلدي

صور مشرقة لرجال من بلدي

هذه قصص واقعية تدل على طيبة أهل الكويت وحبهم لعمل الخير سواء في ماضي وتاريخ هذا البلد أو حاضره نذكر من خلالها أفعالهم الطيبه وصنائعهم العظيمة وتنافسهم في طلب الأجر والثواب من الله عز وجل ، نذكر قصص هؤلاء العظام ونطالع أخبارهم ومآثرهم ونبرز من خلال سيرهم صور مشرقة تكون لنا قدوة حسنة نقتدي بها في فعل الخير .

١ ـ المحسن المجهول .

٢ ـ عظماء من بلدي .

٣ ـ كرم الأنبعي وأمانة البدوي .

٤ ـ تفقد ذوي القربى .

٥ ـ إكرام الجار .

٦ ـ فضل الصدقة على ذوي القربى .

٧ ـ أهل المعروف .

٨ ـ التكافل في المحن .

٩ ـ الصدقة بعشر أمثالها .

المحسن المجهول

محمد من أهل الكويت كان فقيراً معدماً وهو من عائلة ذات عز إلا أن الأيام جارت عليه واجتهد كثيراً في أن يخفي عدمه ويستر فقره أخفى ذلك حتى عن أقربائه وبني عمه .

وفي ليلة من الليالي كان القمر في المحاق (المحاق آخر الشهر الهجري) سمع طرقاً على الباب ولما فتح الباب رأى بالباب رجلاً طويلاً عليه عباءة رثه سوداء كسواد الليل قد قبع بها ، فوقف محمد أمام الرجل مشدوهاً من هيئته ، فمد الرجل يده إلى محمد بصرة فيها نقود ثم أدبر مهرولاً . فناداه محمد يريد أن يعرف من هو ولكن الرجل المجهول أختفى في ظلمات الليل البهيم .

وقف محمد برهه مشدوهاً مما حدث ، ثم دخل بيته وفتح الصره فإذا فيها مبلغ من المال ولكن محمد لم ينشغل بالمال بل أخذ يفكر بمن أعطاه المال فاعل الخير المجهول كيف عرف حاجته مع أنه كان يخفي أمره عن الناس ، أخذ محمد المبلغ وصرفه في حاجته ودعا لفاعل الخير . وفي المحاق الذي يليه جاء الرجل المجهول وطرق الباب وطلب محمداً ودفع له الصرة كما فعل في المرة الأولى وادبر مسرعاً وحاول محمد اللحاق به لكن الرجل كان سريعاً وأختفى خلف ستار الليل المظلم ولم يستطع محمد أن يعرف الرجل .

عاد محمد إلى بيته ورضي بما قسمه الله تعالى له وأخذ يكثر بالدعاء لفاعل الخير ، ودام الحال على ذلك مرات ومرات . لكن حب الاستطلاع في محمد

ألح عليه وأصر على أن يعرف من هذا المجهول وعزم على أن يمسك بيد الرجل حين يناوله الصرة ويبذل ما في وسعه كي لا يفر منه وكان محمد قوي البنية .

وفي الليلة المعنيه ليلة محاق القمر جاء الرجل المجهول كعادته وطرق الباب فخرج إليه محمد ولما مد المجهول يده بالصره أمسك محمد بالصرة واليد وحاول الرجل المجهول أن يتخلص من يد محمد فلم يستطيع لأن محمد كان أقوى منه .

عرف محمد من هو الرجل المجهول ولقد كان الأمر مفاجئاً له إن هذا الرجل المجهول فاعل الخير الرجل الكريم الذي تعود أن يتفقد كل عزيز ذل في قومه ويمد له يد العون ويتعدى بره كل غني وفقير لقد كان هذا الرجل المجهول أمير البلاد يومئذ الشيخ (سالم بن مبارك الصباح) رحمه الله ، الرجل التقي الصالح الذي لم يترك مكرمة إلا كان من السابقين إليها .

قال الشيخ سالم بن مبارك لمحمد : لقد عرفتني ولكني أقسم عليك بالله أن تخفي أمري هذا معك حتى يأتي وعد الله .

تأثر محمد كثيراً مما حدث وذلك أن يأتي أمير البلاد متخفياً في هذه الليالي المظلمة يتنكر بأفقر زي وأوهن ملبس يسير في الدروب وحده أثر ذلك في نفس محمد فرق قلبه ودمعت عيناه وقال للشيخ سالم : أقسم بالله العلي العظيم أن أمرك هذا سيبقى سراً اللهم إلا إذا عشت بعدك ، فسأحكيه للناس أرجو أن يكون لمن بعدك فيه عبرة .

في يوم ١٥ من جمادي الآخرة سنة ١٣٣٩هـ مات الشيخ سالم بن مبارك الصباح رحمه الله وفقد كثير من الناس العطف الذي كانوا يرونه من المحسن المجهول ، وهنا أذاع محمد سر الرجل المجهول وكشف للناس عن اسمه وشخصه

وكان الناس فقدوا ذلك المحسن منذ أن فقدوا أميرهم وترحموا على المحسن المجهول على ذلك الأمير الراحل والأب البار والحاكم العادل .

إن من الذين يظلهم الله في ظله إمام عادل أي حاكم عادل يحرص على رعيته يتفقدهم ويرعاهم ويرفق بهم .

قال الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ (المائدة) .

قال رسول الله ﷺ : «ما من أمير عشرة إلا وهو يؤتي به يوم القيامة مغلولا حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور» .

عظماء من بلدي

في سنة ١٢٨٥هـ حصلت مجاعة شديدة في الخليج ، أشدها تلك المجاعة التي سميت (الهيلك) وقد أكلوا في تلك المجاعة دماء البهائم وجلودها وميتتها ، وامتدت المجاعه تلك إلى بلاد شاسعة هي ما بين أواسط الفرات في العراق حتى الاحساء في الجنوب وكذا البلاد الواقعه على الساحل الشرقي في الخليج العربي . وعند حدوث هذه المجاعة شمر تجار الكويت واغنيائها عن سواعدهم وظهر معدنهم الطيب وأخذوا يشركون الفقراء في طعامهم وأشتهر من هؤلاء الكرماء في ذلك العهد رجلان كريمان هما : يوسف بن بدر ، ويوسف الصبيح اتخذ كل واحد منهما بيتا يطبخ فيه الأرز ويطعمه للفقراء والجائعين ويجهز فيه الموتى بما يحتاجون إليه من تجهيز .

وفي سنة ١٩١٤م قامت الحرب العالمية الأولى وحوصر كثير من البلاد وكانت أيام شديدة عانى فيها الناس معاناة قاسيه . وفي سنة ١٩١٦م وقعت مجاعة شديدة لاسيما في العراق وسوريه وكان أهل الكويت دائماً سباقون في عمل الخير يرجون رحمة ربهم فلما رأوا ما يحدث لإخوانهم في العراق وسوريه مدوا يد العون لهم بالأطعمة المستوردة بسفن الكويت القادمة من الهند وأفريقيا ومع شدة المجاعة التي اشتدت وطأتها على جميع بلاد الشام إلا أنه لم يمت فيها أحد جائعاً بفضل الله ونعمته ثم بفضل الجهود التي بذلتها الكويت وأهلها في سبيل توفير الأطعمة لأهل بلاد الشام لقد جاد الكرام بما من الله عليهم من الخير

وآسوا الضعفاء وأطعموا الجياع وكسوا العراة وتفقدوا من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف فأرسلوا إليهم بالأموال والطعام بلا من ولا أذى .

ومن أولئك الأجواد الكرماء (حمد بن عبدالله الصقر) فقد تصدق يوماً من الأيام بشحنه سفينة من الأرز تفقد فيها أهل الحاجة فانفقها عليهم في يومين اثنين عمل هذا العمل لوجه الله لا يريد من غيره جزاء ولا شكور لقد أنفق كل هذا على أهل بلده راجياً من الله الثواب وسيجد جزاء ذلك العمل الطيب الخبر الوفير عند الله تعالى .

ولو أردنا أن نحصى أهل الفضل في هذا البلد الطيب المعطاء وخاصة في أوقات المحن لما استطعنا لأنهم كثر ولا أبالغ إن قلت إنهم الجل وإن الشحيح البخيل فيهم قليل أو أقل من القليل . هذه أخلاق وصفات أهل الكويت منذ القدم فالكرم والجود من أخلاقهم والطيبه والرحمة من صفاتهم وأحب عمل إليهم هو مساعدة الغير ولا يزالون ولله الحمد في إبراز هذه الصفات الحميدة وها هي الجمعيات الخيرية وبيت الزكاة تشهد على ما أقول فلقد عمت أعمالهم وتبرعاتهم شتى أقطار العالم وذلك كله طمعاً لما عند الله من الخير .

قال الله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

قال رسول الله ﷺ : «من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسير خمسمائة عام» .

منصور الأنبعي.. وأمانة البدوي

كان العم (منصور الأنبعي) رحمه الله تعالى جالساً في دكانه كعادته فأقبل إليه جاره من عائلة الخليفة المعروفين بالقصاصيب الذين اشتهروا بالجزارة وبيع اللحوم ، وسلم عليه وقال له : أن هناك بدوى من أهل البادية يريد أن يشتري نعجة وليس لديه مال لشرائها قال العم (منصور الانبعي) أبعثه لي .

فجاء البدوي إليه وكان ضعيف الحال رث الثياب قد بدت عليه علامات الفقر .

سأله (منصور) : أنت الذي تريد شراء النعجه .

البدوي : نعم .

منصور : وما حاجتك لشرائها وأنت لا تملك ثمنها .

البدوي : كي استفيد من لبنها واستعين بها على ما أنا فيه من الفقر .

فتح منصور صندوق النقود وأخرج منه مبلغ من المال ومده إلى البدوي قائلاً له : خذ واشتري نعجتك .

البدوي : هذا المبلغ دين في رقبتي واجب علي سداده ولنكتب ذلك في ورقة بيني وبينك .

قال منصور : كلامك يكفي عن الورقة وأنت مخير في رد المبلغ وعسى الله أن يبارك لك في مالك وولدك .

شكر البدوي العم (منصور الابنعي) ودعا له وسأله عن سكنه فوصف له مكان بيته ، ثم ذهب البدوي وهو يدعو للعم منصور واشترى النعجه وعاد راشداً إلى باديته .

وبعد مرور سنة من الحادثة وفي فصل الربيع جاء البدوي إلى بيت (منصور الابنعي) ومعه دهن واقط ولما فتح الباب منصور رحب بالبدوي وادخله إلى الديوان وشكره على هديته وسأله عن حاله فقال البدوي : لقد بارك الله لي في النعجة وصار عندي ثلاث نعاج وهذا من فضل الله على ثم من جودك وكرمك .

وبعد أن أكل وشرب رحل البدوي عائداً إلى باديته .

ومرت الأعوام وكان البدوي وفياً في عهده صادقاً في كلامه فكان كل سنه وفي فصل الربيع يأتي إلى بيت منصور ويعطيه دهن واقط ويخبره عن الاغنام وكان منصور يشكره ويدعو له ولا يسأله عن شيء ابداً .

وبعد مرور عشرون عاماً توفي العم (منصور الابنعي) ولم يكن أحد من أهله وولده يعلم بما بينه وبين البدوي .

وجاء البدوي كعادته في فصل الربيع وطرق الباب ففتح له أحد أولاد منصور فقال البدوي : من أنت؟

قال : أنا أحمد ولد منصور الابنعي .

قال البدوي : وأين والدك .

قال أحمد : لقد مات رحمه الله عليه .

بكى البدوي وترحم على منصور الابنعي ، ولما دخل إلى الديوان .

قال لأحمد : اسمع يا ولدي أريد أن أخبرك بقصة حدثت بيني وبين أبوك منصور رحمة الله عليه .

قال أحمد : أرتاح الآن في الديوانيه وتناول معنا طعام الغداء ثم حدثنا بقصتك .

وبعد أن أكل البدوي الطعام وأرتاح قليلاً جلس هو وأحمد بن منصور الانبعي وقص عليه ما حصل بينه وبين والده .

فقال أحمد : والآن كم صار عدد النعاج لديك؟

قال البدوي : ثلاثمائة نعجة ولله الحمد وهذا كله بفضل الله تعالى ثم فضل والدك منصور الانبعي رحمة الله عليه .

قال أحمد : اسمع يا عم أنا ليس وحدي وعندي أخوان وأخوات استشيرهم بهذا الأمر ثم أخبرك وأنت اجلس عندنا هنا على الرحب والسعه .

قال البدوي : جزاك الله خيراً بل سأرحل وأعود إليك بعد يومين .

ذهب البدوي ولسانه يلهج بالدعاء لمنصور الانبعي .

بعد يومين جاء البدوي وجلس مع أحمد .

قال أحمد : اسمع يا عم لقد اتفقنا على أن تبيع النعاج التي تخصنا وتأتينا بالمال وأما ما عدى ذلك فهو لك حلال عليك .

قال البدوي : جزاكم الله خير ورحم الله والدكم وأنا سوف أبيع النعاج وآتيكم بالمال إن شاء الله تعالى .

خرج البدوي عائداً إلى أهله ، وبعد مضي شهر أو أكثر جاء إلى بيت منصور الانبعي وجلس مع ولده أحمد .

وقال البدوي : لقد بعت النعاج ونصيبكم في البيع سبعة عشر ألف ريال هي لكم حلال عليكم وجزاكم الله خيراً ورحم والدكم وادخله فسيح جناته فقد كان سبباً في ما أنا فيه من نعمة وخير بعد أن كنت معدماً لا أجد قوت يومي .

قال أحمد : جزاك الله خيراً على أمانتك وحفظك للعهد وزادك من نعيمه .

وتعانقا الاثنان وكل منهما يدعو للآخر وذهب البدوي وهو راضي النفس مطمئن القلب وودعه أحمد وشكره على حسن أمانته .

هذه القصة تدل دلالة واضحة على طيب أهل هذا البلد الطيب وحبهم لفعل الخير ومساعدة الآخرين دون من ولا أذى بل كل ما يرجونه القبول عند رب العالمين . وتدل هذه القصة على أمانتهم وحفظهم للعهود وخوفهم من الله في السر والعلن إنها صورة مشرقة ناصعه جليه تدل على حب التعاون والأمانة .

قال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (البقرة : ٢٦١) .

قال رسول الله ﷺ : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» رواه مسلم .(*)

(*) روى لي هذه القصة الأخ محمد صقر الجاسر . .

تفقد ذوي القربى

هذه قصة أخرى تروى لنا مآثر العم (جاسم فهد الفوزان) رحمه الله حيث أنه من الذين حبب الله إليهم فعل الخير ومساعدة الآخرين وأسعد لحظاته وأمتعها إدخال السرور على إخوانه المسلمين وخاصة على ذوي القربى من أهله .

كان العم (جاسم الفوزان) يذهب إلى مزرعته في الفنطاس يتفقدها ويريح نفسه بين أشجارها وهؤاها الطلق وفي عودته من المزرعة يحمل معه بعض الخضروات من التي يزرعها في المزرعة يوزعها على أقربائه وأصدقائه ومعارفه ، وفي مرة من المرات جاء إلى منزل أحد أقاربه حاملاً معه صندوق من الخضروات فأستقبله صاحب المنزل مرحباً به ومسروراً بزيارته وأدخله إلى حوش المنزل وجلس مع قريبه يتجاذبان أطراف الحديث ولاحت ألتفاته من العم (جاسم الفوزان) إلى زاوية من زوايا الحوش فرأى ثلاجة مركونه في الزاوية فسأل قريبه عن سبب ترك هذه الثلاجة في الحوش .

فقال له : أنها لا تعمل ، بعد ذلك خرج العم (جاسم الفوزان) شكراً قريبه على حسن استقباله وكرم ضيافته وقبل أن يركب سيارته سأل قريبه بعض الأسئلة الغير مباشرة مستوضحاً منه عن عنوان بيته ثم ذهب .

يقول قريبه وبعد يومين من موعد زيارته لي كنت جالساً في المنزل مع أهلي

وإذا بجرس الباب يقرع فلما فتحت الباب وإذا بسيارة أحدى الشركات تحمل ثلاجة كبيرة وجديدة وسألني سائق السيارة هذا بيت فلان ذاكراً اسمي .

قلت : نعم ، قال : هذه الثلاجة لكم .

فقلت : ولكني لم أشتري ثلاجة منكم !!

قال : هذه الثلاجة لك من رجل اسمه (جاسم الفوزان) .

فعلمت أن العم جاسم كعادته مع أقربائه ومعارفه هو من اشترى الثلاجة قلت جزاه الله خيراً على عمله الطيب وحبه لعمل الخير .

هكذا هم الذين يحبون فعل الخير يفعلونه دون أن يحثهم أحد على فعله لأنهم يعشقون ذلك ويسعون إليه ويفعلونه دون أن يشعر بهم أحد خوفاً من الرياء والسمعه .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ (البقرة : ٢٧٢) .

قال رسول الله ﷺ : «الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله عليكم، ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها مدلاة في الأرض فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة ، ألا وإن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة» رواه الطبراني .

إكرام الجار

أراد أحد الناس أن يبدأ بمشروع تجاري يستفيد منه وينمي أمواله ويكون من أصحاب الأموال ولكن كيف يحقق حلمه ولا يملك من المال ما يبدأ به مشروعه فليس لديه رأس المال الذي يقوم بهذا الغرض وبعد تفكير عميق لم يجد إلا أن يقترض من أحد البنوك ووافق البنك على أقراضه على أن يرهن وثيقة البيت لديه وعلى أن يسدد المبلغ بعد مده محدده بالاتفاق بين المستدين والبنك ، واستلم الرجل المبلغ وشرع في مشروعه التجاري وأخذ يعمل بكل طاقته ويواصل الليل بالنهار كي ينجح مشروعه إلا أن الحظ لم يحالفه وخسر المال وفشل المشروع وذهب كل شيء مع الريح ، وصار المسكين في حيرة من أمره لا يدري ماذا يفعل وأغلق على نفسه باب بيته وعند حلول موعد سداد المبلغ أرسل إليه البنك كتاب يذكره بموعد السداد ولكــنه لا يملك ما يسترد به المبلغ وهنا قرر البنك الحجز على البيت وإعلان بيعه بالمزاد كي يسترد والبنك حقه ، ووافقه الرجل على مضض لأن ليس له حل إلا هذا ، وقام البنك بأجراء اللازم وحدد يوم البيع وفي هذا اليوم خرج (جاسم فهد الفوزان) من بيته وكان جار للرجل فرأى جلبه عند بيت جاره لم يعهدها من قبل فأمسك بأحد المتواجدين وسأله عن سبب هذا التجمع وهذه الضجه فأخبره بأن البيت معروض للبيع في المزاد وهؤلاء الناس متجمعون بانتظار فتح المزاد . فسأل (جاسم الفوزان) عن سبب بيع البيت بالمزاد فعلم أن جاره قد اقترض من البنك مبلغاً من المال وأنه لم يستطع أن يوفى

بالسداد ، هنا أسرع (جاسم الفوزان) إلى المسؤول عن المزاد وأمره بوقف البيع وأنه سوف يقوم بسداد المبلغ ثم ذهب مسرعاً إلى البنك وسدد المبلغ المطلوب وأخذ وصل السداد ووثيقة البيت وذهب إلى جاره وسلمه وثيقه البيت ووصل السداد وقال له : لقد سددت عنك المبلغ وأنت سدد لنا متى شأت وعلى كيفك دون أن تضيق على نفسك ، واسكن في بيتك معزز مكرم وإذا أحتجت أي شيء فأنا على أتم الاستعداد .

شكر الجار (جاسم الفوزان) على خلقه الحميد وكرمه وبره وعاهده على أن يقوم بالسداد .

هذه صورة مشرقة بهيه تدل على كرم أهل الكويت وإنهم يد واحده يكفل بعضم بعضا ، إن الإحسان إلى الناس من الأعمال العظيمة وثواب الإحسان عظيم وخاصة مع الجار .

قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» رواه الشيخان .

(*) حدثني بهذه القصة العم (خالد العنجري) رحمه الله رحمة واسعة .

فضل الصدقة على ذوي القربى

كان خالد يسير في سيارته في أحد شوارع الكويت عائداً من عمله متجهاً إلى بيته كي يستريح بعد عناء العمل حيث أنه يعمل موظفاً حكومياً في أحدى وزارات الدولة وفجأة شعر بأن الأرض قد لفت به ولم يدرك ما حدث له إلا مع جلبة الناس وتجمعهم فأخذ ينظر إليهم وسمع أحدهم يقول : الحمدلله على السلامة الذي أنجاك لقد كدت أن تتحطم مثل السيارة لولا لطف الله نظر خالد إلى سيارته فإذا هي مهشمة وإذا بجانبها سيارة نقل كبيره فعلم أن سيارة النقل قد حطمت سيارته وذهب مع صاحب السيارة إلى المخفر وتم إجراء اللازم .

عاد خالد إلى منزله وهو يحمد الله على السلامة وأخذ يفكر في حاله كيف يشتري سيارة أخرى من أين له بالمال وهو موظف بسيط ويعول أسرة كبيرة واحتار كيف يصنع ومن أين يأتي بالمال . علم (جاسم الفوزان) صاحب الايادي البيضاء الذي يتفقد المحتاجين من أقربائه وأهل بلده وغيرهم من المسلمين علم بما حدث لخالد وهو قريب له ويعلم أنه موظف ضعيف الحال محدود الدخل يعول أسرة فقرر أن يساعده .

وفي يوم الأيام كان خالد جالساً في بيته مع زوجته وبين أولاده وإذ بجرس الباب يقرع ، فقام وفتح الباب وإذا بولد جاسم الفوزان واقفاً أمامه تعلو وجهه ابتسامة فرحب به خالد وأدخله إلى غرفة الضيوف وسأله عن أبيه وعائلته ثم استأذنه .

عاد خالد حاملاً ابريق الشاي وجلس مع ضيفه يحتسون الشاي ويتبادلون

أطراف الحديث ، وبعد ذلك قام ولد جاسم الفوزان مستأذناً وشكر خالد على حسن ضيافته وجميل استقباله وعند خروجه من البيت قال لخالد : تفضل ومده يده بمفاتيح .

قال خالد : ما هذا؟ !

قال : هذه مفاتيح هذه السيارة الواقفة أمامك .

قال خالد : هذه السيارة . . لي؟ !

قال : نعم .

قال خالد : ولكن من أين؟ !

قال : هذه السيارة هدية لك من الوالد بدل سيارتك التي تحطمت غمرة الفرحة خالد وأخذ يضم ولد جاسم الفوزان إليه ورفع يديه يدعو لجاسم الفوزان بالخير والتوفيق ، ثم ودع ضيفه ولسانه يلهج بالشكر والثناء والدعاء له ولوالده .

نظر خالد إلى سيارته الجديدة فنشرح صدره لما رآها فإذا هي سيارة كبيرة من نوع (بوكس) من الموديلات الحديثة سُر خالد كثيراً ودخل إلى بيته فرحان وأخبر زوجته وأولاده فرفعوا أكفهم يدعون لجاسم الفوزان .

قال الله تعالى : ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ (البقرة :١٧٧) .

قال رسول الله ﷺ : «يا أمة محمد والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابه محتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة» رواه الطبراني .

(*) قص علي هذه الحادثة العم (بدر عبداللطيف الفوزان) رحمه الله تعالى .

أهل المعروف

أصطف المصلون لأداء صلاة المغرب في أحد المساجد المنتشرة في أرجاء دولة الكويت وبعد الانتهاء من الصلاة قام أحد المصلين وطلب من الحضور الاستماع إلى أحداث هذه القصة الحزينة .

فقال : سوف أروي لكم مأساة أسرة فقيرة تعاني من شظف العيش كانت هذه الأسرة تسكن في شقه وكان رب الأسرة يقوم بواجباته تجاه أسرته قدر استطاعته وكان أجره الذي يتقاضاه من عمله لا يكاد يوفي بالتزاماته الأسرية فهو يسدد منه إجار الشقه والباقي يصرفه على أسرته وما أن ينتصف الشهر حتى يكون الراتب قد نفد وتقضي الأسرة باقي أيام الشهر بضنك وشدة ولكنهم راضين بما قسمه الله تعالى لهم ، وفجأة حدثت فاجعة أليمة زلزلت أركان الأسرة الفقيرة فقد طرد رب الأسرة من عمله وبذلك انقطع راتبه وأحتار ماذا يفعل ومن أين يعيل هذه الأسرة المكونة من زوجه وأبناء صغار أصغرهم طفل رضيع يتغذى على لبن أمه ، وأخذ رب الأسرة يطرق الأبواب بحثاً عن عمل ولكن دون جدوى .

وعند نهاية الشهر حدثت مصيبة أخرى لقد جاء صاحب العماره يأخذ أجار الشقه كالعادة ، فقال له رب الأسرة : ليس معي شيء أدفعه لك حيث أني فصلت من عملي ولا أملك نقوداً .

كـان صـاحب العـمـارة من الذين قـست قلوبهم وتجـمـدت أحاسـيسـهـم وانتزعت الرحمة منهم فنظر إلى الرجل نظرة ملؤهـا القسوة وصرخ بأعلى صوته قائلاً : إما أن تدفع إجار الشقه وإلا تخرج بره ولك مهله اليوم فقط تدبر أمرك مفهوم . وانصرف وهو يزمجر كأنه ثور هائج .

وجلس رب الأسرة حيران رافعاً كفيه يدعو ربه أن ييسر أمره . وبعد تفكير جمع ما في شقته من أغراض بسيطه وقال لزوجته هيا هاتي الأولاد وأتبعوني وخرجت الأسرة من الشقه وسكنوا تحت سلم العمارة إلى أن يقدر الله أمراً . وفي الصباح جاء صاحب العمارة فرأى الأسرة الفقيرة وقد تكوموا تحت السلم ولم يرق قلبه لهذا المنظر الأليم بل زاد هياجه وعلا صراخه وقال : ماذا تفعلون هنا .

قال رب الأسرة : أين نذهب وليس لنا مأوى أو ملجأ .

قال : أذهبوا إلى الجحيم لا أريد أن أراكم في عمارتي هيا أذهبوا أذهبوا .

قال الرجل : حسناً ولكن أمهلنا بضعة أيام ندبر فيها حالنا .

قال : هما يومان لا ثالث لهما وبعدهما لا أريد أن أرى لكم أثراً هنا .

جلس رب الأسرة لا يدري ماذا يفعل وأولاده حوله جياع حتى الأم المسكينة نشف اللبن في صدرها فلم تكد تستطيع إرضاع وليدها ، وهم على هذه الحال مر عليهم إمام مسجد فلما رآهم رق لحالهم فنادى على رب الأسرة وسأله عن سبب جلوسهم في هذا المكان فقص عليه القصة ، فلما سمع أمام المسجد قصتهم وعرف مشكلتهم رق قلبه ودمعت عيناه وقال لرب الأسرة هيا معي أنت

وأسرتك اسكنوا معي في المسجد إلى أن يفرج الله عليكم وأصطحبهم واسكنهم في غرفته وسكن هو داخل المسجد ، ولازالت هذه الأسرة المسكينة المشردة تسكن في غرفة إمام المسجد ولا يزال إمام المسجد الطيب يقوم على خدمتهم ويوفر لهم حاجياتهم الضرورية . . . وهنا توقف راوي هذه المأساة عن الحديث وساد بين المصلين صمت رهيب فلا تكاد تسمع إلا همساً ونهنه ودموع تنساب على الوجنات وكأن هذه المأساة من الخيال أو حلم من الأحلام .

ويواصل راوي المأساة حديثه قائلاً : من لهذه الأسرة المسكينة بعد الله عز وجل فمدوا أيديكم الطاهرة إلى هذه الأسرة المنكوبة وأنقذوهم مما هم فيه وكان الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه فبادروا جزاكم الله خيراً لانقاذ هذه الأسرة .

وهنا أخذ المصلون يتسابقون كل يخرج ما في جيبه من نقود لمساعدة هذه الأسرة ، إلا أحد المصلين لم يقم من مكانه وظل جالساً لا يتحرك حتى خلا المسجد من المصلين هنا قام من مكانه وكان رجلاً كبير السن ونادى على راوي القصة وسأله : هل ما رويته عن هذه الأسرة صحيح؟ إن كان كما قلت فخذني إليهم .

وأخذ راوي القصة بيده وذهب معه إلى المكان الذي تسكن فيه الأسرة فلما رآهم الرجل بكى لحالهم ورق قلبه لهم وأعطاهم خمسة آلاف دينار ، وأسكنهم في شقه وصار يدفع عنهم إجارها ، ولا يعلم أحد من هو .

هذه صورة مشرقه تدل على حب أهل هذا البلد لعمل الخير طمعاً لما عند الله من الأجر والثواب العظيم .

قال الله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإنسان) .

قال رسول الله ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة» رواه الحاكم .

(*) قص علي هذه القصة الأخ/ جاسم الحمادي .

التكافل في المحن

في يوم الخميس الثاني من شهر أغسطس من عام (١٩٩٠م) استولى جيش الطغيان والجور على دولة الكويت على حين غره وعاثوا فيها فساداً ، وعاش أهل الكويت ومن فيها الذين لم يعتادوا على مثل هذا العدوان عاشوا في خوف وذعر ولكنهم كانوا على يقين بأن الله عز وجل سوف يكشف عنهم هذه الغمه ، وزاد هذا الإيمان من ترابطهم وتعاونهم فصاروا يداً واحدة يحب بعضهم بعضاً ويساعد قويهم ضعيفهم فأصبحوا أسرة واحدة وصفاً واحداً كأنهم بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً .

وأثناء هذا الاحتلال الغاشم كانت المعونات تأتي من خارج الكويت كما أن بعض التجار الذين تواجدوا في البلاد قاموا بتوزيع ما لديهم من مواد غذائية على جميع الموجودين داخل الكويت فكان التكافل فيما بينهم قائم لذلك لم يكن ينقصهم شيء ولله الحمد سوى أنهم كانوا لا يشعرون بالأمان لوجود هؤلاء الظلمة بينهم ، ومن القصص التي حدثت أثناء الاحتلال وتدل على تعاون أهل الكويت وتضحيتهم بأنفسهم في سبيل مد يد العون لإخوانهم وحبهم لفعل الخير هذه القصة التي أخبرني بها من عاشها وكان أحد أبطالها .

كان (علي جمعه) يعمل في جمعية بيان التعاونية يوزع المواد التموينية على الناس وبعد مرور شهرين أو أكثر على احتلال الكويت وفي شهر نوفمبر أتصل (فايز الغرير) وهو من أبناء الكويت الأفاضل بالأخ (علي جمعه) واجتمعوا في

مسجد مريم الصباح في منطقة بيان وقال فايز الغرير للمجتمعين : لدي مبلغ من المال ونريد أن نوزعه على الأسر الموجودة في بيان وكل واحد منكم مسؤول عن القطعة التي يسكن فيها .

واتفقنا أن نأتي إليه غداً لنستلم المبالغ المخصصه لنا على أن نأتي ونحن نركب دراجات هوائية حتى لا نتعرض للتفتيش من قبل جنود الاحتلال .

في الموعد المحدد كل ركب دراجته وذهبو لاستلام النقود .

يقول (علي جمعه) : كان المبلغ الذي استلمته هو (سبعمائة وخمسون ألف دينار عراقي) على أن أسلم كل أسرة ألف ديناراً وألف وخمسمائه حسب عدد أفراد الأسرة ، ويكمل (علي جمعه) قائلاً : استلمت المبلغ واجتمعت مع بعض الأخوة واتفقنا على أن نوزع أنفسنا كل واحد منا يوزع على المنازل في جادة معنيه وبدأنا عملية التوزيع بعد أن وضعنا النقود في مظاريف وكنا لا نطرق الباب بل كنا نلقي بالمظروف من فوق الباب أو من تحته حتى لا يتعرف علينا أحد ، ووزعنا جميع المبلغ الذي استلمناه وعدنا كل إلى عمله أو منزله دون أن يشعر بنا أحد ، يقول (علي جمعه) وبعد مرور يومين قبض جنود الاحتلال على أحد الذين شاركوا في توزيع النقود ، وأخذوا يعذبونه كي يعترف على من كان معه في عملية التوزيع ومن شدة العذاب الذي لقيه منهم ذكر لهم بعض الاسماء ومن ضمنهم اسمي ولما علمنا بالخبر أتصل بعضنا ببعض واتفقنا على أن نخرج من منازلنا ونذهب للسكن في منازل أخرى في مناطق بعيدة فذهبت مسرعاً إلى البيت وأخذت أسرتي وذهبنا للسكن في منطقة القرين وبعد خروجنا بدأ جنود الاحتلال البحث عنا وأخذوا يفتشون

المنازل وجاؤا إلى منزلي فلم يجدوا فيه أحد ثم ذهبوا إلى مكان عملي في جمعية بيان وسألوا عني فأخبروهم بأني قد تركت العمل منذ مده ، وأخذوا يبحثون عني مدة طويلة وقبضوا على بعض الأخوة وتعرضوا للتعذيب والإهانة من قبل جنود الاحتلال ، ويكمل (علي جمعه) روايته فيقول : بقيت مختفياً قرابة الشهرين ولا يعلم بمكاني سوى بعض الأخوة الذين كانوا يساعدوني بقضاء حاجياتي وتوفير ما أطلبه منهم حتى مرت هذه الأيام العصيبة بسلام دون أن أتعرض لأي مكروه من قبل هؤلاء الظلمة المجرمين .

هذه الأخلاق الحميدة القائمة على حب التعاون وفعل الخيرات وانكار الذات والتضحية في سبيل الوطن والترابط الأخوي جبل عليها أهل الكويت منذ القدم وتظهر هذه الأخلاق وتزهو في الأزمات والمحن وهذه الأخلاق الحميدة هي التي حث عليها الإسلام ورغب فيها رسول الله ﷺ قال الله تعالى :

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾

(المائدة : ٢) .

قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» أخرجه البخاري ومسلم .

(*) روى لي هذه القصة الأخ/ علي جمعة العلي .

الصدقة بعشر أمثالها

أبو أحمد صاحب مكتب تجاري ، رجل مطيع لربه محب لفعل الخير يحبه كل من يراه لا تفارق الابتسامه محياه .

في يوم من الأيام خرج أبو أحمد من بيته متوجهاً إلى عمله وهو في الطريق كان رجل يقف على جانب الطريق أشار بيده لأبي أحمد كي يقف ، أوقف أبو أحمد السيارة وسأل الرجل : خيراً إن شاء الله قال الرجل : هل تأخذني في طريقك .

أبو أحمد : تفضل على الرحب والسعة . . أركب .

ركب الرجل بجوار أبو أحمد وأنطلقت السيارة بهما وأثناء سير السيارة سأل أبو أحمد الرجل عن أحواله وأعماله . وبدل أن يجيب الرجل أجهش بالبكاء ، تأثر أبو أحمد مما رأى وقال للرجل : ما الأمر لعله خير .

قال الرجل : أعذرني يا أخي لبكائي لكن حالتي تبكي الحجر .

قال أبو أحمد : ما الأمر أخبرني بالله عليك .

قال الرجل : لقد أتيت إلى هنا كي أعمل وأكون نفسي وأنفقت مبالغ كبيرة كي أتي إلى هنا بل إني أقترضت وحملت على كاهلي ديون على أمل أن أسددها مستقبلاً ولكن منذ أن جئت وأنا أبحث عن عمل فلم أجد وأغلقت جميع الأبواب في وجهي ومما زاد الطين بله أن أمي الآن مريضة ويجب أن أعود

إليها وأنا الآن لا أريد عمل ولا أريد إلا أن أوفر ثمن تذكرة الطيران كي أعود إلى بلدي وأكون بجوار أمي ، ولولا أنك سألتني ما قلت لك عن مشكلتي ولا حدثتك عن نفسي فاعذرني يا أخي .

نظر إليه أبو أحمد نظرة كلها عطف وشفقه ثم قال له :

إذا كانت جميع الأبواب قد أغلقت بوجهك فاعلم أن باب الله مفتوح دائماً فاتجهه إليه وتوكل عليه ، ولعل في عودتك إلى بلدك وجلوسك بجوار أمك فيه خير لك في الدنيا والآخرة .

فتح أبو أحمد محفظة نقوده فلم يجد فيها سوى ثلاثون دينار فأخرجها وأعطاها للرجل وقال له : خذها واستعن بها على أمرك .

تردد الرجل في أخذ النقود ، إلا أن أبو أحمد أصر .

أخذ الرجل النقود ونزل من السيارة وذهب إلى حال سبيله . عاد أبو أحمد إلى مكتبه وجلس على الكرسي وهو يفكر في أمر الرجل ويدعو الله أن يسير أمره ، وهو غارق في تفكيره دخل عليه فجأة رجل غريب لم يكن رآه قبل هذه المره ، سلم الرجل على أبو أحمد ثم مد إليه ظرف وقال له : هذا المبلغ المتبقي لكم علينا .

ثم اقفل الرجل راجعاً فجأه كما دخل فجأة .

وقف أبو أحمد مندهشاً ثم هرول مسرعاً خلف الرجل فلم يجد له أثر عاد أبو أحمد إلى مكتبه وجلس على كرسيه يلتقط أنفاسه من هول ما حدث ، ثم أخذ الظرف فوجد اسمه مكتوباً على الظرف وزاد في دهشته أن اسمه مكتوب

بالكامل وكذلك عنوان مكتبه فتح أبو أحمد الظرف فإذا بداخله ثلاثمائه دينار ، زادت حيرة أبو أحمد ، وأخذ يفكر من يا ترى هذا الرجل الغريب من . . من . . وإلى الآن لا يدري أبو أحمد من الرجل الغريب الذي أعطاه المبلغ وقد مر على هذه الحادثة سنوات .

هذه ثمرة الصدقة وهذا جزاء الإحسان والصدقه بعشر أمثالها ومن كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (سبأ) .

قال رسول الله ﷺ : «أنفق يا ابن آدم ينفق عليك» متفق عليه .(*)

(*) حدثني بهذه القصة الأخ/ يعقوب سلطان .

الجزء الثاني

الفصل الأول

الإحسان

قال تعالى : ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خفية تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة» .(٢)

أولاً : ثمرة حفظ القرآن الكريم .

ثانياً : ثمرة الصدقة .

ثالثاً : صدقة تورث الجنة .

رابعاً : المسلم في ظل صدقته .

خامساً : ثمرة الصدق .

---

(١) سورة الرحمن : الآية ٦٠ .

(٢) رواه الطبراني ، وصححه الألباني .

ثمرة حفظ القرآن الكريم

ذكر الدكتور سيد حسين العفاني في كتابه «الجزاء من جنس العمل» هذه القصة ، نقلاً عن الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ، عن الشيخ محفوظ الشنقيطي مدير عام العلاقات بمجمع الملك فهد للمصحف الشريف ، عن شيخ القراء بالمجمع الشيخ عامر السيد عثمان ـ رحمه الله تعالى ـ أنه ، أي الشيخ عامر ، فقد حباله الصوتية في السنوات السبع الأخيرة من حياته ، وكان يدرس تلاميذه القرّاء فلا يفصح لهم إلا بشهيق وإيماء ، ثم مرض مرض الوفاة ، وكان طريح السرير الأبيض بالمستشفى ، ففوجئ أهل المستشفى بالرجل المريض فاقد الحبال الصوتية يقعد ويدندن بكلام الله بصوت جهوري جذاب مدة ثلاث أيام ختم فيهن القراءة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ، ثم أسلم الروح إلى بارئها[١] .

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ !

(١) «الجزاء من جنس العمل» ـ الجزء الثاني .

ثمرة الصدقة

استدعى نائب مصر يوماً علي بن محمد بن الفرات ، فقال له : ويحك إن نيَّتي فيك سيئة ، وإني من كل وقت أريد أن أقبض عليك وأصادرك فأراك في المنام تمنعني برغيف ، وقد رأيتك في المنام في ليال ، وإني أريد القبض عليك فجعلت تمتنع علي ، فأمرت جندي أن يقاتلوك ، فجعلوا كلما ضربوك بشيء من سهام وغيرها تتقي الضرب برغيف في يدك فلا يصل إليك شيء ! فأعلمني ما قصة هذا الرغيف؟

فقال ابن الفرات : أيها الوزير ، إن أمي منذ كنت صغيراً تضع كل ليلة رغيفاً تحت وسادتي ، فإذا أصبحت تصدقت به عني ، فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت ، فلما ماتت فعلت أنا ذلك مع نفسي ، فكل ليلة أضع تحت وسادتي وغيفاً وعندما أصبح أتصدق به .

فعجب الوزير من ذلك وقال : والله لا ينالك مني بعد اليوم سوء أبداً ، ولقد أحسنت نيتي فيك وقد أحببتك(١) .

(١) «البداية والنهاية» .

صدقة تورث الجنة

جاء رجل من أهل الشام فقال : دلوني على صفوان بن سليم ، فإني رأيته دخل الجنة .

فقلت : بأي شيء؟

فقالوا : بقميص كساه إنساناً .

فسئل صفوان عن قصة القميص ، فقال : «خرجت من المسجد في ليلة باردة ، وإذا برجل عارٍ ، فنزعت قميصي فكسوته»[1] .

(١) «صفحات مشرقة» ، ص ١٧٩ .

المسلم في ظل صدقته

رجل يسمى ابن جدعان يقول : خرجت في فصل الربيع ، وإذا بي أرى إبلي سماناً يكاد الربيع أن يفجر الحليب من أثدائها ، فنظرت إلى ناقة من نياقي وكانت أحب حلالي هذه الناقة ، فقلت في نفسي : لأتصدقن بهذه الناقة لجاري ، وكان فقير الحال وله سبع بنات ، فأخذت الناقة وطرقت عليه الباب ، فلما فتح لي قلت له : خذ هذه الناقة هدية مني لك . ففرح فرحاً شديداً لا يدري ماذا يقول من شدة الفرح ، فكان يشرب من لبنها ويحتطب على ظهرها ، وجاءه منها خير كثير .

وعندما جاء فصل الصيف بحرِّه وجفافه وأخذ البدو يرتحلون طلباً للماء والكلأ ، يقول ابن جدعان : شددنا الرحال ثم أخذنا نبحث عن الماء في الدحول[1] ، فدخلت في دحل من الدحول لأحضر الماء ، وكان أولادي الثلاثة ينتظرون خارج الدحل ، فتاه أبوهم ولم يعرف الخروج ، وانتظر أبناؤه ثلاثة أيام ، ثم قالوا : لعله تاه تحت الأرض وهلك ، وكانوا ينتظرون موته طمعاً في المال ، فعادوا إلى البيت مسرعين وقسموا المال بينهم ، ثم تذكروا أن أباهم قد أعطى جارهم ناقة فذهبوا إليه وقالوا له : أعد لنا الناقة وخذ بدلها هذا الجمل وإلا سنأخذها بالقوة ولن نعطيك شيئاً بدلاً عنها .

(١) هي حفر من الأرض توصل إلى أماكن يتجمع فيها الماء .

قال الجار الفقير : أشتكيكم إلى أبيكم .

قالوا : إنه مات .

قال : مات . . . ! كيف؟ وأين مات؟ !

قالوا : دخل دحلاً في الصحراء ولم يخرج منه .

قال : خذوا الناقة ولا أريد جملكم ، ولكن دلوني إلى مكان الدحل .

فأخذوه إلى مكان الدحل وتركوه وانصرفوا عنه .

فأخذ حبلاً ، ثم ربطه خارج الدحل وأخذ بيديه شعلة ونزل يزحف على قفاه حتى وصل إلى أماكن فيها يحبو وأماكن فيها يزحف ، ثم شم رائحة رطوبة الماء تقترب ، وفجأة سمع صوت أنين ، فأخذ يقترب من مصدر الصوت وأخذ يتلمس بيده ، فوقعت يده على الطين ثم وقعت على الرجل ، فوضع يده على أنفاسه فإذا هو حي يتنفس ، فقام وجرّه بعد أن ربط عينيه حتى لا يتأثر بضوء الشمس ، ثم أخرجه خارج الدحل وأطعمه تمراً ، ثم حمله على ظهره ، وجاء به إلى داره ودبَّت الحياة في الرجل .

فقال له الجار الفقير : أخبرني كيف مكثت أسبوعاً كاملاً تحت الأرض ولم تَمُت؟

قال ابن جدعان : سأخبرك ، لما دخلت داخل الدحل ضعت ولا أدري أين أتجه ، فأويت إلى الماء وأخذت أشرب منه ، إلا أن الماء وحده لا يكفي ، فبعد ثلاثة أيام أهلكني الجوع ، ولكن ما الحيلة؟ فاستلقيت على ظهري وفوّضت أمري إلى الله ، وإذا بي أشعر بدفء اللبن يتدفق على فمي ، فاعتدلت في جلستي ، ولكن

من شدة الظلام لا أرى شيئاً إلاَّ أني أشعر بإناء فيه لبن يقترب من فمي فأشرب حتى أشبع ، ثم يختفي ، فأخذ يأتيني ثلاث مرات في اليوم ، إلاَّ أنه انقطع منذ يومين ولست أدري ما السبب؟

قال الجار : أنا أقول لك سبب انقطاعه ، لقد ظن أولادك أنك مت وجاءوا إليَّ وأخذوا الناقة التي كان الله عز وجل يسقيك منها ، والمسلم في ظلّ صدقته(١) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة**»(٢) .

---

(١) هذه القصة أذيعت من خلال إذاعة المملكة العربية السعودية .

(٢) صحيح : رواه الحاكم .

ثمرة الصدق

أسلم رجلاً من الأوروبيين وحسن إسلامه ، وكان صادقاً في جميع أفعاله ، وكان يعتزّ بإسلامه ويفتخر به ، وكان حريصاً أن يُظهر إسلامه أمام الناس دون خجل أو تردد .

يقول : أعلنت إحدى المؤسسات الحكومية في بلادي عن طلب موظفين لشغل إحدى الوظائف ، يقول : فتقدمتُ لها ، وكان لابد من المقابلة الشخصية ، وكان التنافس شديداً لنيل هذه الوظيفة ، يقول : فلما دخلت على أعضاء اللجنة ، سألوني عدة أسئلة ، كان من ضمن هذه الأسئلة :

١ ـ هل تشرب الخمر؟

فأجبت بكل فخر وعزّة : لا أشرب الخمر لأنني أسلمت وديني يمنعني من معاقرة الخمر وشربها .

٢ ـ هل لك خليلات وصديقات؟

فأجبت : لا ، لأن الإسلام الذي أنتسب إليه يحرِّم علي ذلك ويقصر علاقتي على زوجتي فقط التي تزوجتها بمقتضى شريعة الله سبحانه وتعالى .

يقول : فخرجت وأنا شبه يائس من النجاح ، وذلك لكثرة عدد المتقدمين ، ولكن النتيجة كانت لصالحي ، فلقد نجحت أنا وحدي .

يقول : فذهبت إلى مسؤول اللجنة أسأله : في الحقيقة كنت أتصور أني لن أنجح في المقابلة ولن أفوز بالوظيفة .

فقال مسؤول اللجنة : ولماذا كان هذا تصورك؟

قلت : كنت أعتقد أنكم ستحرمونني من هذه الوظيفة عقاباً لي على مخالفتي لكم في دينكم ، وعلى اعتناقي الإسلام ، ولكني فوجئت بقبولي على إخوانكم من النصارى ، فما السبب يا تُرى؟ !

قال مسؤول اللجنة : في الحقيقة إن المرشح لهذه الوظيفة كان يشترط فيه أن يكون شخصاً منتبهاً في جميع الحالات ، حاضر الذهن ، والذي يتعاطى الخمر لا يمكن أن يكون كذلك ، ونظراً لتوفر هذا فيك فقد وقع الاختيار عليك لهذه الوظيفة .

فخرجتُ أحمد الله عز وجل على أن هداني لنعمة الإسلام(١) .

---

(١) من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه . بتصرف .

الفصل الثاني

الفصل الغدر

قال رسول الله ﷺ : «لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»[1] .

أولاً ـ الذنب .

ثانياً ـ الإنسان الظلوم .

ثالثاً ـ من قَتل يُقتل ولو بعد حين .

رابعاً ـ رسالة الموت .

خامساً ـ سقيت فسقيت .

(١) رواه أحمد والشيخان .

الذنب

هما أخوان لا ثالث لهما يعملان مع أبيهما في المزرعة ، أحدهما متزوج وله صِبْيَةٌ صغار ، والآخر متزوج ولم يرزق بولد .

كانت حالة أبيهما ميسورة ، فطمع الأخ الآخر بميراث أخيه ، فوسوس له الشيطان قتل أخيه ، فقتله حتى يكون هو الوريث الوحيد بعد موت أبيه .

افتقد الأب ولده فسأل أخاه عنه ، فأجاب بأنه لا يعلم عنه شيئاً ، وأخذ هو والأب يبحثان عن الولد المفقود ومعهما جمع من الناس ، وبعد مدة عُثر عليه ملقى في أحد الآبار المهجورة .

قام رجال الأمن بواجبهم بالبحث عن الجاني ، ومرت مدة دون أن يعثروا على أي خيط يدلُّهم على الجاني .

حزن الأب على فقدان ولده حزناً شديداً ، وبعد عدة شهور مات الأب من شدة حزنه وأسفه .

صار المال كله للأخ الآخر ، وعاش أبناء أخيه الصغار مع عمهم ، وتزوج الأخ الآخر عدة مرات ولكن الله عز وجل حرمه من الذرية ، لذلك أخذ يعطف على أولاد أخيه ويصرف عليه ويرعاهم وهم يحبونه ويرون فيه أباهم الذي فقدوه وهم صغار .

مرض الأخ وأحس بدنوّ أجله ووقوفه بين يدي الله الحكم العدل ، وصار طيف أخوه لا يفارقه ، وصارت عيشته كلها هم وغم ، وعشّش الخوف في زوايا حياته وصار دائم البكاء ، ليله طويل ونهاره عليل .

دخل عليه أهله وأولاد أخيه وهو يبكي وينتحب حتى أبكى من حوله من شدة حزنهم عليه ، فقالوا له يطمئنونه ويهدِّئون من روعه : لماذا كل هذا البكاء؟ ما هي إلا وعكة بسيطة وتمر بسلام إن شاء الله فلا تخف ولا تجزع . وقالوا له : لا تخف أعمالك صالحة . . تصلي ، وتصوم ، وتحج ، وتتصدق على الفقراء والمحتاجين ، هذه أعمال كلها خير .

فقال لهم : آه لو تعلمون . . إني أكتم في نفسي سراً ، لا يعلمه إلاّ الله ، لذلك أنا خائف أن أقابل الله وهذا هو سبب خوفي وبكائي . . ولابد أن أخبركم به قبل رحيلي لعل الله يغفر لي خطيئتي وأرجوكم أن تسامحوني .

قالوا له : وما هذا السر؟ !

قال : أنا قتلت أخي .

فبهتوا كأن ما سمعوه ألجم أفواههم ثم صرخوا بصوت واحد : أنت الذي قتلت أخاك؟ !

قال وهو يبكي ويتحسر : نعم وذلك كله بسبب الطمع ، كنت لا أريده أن يشاركني في الميراث ، ولكني منذ أن أقدمت على فعل هذه الجريمة وأنا لم أذق طعم الراحة أبداً ، خاصة عندما أقعدني المرض ، فأنا أرى طيف أخي أمامي في كل لحظة ، وأنا الآن قد أخبرتكم بما جنيته فافعلوا بي ما شئتم ، وبما أن الله قد

حرمني من الذرية فلقد آل المال كله لكم أنتم أولاد أخي وأرجوكم أن تسامحوني وأسأل الله أن يغفر لي ويرحمني .

وتركوه على فراشه وحيداً يعاني ويتألم ويترقب ، وبعد مرور شهر من الخوف والألم والحسرة والترقب مات[1] .

(١) جريدة «الأنباء» العدد ٦٩٨١ .

الإنسان الظَّلوم

كان تاجراً ، وكان يعمل بشراء الأبقار من العراق أو من إيران ثم يبيعها في سوريا ، وكان الرجل مسلماً حقاً ، قواماً ، صوّاماً ، منفقاً ، ورعاً ، تقياً ، نقياً .

وفي إحدى سفراته بتجارته وهو يتنقل بأبقاره قاطعاً الطريق ليبيعها ، هطل ثلج كثير فسدَّ الطرق ، وقتل الأعشاب ، فماتت أبقاره عدا أربعة منها ، وأخذ يتنقل بها من مكان إلى آخر ، وفي مساء ذات يوم من الأيام وصل إلى قرية صغيرة في طريقه من الموصل إلى حلب فطرق باب أحد بيوتها ، فلما خرج إليه رب الدار ، أخبره بأنه ضيف الله ، وأنه يريد أن يبيت ليلته في داره ، فإذا جاء الصباح سافر إلى قرية أخرى .

ورحب صاحب الدار بضيفه وأدخل أبقاره إلى صحن داره وقدَّم الطعام للضيف والعلف للأبقار ، وكان صاحب الدار معدماً ولقد ماتت مواشيه وتضرر زرعه من جراء هطول الثلج مدة طويلة وبكثرة ، وكان متزوجاً وله ولد واحد ، وكان في داره غرفتان ، غرفة يأوي إليها هو وزوجه ، وغرفة يأوي إليها ولده .

اجتمعت العائلة حول الضيف ، الجديد وابتدأ السمر شهياً طلياً ، وعرف صاحب الدار من خلال الحديث أن ضيفه يحمل مبلغاً من المال .

بعد ذلك أوى صاحب الدار مع زوجه إلى غرفتهما ، وأوى الضيف إلى

غرفة الولد ، فنام الولد على فراشه في الزاوية اليمنى من الغرفة وأوى الضيف إلى فراشه في الزاوية اليسرى من الغرفة .

سأل صاحب الدار ضيفه عما إذا كان بحاجة إلى شيء ما ، ثم اطمأنَّ على راحته .

غادر غرفة ولده وضيفه إلى غرفته لينام هو أيضاً ، وفي غرفته همست له زوجه : يا فلان إلى متى تبقى في عوز شديد؟ . . وهذا الضيف غني ، ونحن بأشد الحاجة إلى ماله وأبقاره ، إننا الآن نأكل يوماً ونجوع أياماً ، فكيف بنا إذا حلَّت بالقرية المجاعة ولا مال عندنا ولا طعام؟ ! إن الفرصة سانحة اليوم ، إن هذا الضيف غني فهلم إليه واسلبه ماله وخذ أبقاره حتى نبقي على حياتنا وحياة ولدنا الوحيد .

قال لها الرجل : كيف وهو ضيفنا؟ ! كيف أسلبه ماله وأبقاره؟ ! كيف يسمح لنا بسلبه؟ !

قالت زوجه : اقتله ثم نرميه في حفرة قريبة ببطن هذا الوادي ، ومن يعرف بخبره؟ !

وتردد الرجل . . وألحَّت المرأة ، ولكي تقطع المرأة على زوجها داء تردده قالت له : إن ما تفعله ضرورة لإنقاذنا من الموت الأكيد ، والضرورات تبيح المحرمات . . وكان الشيطان ثالثهما

واقتنع الرجل أخيراً وعزم على قتل الضيف وسلب ما لديه من مال .

كان الوقت في الثلث الأخير من الليل ، وكان كل شيء هادئاً ساكناً والظلام قد لفَّ القرية ، فساد صمت رهيب ، وأخرج الرجل خنجره وشحذه ثم

اتجه إلى غرفة الضيف وابنه ومن ورائه زوجه تشجعه ، فمشى رويداً رويداً على رؤوس أصابع رجليه ، واتجه إلى الزاوية اليسرى من الغرفة حيث يرقد الضيف وتحسَّس جسمه حتى تلمَّس رقبته في الظلام ثم ذبحه كما يذبح الشاة .

وجاءت إلى الرجل زوجه وتعاونا على سحب الجثة الهامدة إلى خارج الغرفة ، حيث اكتشفا أنهما ذبحا ابنهما الوحيد .

وشهق الرجل شهقة عظيمة ، وشهقت المرأة ، فسقطا مغشياً عليهما .

وعلى صوت الجلبة استيقظ الضيف ، واستيقظ الجيران ليجدا ابن الرجل قتيلاً ، سارع الضيف وسارع الجيران إلى الرجل وامرأته بالماء البارد يرشونه على وجهيهما .

فلما أفاقا يبكيان بكاءً مراً وطلبا إلى الجيران إبلاغ الحادث إلى الشرطة ، فجاءت الشرطة وألقت القبض على الجناة .

ولكن ما الذي حدث في غرفة نوم الضيف وابن المضيف؟ !

لقد قام الابن إلى فراش الضيف بعد أن غادر أبوه الغرفة ، وأخذ الابن مع الضيف يتجاذبان أطراف الحديث ، وكان الحديث ذا شجون فطال أمده ، حتى نام الولد على فراش الضيف بعد أن غلبه النعاس ، ولم يشأ الضيف أن يوقظ الولد فترك له فراشه بعد أن أحكم عليه الغطاء ، ثم أوى إلى فراش الولد . . وحين قدم أبو الولد إلى غرفة الضيف وابنه ، كان متأكداً من موضع فراش كل واحد منهما ، فذبح ابنه وهو يريد الضيف ، فأراد الأب الضيف وأراد الله الولد ، ودفن الجيران الولد القتيل ، واستقر والده في السجن[1] .

(١) قصة «الإنسان المظلوم» من كتاب «عدالة السماء» صفحة ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .

من قتل يُقتل ولو بعد حين

تمَّ اكتشاف جثة حارس أحد المسارح غارقة في دمائها ، كما عثر على زوجته مقيَّدة بالحبال ومصابة بعدة طعنات موزعة على كل جزء في جسدها ، وتمَّ نقلها إلى أحد المستشفيات وهي بين الحياة والموت .

كثَّف رجال الأمن جهودهم من أجل القبض على القاتل ، ولكن لم تؤدِّ التحريات التي جُمعت إلى شيء . ومرَّ الوقت دون أن يحققوا نتائج تُذكر ، وبعد جهود مضنية عثر على بعض قطرات متجمدة من الدماء بقرب غرفة أحد العاملين بالمسرح ، ووضع هذا العامل تحت المراقبة الدقيقة .

وكانت زوجة الحارس القتيل قد بدأت تتماثل للشفاء ، وبدأ رجال الأمن استجواب الزوجة ، لكنهم لم يستفيدوا من أقوالها حيث قالت لهم أن مجهولين هاجموا غرفتهم الصغيرة وطلبوا من زوجها أن يسلِّمهم النقود ، وعندما رفض قتلوه وقيَّدوها وطعنوها هي الأخرى وهربوا ولم تتبيَّن ملامحهم وسط الظلام .

ولم يجد رجال الأمن أمامهم إلاَّ القبض على العامل الذي كانت الشبهات تحوم حوله ، إلاَّ أن العامل أنكر ارتكابه للجريمة ولا يوجد الدليل القوي للإيقاع به ، لذلك أُفرج عنه ، إلاَّ أن رجال الأمن قاموا بوضع العامل تحت المراقبة الدقيقة ، وقاموا بتتبُّع خطواته .

فدخل المتهم أحد الكازينوهات وكان رجال الأمن يراقبونه ، وقبل دخولهم إلى الكازينو خلفه فجأة حدثت مشاجرة بين المتواجدين في الكازينو ، وحدثت ضوضاء وجلبة ، وذهب رجال الأمن لاستطلاع الأمر وتمكنوا من فض المشاجرة ، ولكنهم فوجئوا في النهاية بوجود جثة ملقاة على وجهها في أرضية الكازينو ، وعندما اقتربوا من الجثة اكتشفوا أنها جثة العامل المتهم ، وكانت دهشتهم بالغة عندما اكتشفوا أنه لقي حتفه إثر تلقيه إصابة قاتلة في رقبته بواسطة إحدى الزجاجات المكسورة ، وهي الطريقة نفسها التي قُتل بها حارس المسرح . . والغريب أن العامل المتهم لم يكن طرفاً في المشاجرة التي نشبت في الكازينو .

بعد موت العامل القاتل اعترفت الزوجة وقالت أنها كانت على علاقة آثمة بالعامل القاتل . . ولما علم الزوج بهذه العلاقة طعنه العامل بزجاجة خمر فسقط الزوج صريعاً ، ثم اتفق العامل مع الزوجة أن يقوم بتقييدها وطعنها لإبعاد الشبهات عنهما وطلب منها أن تروي للشرطة أن مجهولين اقتحموا غرفتهم وقتلوا زوجها وقيَّدوها وأصابوها ، وكان سبب صمت الزوجة ولم تعترف إلاَّ بعد أن قتل العامل خوفاً من أن يفتضح أمرها وعلاقتها بالعامل ، وخوفاً من أن يقتلها إذا ما اعترفت عليه[١] .

(١) جريدة «الأنباء» العدد (٦٩٨٣) ، الملحق ، بتصرف

رسالة الموت

نشأ أحمد بن طولون في صيانة وعفاف ورياسة ودراسة للقرآن العظيم مع حسن الصوت به ، وحكى ابن عساكر عن بعض مشايخ مصر : أن طولون لم يكن أباه وإنما كان قد تبناه لديانته وحسن صوته بالقرآن ، وظهور نجابته وصيانته منذ صغره .

وبعثه طولون مرة في حاجة ليأتيه بها من دار الإمارة ، فذهب أحمد ، فإذا حظية من حظايا طولون مع بعض الخدم وهما على فاحشة ، فأخذ أحمد حاجته التي أمر بها طولون وكرَّ راجعاً إليه سريعاً ، ولم يذكر له شيئاً مما رأى من الحظية والخادم ، ولكن الحظية توهمت أن يكون أحمد قد أخبر طولون بما رأى ، فجاءت إلى طولون وقالت : إن أحمد جاءني الآن إلى المكان الفلاني وراودني عن نفسي ، وانصرفت إلى قصرها .

فوقع في نفسه صدقها ، فاستدعى أحمد وكتب معه كتاباً وختمه إلى بعض الأمراء ، ولم يواجه أحمد بشيء مما قالت الجارية ، وكان في الكتاب «إن ساعة وصول حامل هذا الكتاب إليك تضرب عنقه وابعث برأسه سريعاً إليّ» .

فذهب أحمد بالكتاب من عند طولون وهو لا يدري ما فيه ، فاجتاز بطريقه بتلك الحظية ، فاستدعته إليها .

فقال : إني مشغول بهذا الكتاب لأوصله إلى بعض الأمراء .

قالت : هلم فلي إليك حاجة .

وأرادت أن تحقق في ذهن الملك طولون ما قالت له فحبسته عندها ليكتب لها كتاباً ، ثم أخذت من أحمد الكتاب الذي أمره طولون أن يوصله إلى ذلك الأمير ، فأعطاها إياه ، فأرسلت به ذلك الخادم الذي وجده معها على الفاحشة ، وكانت تظن أن في الكتاب جائزة تريد أن تخص بها الخادم المذكور ، فذهب الخادم بالكتاب إلى ذلك الأمير .

فلما قرأه أمر بضرب عنق ذلك الخادم وأرسل برأسه إلى الملك طولون ، فتعجَّب الملك من ذلك ، وقال : أين أحمد؟ !

فطُلب له : فقال : ويحك أخبرني كيف صنعت منذ خرجت من عندي؟ ! فأخبره بما جرى من الأمر .

ولما سمعت تلك الحظية بأن رأس الخادم قد أتي به إلى طولون أسقط في يديها وتوهمت أن الملك قد تحقق الحال ، فقامت إليه تعتذر مما وقع منها مع الخادم ، اعترفت بالحق وبرأت أحمد مما نسبته إليه ، فحظي عند الملك طولون وأوصى له بالملك من بعده[1] .

(١) «البداية والنهاية» ، بتصرف يسير .

سَقيت فسُقيت

الوزير الكامل الإمام العادل يمين الخلافة أبو المظفر يحيى بن محمد ابن هبيرة الشيباني الدوري العراقي الحنبلي صاحب التصانيف .

قال الذهبي : له كتاب «الإفصاح عن معاني الصحاح» شرح فيه صحيحي البخاري ومسلم ، في عشر مجلدات ، وألّف كتاب «العبادات» على مذهب أحمد ، وله أرجوزة في المقصور والممدود ، وأخرى في علم الخط ، واختصر كتاب «إصلاح المنطق» لابن سكيت .

وفي ليلة ثالث عشر جمادي الأول ، سنة ستين وخمس مائة ، استيقظ وقت السحر ، فقاء ، فحضر طبيبه ابن رشادة ، فسقاه شيئاً ، يقال : إنه سمّه ، فمات . وسُقي الطبيب بعده بنصف سنة سماً ، فكان يقول : سَقَيْت فَسُقيت ، فمات .

ورأيت آثاراً بجسده ووجهه تدل على أنه مسموم ، وحُملت جنازته إلى جامع القصر وخرج معه جمع لم نره لمخلوق قط ، وكثر البكاء عليه لما كان يفعله من البر والعدل ، ورثته الشعراء(١) .

(١) «سير أعلام النبلاء» .

الفصل الثالث

الربا

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ : «الربا سبعون حوباً، آخرها أن ينكح الرجل أمه»(٢) .

أولاً ـ يمحق الله الربا .

ثانياً ـ حرب من الله .

ثالثاً ـ عاقبة البخل .

(١) سورة البقرة : الآيتان ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٢) رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني .

يمحق الله الربا

عشت فقيراً بين أب عامل وأم خادمة ، آكل السؤر من الطعام ، وألبس الأسمال من الثياب ، لما بلغت سن الاحتلام طردني والداي ، فقد كنت عبئاً عليهما .

فتركتهما وسافرتُ إلى بلد آخر لا يعرفني أحد ، وغيَّرت اسمي فقط ، أما اسم أبي فكما هو ، وعملت فراشاً في إحدى المدارس ، فكنت أقف بجانب شباك الصف وأستمع لما يقوله المدرِّس للطلاب ، وتعلمت القراءة والكتابة ، واشتركت في الامتحان الابتدائي ونجحت ، وأكملت دراستي حتى اجتزت المرحلة الثانوية بنجاح ، ثم عدت إلى بلدي ، وكان والداي قد ماتا ، ولم أعرف أحداً ، من إخوتي لأن اسمي تغير ، وحصلت على وظيفة وتعرفت من خلالها على مجموعة من الزملاء تعلمت منهم كل رذيلة وشائنة ، وصرت مسرفاً مبذراً حتى اضطررت أن أستدين بالربا وبفائدة فاحشة قد تصل سنوياً إلى ضعف المبلغ الذي أقبضه في أول العام .

ومن جراء ذلك بعتُ مسكني الذي ليس فيه أحد سواي وزوجتي الحبلى ، وقد دفعت أصول الدَّين والفوائد ولم يتبق معي إلاَّ مبلغ قليل لا يكفي مصروف شهرين .

وبعد تفكير عميق قررتُ أن أكون مرابياً أقرض المحتاجين بدلاً من أن أقترض من المرابين .

وبدأت بالمال القليل الذي معي أقرض المحتاجين مقابل رهون عينية تضمن لي السداد ، وخلال سنتين لا أكثر ملكت الكثير من المال ، فاشتريت داراً كبيرة وتزوجت زوجة ثانية وتوسعت تجارتي ، فافتتحت محلاً في السوق كصرافة ثم كمستورد ومصدر ، ولكن العمل الأساسي هو القرض بالربا .

وزادت ثروتي وتبدلت حالتي من فقير يقترض إلى غني يقرض ، ورزقت بأبناء وبنات .

وذات يوم طلب مني أحد عملائي بضاعة أرسلتها له في إحدى ناقلاتي صمَّم ابني البكر أن يركب مع البضاعة ليوصلها بنفسه إلى العميل ، ولكن الله لمن عصاه بالمرصاد ، وكان الطريق على الساحل المجاور ، فانقلبت الشاحنة وهلك ابني وذهبت البضاعة ونجا السائق بأعجوبة لم يمسه سوء ، وماتت أم ابني جزعاً عندما بلغها موت ولدها .

وبعد أيام شبَّ حريق هائل في مخزن لي ذهب منه أكثر من نصف مالي وأحد أبنائي أيضاً .

وبعد هذا الحادث احترقت بنت لي شابة معقود زواجها بموقد زيت انفجر ثم أصيبت بالشلل .

وتتوالى الحوادث ولا أدري كيف أدفعها ، ولقد علمت الآن أن الذي يحدث لي هي ضرائب يجب على كل مرابٍ أن يدفعها ، ودعوات أولئك المظلومين الذين اغتصبت أموالهم[1] .

إن الله عز وجل بالمرصاد لكل ظالم ، وإن المرابي حارب الله ورسوله وإن نهاية المرابي أليمة مهما طال الزمن .

---

(١) «من غريب ما سألوني» الجزء الثاني ، صفحة ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ .

حرب من الله

كثير من الناس يحب أن يكون غنياً ، وهناك عدة طرق يسلكها الإنسان لكي يصبح غنياً ، والكسب الحلال الذي أحله الله ورسوله يبارك الله فيه ويحفظ صاحبه .

ولكن بعض الناس يبحث عن الربح السريع ، ومن أجل ذلك يسلك أي طرق مشروعة أو غير مشروعة ، المهم أن يكوّن ثروة من المال ، يدفعه إلى هذا الطريق طمع وجشع وحب للدنيا يطغى على كل شيء ، فلا يرى ولا يبصر إلاّ المال والرصيد في البنوك ، ويكون جل تفكيره جمع المال من أي مصدر كان .

وصاحب قصتنا من أولئك الذين يلهثون وراء المال ، وإليكم قصته :

هو موظف قد منَّ الله عليه براتب شهري يصرف منه ويزيد ، وقد بارك الله له فيه . . ولكن الإنسان لا يملأ عينيه إلا التراب ، فهو يريد أكثر وها هي المغريات من حوله تسهل له طريق الحرام ، وها هي المصائد والفخاخ قد نصبت من قبل البنوك تدعوه إلى الربا وتزيِّنه له ، وهذا هو المجتمع بأكمله إلا من رحم ربي يتعامل بالربا .

حدثته نفسه بأن يعمل بالتجارة ويكون مثل غيره عنده مال ويمتلك رصيداً في البنك ، وتاقت نفسه لهذه الفكرة ، والأمر سهل جداً ما عليه إلاّ أن يحول راتبه إلى أحد البنوك الربوية ويقبض ضعف راتبه عشر مرات أو أكثر ، وذهب

باختياره إلى المصيدة ، ووقع بالفخ دون عناء ، وخرج من البنك مبتسماً منشرح الصدر ، لأنه صار عنده رصيد من المال ليبدأ بمشروعه التجاري .

وسمع به أحد أصدقائه فأسرع إليه ينصحه قائلاً له : يا أخي أنا أعرفك رجلاً طيباً وراتبك ولله الحمد يكفيك وزيادة ، فلماذا تسعى للحرام وترهق نفسك بالديون؟ !

يا أخي إن العمل الذي فعلته وأقدمت عليه حرام وعاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة ، وأخذ صديقه ينصحه عدة مرات ؛ عله يسمع ويعي إلاَّ أنه لم يحرك به ساكناً .

وبدأ في تنفيذ مشروعه فاشترى من ألمانيا سيارات مستعملة وشحنها إلى بيروت لتصليحها وتلميعها ، وبعد ذلك نقلها بواسطة سيارتين من سيارات النقل إلى الكويت ليبيعهم ، وفي الطريق عبر الأراضي السعودية انقلبت السيارة الأمامية واصطدمت بها السيارة الثانية التي تسير خلفها ، وأتلفت جميع السيارات المنقولة عن بكرة أبيها ولم يبق فيها شيء صالح ، ونجا السائقان بفضل الله تعالى وعادا إلى بلدهما سالمين .

ولمّا علم مالك السيارات بما حدث ملأت الحسرة قلبه ، فقد ضاعت أمواله في رمال الصحراء هباءً منثوراً وهو يدفع للبنك أكثر مما أخذ منه ، ولم يجن من عمله إلاَّ الخسارة ، فبعد أن كان يعيش في رغد العيش ، صار حاله بائساً وصارت الديون تطارده ، هذه حالته في الدنيا والله أعلم بحاله في الآخرة(١) .

---

(١) روى لي القصة الأخ «سالم بن سليمان الخشان» ، وهو له علاقة بصاحب القصة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [1].

(١) سورة البقرة : الآيتان ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

عاقبة البخل

يحكي أحدهم : أنه كان له جار كبير السن وحيد لا زوج ولا قريب له ، وكان بخيلاً شديد البخل ، يجمع المال ويكنزه ، وكان صانعاً للنعال ، وفي ذات يوم لم يفتح دكانه .

يقول الراوي : فلما صليت العشاء ذهبت أسأل عنه ، فدفعت الباب بقدمي ودخلت وأنا أنادي : يا فلان .

ففزع وصرخ بأعلى صوته قائلاً : ماذا تريد؟

فقلت له : جئت أسألك عنك فمنذ مدة لم تفتح دكانك .

قال : فطردني شر طردة ، فخرجت وقلت في نفسي لعله أصابه شيء ، فلما لا أعود له؟ فعدت إليه ثانية ودخلت خلسة دون أن يشعر بي ، وإذا به قد جمع أمامه دنانير ذهبية تتلألأ مع ضوء المصابيح ، وبجواره إناء فيه زيت وهو يتكلم ويقول للذهب : يا حبيبتي يا أعز ما عندي ، لقد أفنيت فيك عمري ، كيف أتركك؟ ! يجب أن أدفنك معي . ثم يأخذ دينار الذهب ويغمسه في الزيت ويقذف به إلى جوفه ثم يصيبه بعدها سعال شديد تتقطع من شدته أحشاؤه ، ثم يأخذ ديناراً آخر ويغمسه بالزيت ويقذفه إلى جوفه وهكذا ، وأنا أنظر إليه . فقلت في نفسي : لن يأخذ مالك أيها البخيل إلا أنا ، فخرجت وأغلقت الباب وربطته كي لا يكتشف أمره أحد .

وبعد ثلاثة أيام جئته فإذا هو قد مات ويبس في فراشه ، فأخبرت الناس عن موته فغسلوه وحملوه وهم يتعجبون لثقله رغم ضعف بدنه وهزاله ، وهم لا يعلمون ما يحمله في بطنه من دنانير ذهبية .

فلما دفناه في قبره وضعت عليه علامة كي أستدل عليه ، فلما انتصف الليل ذهبت وبيدي الفأس فحفرت قبره وأنا خائف أن يراني أحد ، ثم أزحت الحجارة عن اللحد ، ثم قطعت كفنه بسكين كانت معي ، ثم بقرت بطنه فإذا بريق الذهب على ضوء القمر فمددت يدي لآخذه ، فلما لمست يدي الذهب إذا هو حار كالجمر المستعر ، فصرخت من شدة الألم ، ونزعت يدي ، وردمت القبر بالحجارة ، وردمت عليه التراب ، وخرجت مهرولاً أصرخ من شدة الألم ، وما أن وصلت إلى البيت حتى غمست يدي بماء بارد عله يخفف من حرارتها وظللت سنوات وأنا أحس بهذه اللسعة تأتيني بين فترة وفترة(١) .

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝﴾(٢) .

(١) ذكر القصة أحد المشايخ الأفاضل ، وقد وقعت أحداثها في المملكة العربية السعودية .

(١) سورة التوبة : الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

الفصل الرابع

عقوق الوالدين

قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[1] .

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق»[2] .

أولاً ـ ذنبان معجلة عقوبتهما .

ثانياً ـ ولك مثلها .

ثالثاً ـ خسر الدنيا والآخرة .

رابعاً : دعوة أبو منازل .

خامساً ـ جزاء النضيرة بنت الساطرون .

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» ، وصححه الألباني .

ذنبان معجلة عقوبتهما

هذه القصة تبيِّن مدى قسوة قلوب الأبناء وعقوقهم ، وأنه لابد من العقوبة في الدنيا قبل الآخرة .

كان الابن يلحّ على أبيه التاجر العصامي ـ الذي لم يرث المال بل كوَّنه بنفسه ـ بأن يتزوج من البنت التي تعرَّف عليها في الجامعة ، بينما كان أبوه يرفض هذه الزيجة حيث كان يساوره الخوف من فشلها بسبب ما يعرف من صفات بتلك الفتاة التي يريد ولده الاقتران بها .

وأمام إصرار الولد العنيد ، رضخ الوالد لطلبه ، فطلب الولد من أبيه أن يشتري له بيتاً ، فاقترح عليه أبوه بأن يشتري بيتاً كبيراً يسكن هو وزوجته في الطابق الأعلى ، ويسكن والده وأمه في الطابق الأسفل .

وافق على الاقتراح وتم شراء البيت ، وسكنوا جميعاً في ذلك المنزل الجديد .

وبعد فترة وجيزة توفيت والدته وظلَّ الوالد من غير أحد يرعاه ويلبي حاجاته وقد بلغ السبعين ، وكان ذلك الولد العاق يمر به ويلقي عليه فضلات طعامه وزوجته ، كأنه يرميها إلى بهيمة ، وازدادت الأوساخ في مسكن الأب دون أن يجد من ينظف له ، وحاصرته الأمراض ، وكان يتوسل لولده أن يعرضه على الطبيب ولكن الرفض كان الجواب الوحيد الذي يعرفه ذلك العاق ، بينما كانت زوجته تحثه على طرد والده من المنزل وتسوِّل له الاستيلاء على البيت كاملاً .

ودخل الولد على والده في ليلة شاتية لا يكاد يسمع من والده سوى السعال ، وتكاد الحمى تقطع جسده النحيل ، والروائح الكريهة تنبعث من ملابسه التي لم يغيرها منذ ما يزيد على الشهر ، وأقدم هذا الولد العاق على عمل قبيح ، فبعد حفلة من السب والشتم والركل لفَّ والده ببطانية ورماه خارج المنزل .

خرج المصلون من صلاة الفجر وإذا بهم يرون بطانية ملفوفة وبداخلها جسد كان أقرب للهيكل العظمي وقد جمده الهواء البارد والأمطار المتساقطة عليه ، وعندما رفعوا البطانية عن رأسه وجدوه ميتاً وقد خرج الدم من أنفه وتجمد على شاربه وفمه .

بعد إجراء التحقيقات تعرَّف رجال الأمن على الجاني واقتادوه مكبلاً إلى المخفر . وبعد أن بدأت المحاكمة صدر الحكم بالسجن لمدة عشرين عاماً كانت زوجته حينئذ حاملاً في شهرها الأول .

أمضى فترة السجن كاملة ، وبعد مضي هذه الفترة الطويلة أرادت زوجته مفاجأته بولده الذي بلغ العشرين دون أن يراه طيلة هذه الفترة ، وعند باب السجن كانت تنتظره وولده في السيارة التي كان يقودها الولد المشتاق لرؤية أبيه ، وما رأته الزوجة وهو يخرج من الباب حتى أمرت ولدها بالتوجه إلى والده بالسيارة ، ولكن الولد من شدة الفرحة بأبيه ضغط على مكبس البنزين بدلاً من الفرامل ، الأمر الذي تسبَّب في الاصطدام بأبيه ، وعندما ترجل الولد من السيارة وجد أباه منكفئاً على وجهه وقد نزل الدم من أنفه وسال على فمه .

إنه المنظر نفسه الذي مات به جده على يد والده الذي يراه تحت عجلات سيارته هذه اللحظة(١) .

(١) من كتاب عدالة السماء .

ولك مثلها

ذكر العلماء أن رجلاً عنده والد كبير فتأفف من خدمته ومن القيام بأمره ، فأخذه وخرج إلى الصحراء ليذبحه . . . ! فلما وصل إلى صخرة أنزله هناك .

فقال الأب : يا بني ، ماذا تريد أن تفعل بي؟

قال الابن : أريد أن أذبحك .

قال الأب : إن أبيت إلاَّ ذبحي فاذبحني عند الصخرة التالية ، فأنا كنت قبلك عاقاً لوالدي وذبحته عند تلك الصخرة ولك يا بني مثلها . . . ![1]

(١) «الجزاء من جنس العمل» ، الجزء الثاني

خسر الدنيا والآخرة

قال علي بن يحيى المنجم : جلس المنتصر بالله ـ الخليفة العباسي ـ مرة يلهو ، فرأى في بعض البسط دائرة فيها فارس عليه تاج وحوله كتابة فارسية ، فطلب من يقرأ .

فأحضر رجلاً مترجماً ، فنظر فقطب وسكت وقال : (لا معنى له) .

فألحَّ المنتصر عليه .

قال فيه : (أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبي فلم أمتع بالملك سوى ستة أشهر) .

قال : فتغير وجه المنتصر وقام .

فلم يمر إلاَّ ستة أشهر ، وكان يتهم بأنه تواطأ على قتل أبيه فما أمهل .

وورد عنه أنه قال في مرضه : «ذهبت يا أماه مني الدنيا والآخرة ، عاجلت أبي فعوجلت» .

قال الذهبي : فتحيلوا ـ أي الأتراك ـ إلى أن دسوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار عند مرضه فأشار بفصده ثم فصده بريشة مسمومة فمات فيها .

ويقال ، والكلام للذهبي أيضاً : أن طيفور نسي ومرض ، فافتصد بتلك الريشة فهلك(١) .

فكما تدين تدان ، ولا مفر من الذنب .

(١) «سير أعلام النبلاء» ج١٢ ، صفحة ٤٣ ، ٤٥ .

دعوة أبو منازل

عن أبي عبدالرحمن الطائي قال : كان رجل من بني فهد كبر وضعف يكنى أبامنازل ، وله ابن يقال له منازل ، وكان له أولاد صغار ، فكان إذا أصاب شيئاً أعطاهم إياه ، وكان منازل يقبض عطاء أبيه وكان شيخاً كبيراً ، فولد للشيخ بنون صغار ، فكان منازل يستأثر مالهم ، فلما خرج العطاء خرج منازل يقود أباه حتى أجلسه يقبض عطاءه ، فلما نودي باسمه قام منازل ، فقال : أعطوني عطاءه .

فقام الشيخ فقال : أعطوني عطائي في يدي .

ففعلوا ، فحمل عطاءه ، ثم قام يتوكأ على منازل .

فقال منازل : هلم أحمله عنك .

قال الشيخ : دعه .

فلما خلا له الطريق فك يد أبيه ثم أخذ العطاء فذهب به ، فانصرف الشيخ وليس معه في يده شيء .

فقال له أهله وولده : ما صنعت؟ !

قال : أخذ منازل عطائي ، وأنشأ يقول :

جـــــــــزت رحـم بيـنـي وبـين منــازل

جـزاء كـمـا يسـتنجـز الدَّين طالبـه

وربيـــتـــه حـــتى إذا مـــا هو اســـتـــوى

كـبـيــراً وســاوى عــامل الرمح غــاربه

تظـلـمـنـي مـــــالي كــــذا ولـوى يدي

لـوى يده الـلـه الـذي هـو غـــــالـبـــــه

فأصبح منازل ملوية يده(١)

(١) مجابو الدعوة، لابن أبي الدنيا

جزاء النضيرة بنت الساطرون

الساطرون هو الضيزن بن معاوية صاحب «الحضر» .

و«الحضر» هو حصن على حافة الفرات وبداخله مدينة عظيمة أغار عليها سابور وحاصره سنتين ، فأشرفت النضيرة بنت الساطرون ، فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من الذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ .

وكان سابور جميلاً فدست إليه تسأله : أتتزوجني إن فتحت لك باب الحضر؟ فقال : نعم .

فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر ، وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت ابنته النضيرة مفاتيح باب «الحضر» من تحت رأس أبيها وبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب فدخل سابور «الحضر» فقتل ساطرون واستباح «الحضر» وخربه وسار بها معه فتزوجها .

وفي ليلة وهي نائمة على فراشها إذا جعلت تململ لا تنام ، فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس !

فقال لها سابور : أهذا الذي أسهرك؟ !

قالت : نعم .

قال : فما كان أبوك يصنع لك؟ !

قالت : كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويسقيني الخمر .

قال سابور : أفكان جزاء أبيك ما صنعت به؟ ! ! أنت إلى ذلك أسرع : أي إلى العقاب .

فربط قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها ، كما كانت سبباً في مقتل أبيها[1] .

جزاءً وفاقاً .

(١) «الجزاء من جنس العمل» ، الجزء الثاني .

الفصل الخامس

الظلم

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»[١] .

أمـــا والـلـه إن الـظـلـم لـؤم
ومـــازال المسيء هو الـظـلـوم
إلـى ديَّـان يـوم الـديـن نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا
وغـداً عند الإله من الملوم[٢]

أولاً ـ الضوء الأخير .

ثانياً ـ صرخة ضمير .

ثالثاً ـ الحسرة .

رابعاً ـ إنها دعوة مظلوم .

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» وصححه الألباني .

(٢) أبو العتاهية .

الضوء الأخير

أنا زوجة وأم لابن وبنت ، ومنذ أن بدأت حياتي مع زوجي ونحن نعيش حياة رغدة ، وقد استعنت طوال حياتي الزوجية على تربية أولادي بمربيات عديدات ، وكانت كل واحدة منهن لا تمكث عندي أكثر من شهرين ثم تفر من قسوة زوجي العدواني بطبعه ، فقد كان يتفنن في تعذيب أي مربية تعمل عندنا ، ولا أنكر أني شاركته في بعض الأحيان جريمته .

ولما صارت ابنتي في السابعة من عمرها وابني في المرحلة الإعدادية ، جاءنا مزارع من معارف زوجي يصطحب معه ابنته الطفلة ذات الأعوام السبعة فاستقبله زوجي بكبرياء وترفع .

قال المزارع البسيط : أنه أتى بابنته لتعمل عندنا مقابل عشرين جنيهاً في الشهر ، فوافقنا .

وترك المزارع طفلته فانخرطت في البكاء وهي تمسك بجلباب أبيها ، وانصرف الرجل دامع العينين .

بدأت الطفلة حياتها الجديدة معنا ، فكانت تستيقظ في الصباح الباكر لتساعدني في إعداد الطعام لطفلي ، ثم تحمل الحقائب المدرسية وتنزل بها إلى الشارع وتظل واقفة مع ابنتي وابني حتى يحملهما أتوبيس المدرسة ، وتعود إلى الشقة فتتناول إفطارها ، وكان غالباً من الفول بدون زيت ، وخبز على وشك

التعفن ، ثم تبدأ في ممارسة أعمال البيت من تنظيف ومسح وشراء الخضر وتلبية النداءات حتى منتصف الليل فتسقط على الأرض كالقتيلة وتستغرف في النوم ، وعند أي هفوة أو نسيان أو تأجيل أداء عمل مطلوب ينهال عليها زوجي ضرباً بقسوة شديدة ، فتتحمل الضرب باكية صابرة ، ورغم ذلك فقد كانت في منتهى الأمانة والنظافة والإخلاص لمخدوميها ، تفرح بأبسط الأشياء .

ورغم اعترافي بأني كنت شريكة لزوجي في قسوته على الخادمات وتفننه في تعذيبهن ، إلاّ أنه كانت تأخذني الشفقة في بعض الأحيان بهذه الفتاة ، لطيبتها وانكسارها فأناشد زوجي ألاّ يضربها ، فكان يقول لي : إن هذا «الصنف» من الناس لا تجدي معه المعاملة الطيبة .

واستمرت الفتاة تتحمل العذاب في صمت وصبر ، وحتى حين يأتي العيد ويخرج طفلاي مبتهجين تبقى هذه الطفلة المسكينة تنظف وتغسل دون شفقة .

أما أبوها فلم نره إلاّ مرات معدودة عندما يأتي لأخذ الأجرة ، ثم يرسل أحد أقاربه لاستلام أجرتها الشهرية ، كما لم ترَ أمها وأخواتها إلاّ في ثلاث مناسبات محدودة : الأولى حين مات شقيقها الأكبر ، والمرة الثانية حين مرضت مرضاً مُعدياً وخشينا على طفلينا من انتقال العدوى إليهما فأبعدناها إلى بلدتها ، والمرة الثالثة عند وفاة أبيها .

وأنا أبكي الآن كلما تذكرت قسوة عقابنا لها إذا أخطأت أي خطأ ، فقد كان زوجي يصعقها بسلك الكهرباء ! ! وكثيراً ما حرمناها من وجبة عشاء في ليالي البرد القاسية فباتت على الطوى جائعة ، ولا أتذكر أنها نامت ليلة ، عدة سنوات طويلة ، دون أن تبكي ! !

وتقول صاحبة القصة : وسوف تتساءل لماذا تحملت كل هذا العذاب ولم تهرب بجلدها من جحيمكم؟

وأجيبك : إن الفتاة حين قاربت سن الشباب خرجت ذات يوم لشراء الخضروات ولم تعد ، فسأل زوجي البواب عنها وعرف أنها كانت تتحدث لفترات طويلة مع شاب يعمل لدى جزار بنفس الشارع ، وأنه من المحتمل أن تكون قد اتفقت معه على الزواج حتى ينتشلها من هذه الحياة القاسية .

ولكن لم يمض أسبوع حتى كان نفوذ زوجي قد تكفل بإحضارها من مخبئها ، واستقبلناها عند عودتها استقبالاً حافلاً بكل أنواع العذاب ، فقام زوجي يصعقها بالكهرباء وتطوع ابني بركلها بعنف ، إلاّ ابنتي فإنها كانت تتألم بما يفعل بهذه الخادمة المسكينة .

وعادت المسكينة لحياتها الشقية معنا واستسلمت لمصيرها ، فإذا أخطأت أو أجلت عملاً لبعض الوقت يضربها زوجي ضرباً مبرحاً ، وكنا نستمتع ونخرج في الإجازات ونترك لها بقايا طعام الأسبوع ، ثم شيئاً فشيئاً بدأنا نلاحظ عليها أن الأكواب والأطباق تسقط من يديها وأنها تتعثر كثيراً في مشيتها ، فعرضناها على الطبيب فأكد لنا أن نظرها قد ضعف جداً وأنها لا ترى حالياً ما تحت قدميها أي أنها أصبحت شبه كفيفة ، ورغم ذلك لم نرحمها وظلت تقوم بكل أعمال البيت وتخرج لشراء الخضر من السوق ، وكثيراً ما صفعتها إذا عادت من السوق بخضروات ليست طازجة ، فأشفقت عليها زوجة البواب فكانت تشتري الخضروات لها حتى تنقذها من الإهانة والضرب .

واستمر الحال هكذا لفترة من الزمن ، ثم خرجت الفتاة ذات يوم من

البيت بعد أن أصبحت كفيفة تقريباً ولم تعد مرة أخرى ، ولم نهتم بالبحث عنها هذه المرة .

ومضت السنوات فأحيل زوجي للتقاعد وفقد المنصب والنفوذ وتخرّج ابني من الجامعة وعمل وتزوج وسعدنا بزواجه ، اكتملت سعادتنا حين عرفنا أن زوجته حامل ، وبعد مرور شهور الحمل وضعت مولودها ، فإذا بنا نكتشف أنه كفيف لا يبصر ، وكانت صدمة قاسية علينا ، وتحولت الفرحة إلى حزن ، وعرضناه على الأطباء ولكن بلا فائدة . واستسلم ابني وزوجته للأمر الواقع ، وأدخلنا حفيدنا حضانة للمكفوفين ، وقررت زوجة ابني ألاَّ تحمل خوفاً من تكرار الكارثة .

ولكن الأطباء طمأنوها وشجعوها على الحمل وشجعناها نحن أيضاً ، وحملت وأنجبت طفلة جميلة ، وزف الطبيب إلينا البشرى بأنها ترى وتبصر كالأطفال ، وسعدنا بها سعادة مضاعفة ، وبعد سبعة شهور لاحظنا عليها أن نظرها مركز في اتجاه واحد لا تحيد عنه ، فعرضناها على أخصائي عيون ، فإذا به يصدمنا بحقيقة أشد هولاً وهي أنها لا ترى إلاَّ مجرد بصيص من الضوء وأنها معرضة أيضاً لفقد بصرها ، فأصيب زوجي بحالة نفسية فسدت معها أيامه وكره كل شيء ونصحنا الأطباء بإدخاله مصحة نفسية لعلاجه من الاكتئاب .

وانقبض قلبي وتذكرت فجأة الكسيرة التي هربت من جحيمنا كفيفة بعد أن أمضت معنا عشر سنوات ذاقت خلالها أهوال الصعق بالكهرباء والضرب والهوان والحرمان ، وساءت نفسي من الجزع ، هل هذا عقاب السماء لنا على ما فعلناه بها؟ !

وأصبحت صورة هذه الفتاة اليتيمة التي أهملنا علاجها وتسببنا في كف بصرها تطاردني في وحدتي ، وتعلّق أملي في عفو ربي عما جنينا في أن أجد هذه الفتاة وأكفّر عما فعلناه بها .

وبعد البحث والسؤال عنها علمنا أنها تعمل خادمة بأحد المساجد ، فذهبت ليها أحضرتها لتعيش معي ما بقي لي من أيامي ، ورغم قسوة الذكريات ، فقد فرحت بسؤالي عنها وسعيي إليها لإعادتها ، وحفظت العشرة التي لم نحفظها وعادت معي تتحسس الطريق وأنا أمسك بيدها ، استقرت الفتاة معنا وأصبحت أرعاها بل وأخدمها هي وحفيدي الكفيفين وأملي ودعائي لربي أن يغفر لي ما كان ، وأن أقول لمن انعدمت الرحمة في قلوبهم : إن الله حي لا ينام فلا تقسوا على أحد فسوف يجيء يوم تندمون على ما فعلتم في قوتكم وجبروتكم(١) .

أرجو أن يكون في هذه القصة عبرة في معاملة الغير ، وخاصة الخدم والعمال ومن على شاكلتهم .

(١) جريدة «الأهرام» المصرية ، تاريخ ١٥/ ١/ ١٩٩١م .

صرخة ضمير

رجل له زوجتان ، ولدت الأولى ابناً ولم تلد الزوجة الثانية ، وحاولت الزوجة الثانية القضاء على الابن بشتى الطرق .

وفي يوم رأت عجلاً لها يقترب من مهد الصبي ويأكل قماطه[1] ، وصادفت أسنان العجل أصابع اليد اليمنى للصبي فأكلها ولم تحاول إبعاد العجل عن الصبي . وبعد زمن غير يسير ماتت أم الصبي وعاش الصبي في رعاية أبيه ، ثم مات الأب وقد بلغ الصبي سن الرشد ، وينتقم الله من تلك المرأة التي ولدت ثلاثة أولاد ماتوا كلهم في المهد ولم يبق لها راع يرعاها ويحنو عليها إلاّ ذلك الصبي الأعضب الذي أكل العجل أصابعه ، وعاشت معه تحت رعايته وحنانه وعطفه وإنفاقه وهي تجتر مصائبها مع ضميرها الذي بدأ يستيقظ .

وفي يوم ما وقد رأته رجلاً كاملاً مرموقاً في عشيرته جالساً في ديوانه ، يتناول فنجان القهوة بإبهام وكف بلا أصابع ، فجأة صرخت بأعلى صوتها ثم دخلت عليه في مجلسه لتحدثه بما فعلت ، وتطلب منه السماح والعفو ، وبعد ثلاثة أيام تموت بحسرتها[2] .

لقد انتقم الله عز وجل من هذه المرأة القاسية بأن عاشت حياتها في حسرة تجتر أحزانها وتندم على فعلتها ، وإن ربك لبالمرصاد .

(١) القماطة : عبارة عن لفائف من القماش يلفون بها الصبي .

(٢) «من غريب ما سألوني» ، الجزء الثاني ، صفحة ١٤٠ .

الحسرة

رجل مـاتت زوجتـه وله منهـا ابن في السـابعـة من عـمـره ، وتزوج الأب ، وكـانت زوجته قـاسية القلب في معاملة الابن تمقته ، ومن حقدها حرمت ابن زوجها من الذهاب إلى المدرسة ، فاشترت له غنماً وكلفته برعايتها وأخذت تحاسبه على كل صغيرة وكبيرة من شؤون الأغنام ، ومن شدتها عليه كانت تحاسبه على التصاق العشب في صوفة الأغنام .

وولدت هذه المرأة القاسية ابناً ففرحت به ، وجعلت تعامله بدلال وعطف وحنان لتغيظ ابن زوجها ، ولكنه لم يعـد يهتم بذلك فقد مـاتـت نفسه من المعاملة السيئة .

بلغ الابن البائس من العمر (١٥) سنة ، وبلغ أخوه المدلل الثماني سنين ، فأصيب الابن المدلل بالنكاف[1] وتمكن المرض من الحبال الصوتية ففقدها الصبي ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره مات ، أما الابن البائس لما بلغ التاسعة عشرة من عمره هرب فاراً بعمره من شدة ما عاناه ، وبحث عنه أبوه ولكنه لم يعثر عليه ومن شدة حزنه على ابنه مات بعد ثلاث سنوات .

مات الأب واستولت الحكومة على أمواله وسلمت المرأة نصيبها من الميراث ، ثم أخذت الحكومة تبحث وتسأل عن الوارث ، وتبين بعد مدة أنه مهاجر من بلده إلى إحدى دول أمريكا اللاتينية وقد أغناه الله .

(١) هو مرض يصيب اللوزتين .

لما عرف الابن البائس بالخبر كتب إلى زوجة أبيه يعزيها بوفاة والده ، ويتيح لها أن تأكل ما تشاء وسوف يزورها إذا حانت الفرصة .

كانت هذه الرسالة أشد من طعنة الخنجر ، وعاشت هذه المرأة القاسية والحسرة تملأ قلبها ، وفي يوم من الأيام يزورها ابن زوجها فيراها مهدمة لا تملك من الصحة شيئاً إلا قلباً مملوءاً حسرة ودموعاً بائسة وحزناً طويلاً .

ولما رأت المرأة ابن زوجها ، طلبت منه السماح والعفو واستغفرت ربها عما أذنبت تجاه هذا الابن البائس الذي كان محسناً كريماً معها في آخر أيامها(١) .

(١) «من غريب ما سألوني» بتصرف ، الجزء الثاني ، صفحة ١٤٠ ، ١٤١ .

إنها دعوة مظلوم

تجمعت الأسرة حول مائدة الإفطار ينتظرون الأذان ، ولو اطلعت على الطعام الجاف القاسي الذي استقر أمام تلك الأسرة لرثيت لحالهم ، ومع ذلك كان الكل يقول : الحمدلله .

وكان رب الأسرة شارد الفكر يستعيد في قلبه الحديث الذي دار بينه وبين ذلك الطاغية الجبار الذي تهدَّده إن لم يُرجع له المبلغ الذي استلفه منه اليوم فإنه سيناله عذاب شديد ، ولكن كيف يستطيع هذا المسكين أن يعيد له تلك الجنيهات وهو لا يملك أن يطعم الأفواه الجائعة ولا أن يكسو الأجسام العارية .

وكيف سيواجه ذلك الطاغية المتحجر القلب سليط اللسان مع جهل وحمق؟

وفجأة وهو شارد تائه مع أفكاره سمع طرقات هزت الباب بل هزت جدران المنزل ، وصوتاً أجش يرغي ويزبد هائجاً كأنه ثور هارب من حظيرة ، وفتح هذا المسكين الباب بيدين مرتجفتين وإذا بالطاغية الجبار يقف كالمارد أمام الأب المسكين والشرر يتطاير من عينيه ، ودون أن يتكلم هاذ الطاغية كلمة واحدة تناول ذلك المسكين يوسعه ضرباً بيده وركلاً برجله وسباباً وشتماً أمام أولاده الصغار ، الذين ارتفعت أصواتهم تستغيث ، ودوى صوت الأم طالبة المساعدة ، وأسرع الجيران لإنقاذ هذا الجار المسكين . وبعد أخذ وعطاء وتوسل ورجاء ترك

هذا الوحش المتسلط فريسته بعد أن أشبع نهمه وأرضى نفسه ، وبعد أن سقط هذا الأب المسكين ممدداً على الأرض دون حراك ، وفي هذه اللحظة ارتفع صوت المؤذن : الله أكبر ، الله أكبر . .

ومع الأذان نظر المسكين إلى الطاغية ثم نظر إلى السماء وأخذ يردد بصوت متهدج ودموع تتقاطر من عينيه : «روح الله ينتقم منك ، الله ينتقم منك . . .» .

ومرت عشرة أيام على هذه الحادثة المؤلمة ، فإذا بذلك الظالم يشكو من ألم في ساقه ، وحار أطباء بلده في ألمه ، ولما لم يجد عندهم ما يخفف ألمه غادر القرية إلى المدينة ، وهناك دخل المستشفى بساقين وخرج بساق واحد .

لقد كان مرضاً خبيثاً . . إنه السرطان ، ولم يمض وقت طويل حتى أصاب الساق الثانية ما أصاب الأولى ، وخرج ذلك الطاغية الظالم مكسور الجناحين لا يستطيع أن يسير بل يحتاج إلى من يحمله ، ويحتاج إلى من يخدمه ويطعمه ويقضي له التافه من أموره .

لقد أصابت هذا الظالم دعوة المظلوم في ساعة استجابة ، وهذا مصير كل ظالم (فإن الله يمهل ولا يهمل)(١) .

---

(١) «مواقف ذات عبر» د . عمر الأشقر»

الفصل السادس

جزاء الذنوب

قال تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾(١) .

عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : «حلوة الدنيا مرة الآخرة، ومرة الدنيا حلوة الآخرة» .

يا من تمتع بالدنيا وزينتها
ولا تنام عن اللذات عيناه
أفنيت عمرك فيما لست تدركه
تقول لله ماذا حين تلقاه

أولاً ـ العاقل من لم يغتر بإقبال الدنيا

ثانياً ـ نسي القرآن بسبب تنصره .

ثالثاً ـ لله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم .

رابعاً ـ جزاء من يسخر من الشعائر الإسلامية .

(١) سورة التوبة : الآية ٨٢ .

العاقل من لم يغتر بإقبال الدنيا

يروي بطل هذه القصة قائلاً :

أبي وعمي أخوان شقيقان ، مات أبوهما فقيراً ، وعاشا بعده في بيت واحد ، ولكن عمي كان يخاصم أبي ويعامله معاملة سيئة مع أنه أكبر منه . . ومع ذلك أبي يصبر ويتحمل .

واشتغل عمي بالتجارة فكثرت أمواله وصار غنياً ، وأبي ظلّ موظفاً يعاني شظف العيش مع كثرة أولاده وكثرة تكاليفهم ، وكان يحب أولاده ويوسع عليهم ويصل أخواته وإخوانه الصغار .

وفي يوم من الأيام زارنا جماعة من أقاربنا فدعاهم أبي بصفته أكبر إخوته ، ثم دعاهم عمي . . . ومن خلال وجودنا في بيت عمي كان يعامل أبي باحتقار ، وكنت أرى عمي يظهر حركات ليقلل من قدر أبي ، وأبي صابر ، ورغم صغر سني إلاّ أني كنت أتألم .

وتمر الأيام سراعاً ، وفي يوم العيد قال بعضنا لبعض ـ نحن الإخوة الأولاد ـ : لنذهب إلى عمنا لنعايده .

ولما دخلنا بيت عمي أقبل علينا عابساً ، وبما أني كنت صاحب الرأي بَصَق في وجهي . ومسحت البصقة بطرف «غترتي» ، وخرجنا من بيته مطرودين خائبين ، ومنذ هذه الحادثة مرت ثلاثون سنة لم أقابل عمي فيها .

وأكملتُ دراستي وتخرجتُ وصرت ـ ولله الحمد ـ مهندساً بارزاً وكنت ناجحاً في عملي ، ارتقيت مناصب عدة حتى صرت رئيس مجلس لإحدى الشركات الأهلية .

وفي يوم يدخل عمي المكتب وسلَّم علي باحترام ، فقمت له هاشاً باشاً وقبَّلت يده ورحَّبت به أجمل ترحيب ، وقلت له : في الحقيقة يا عمي هذه زيارة غريبة . . !

قال : يا بني جئت أبحث عن عمل ، فأنا الآن محتاج . . !

عندها اغرورقت عيناي بالدموع . . ثم أمرت له بالشاي ، ثمَّ قدمت له ورقة كتب عليها الطلب فأخذت الطلب ووقعت عليه بالقبول . . وأصبح عمي موظفاً عندي . . !

وما أن انتهى الدوام حتى كنت عند أبي ، واستغرب أبي لحضوري في مثل هذا الوقت ، ، فبادرني بالسؤال : عسى ما شر؟ !

فقلت له : جئت أخبرك أن عمي أصبح موظفاً عندي . . !

فسكت سكتة طويلة ثم رفع رأسه إلي وقال : يا بني إياك والشماتة . . . ثم مسح دموعه وقال : يا بني أحسن إلى عمك فإنه محتاج إليك .

ثم أخبرني أبي أنه كان يدفع لعمي في هلال كل شهر رمضان من زكاة ماله ، ثم قال : أوصيك يا بني بالتواضع والإحسان إلى عمك ، والحمدلله الذي فضلنا على كثير من خلقه[1] .

(١) «من غريب ما سألوني» ، للشيخ عبدالله النوري ، الجزء الأول ، صفحة ٢٣ ، ٢٤ ، بتصرف .

نسي القرآن بسبب تنصره

قال عبدة بن عبدالرحيم : خرجنا في سرية إلى أرض الروم فصحبنا شاب لم يكن فينا أقرأ للقرآن منه ولا أفقه ولا أفرض ، صائم النهار قائم الليل ، فمررنا بحصن فمال عنه العسكر ونزل الشاب بقرب الحصن فظننا أنه يبول ، فنظر إلى امرأة من النصارى تنظر من وراء الحصن فعشقها ، فقال لها بالرومية : كيف السبيل إليك؟

قالت : حين تتنصر ويفتح لك الباب أنا لك .

ففعل فدخل الحصن .

قال : فقضينا غزاتنا في أشد ما يكون من الغم كأن كل منا يرى ذلك بولده من صلبه ، ثم عدنا في سرية أخرى فمررنا بالحصن فإذا الشاب ينظر من فوق الحصن مع النصارى ، فقلنا : يا فلان ما فعلت قراءتك؟ ما فعل علمك؟ ما فعلت صلواتك وصيامك؟

قال : اعلموا أني نسيت القرآن كله ما أذكر منه إلا هذه الآية : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝﴾(١) (٢)

---

(١) سورة الحشر : الآيتان ٢ ، ٣ .

(٢) «غرائب الأخبار» ، الجزء الأول .

لله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم

سمر المنصور الخليفة العباسي ذات ليلة ، فذكر خلفاء بني أمية وسيرتهم ، وأنهم لم يزالوا على استقامة ، حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين ، فكان همهم في عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وإيثار اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلاً منهم باستدراج الله تعالى ، وأمناً من مكره تعالى ، فسلبهم الله الملك والعز ونقل عنهم النعمة .

فقال له صالح بن علي : يا أمير المؤمنين ! إن عبيدالله بن مروان لما دخل النوبة هارباً فيمن اتبعه ، سأله ملك النوبة عنهم فأخبره ، فركب إلى عبيدالله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك .

فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قدمت أرض النوبة بأثاث سلم لي ، فافترشته بها ، وأقمت ثلاثاً ، فأتاني ملك النوبة ، وقد أخبر أمرنا فدخل عليَّ رجل طوال أقنى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب .

فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا؟

فقال : إني ملك ! وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه الله .

فقلت : اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم .

قال : فَلم تطأون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم؟

قلت : فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم .

قال : فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو محرم عليكم في كتابكم؟

قلت : ذهب منا الملك وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على كره منا .

فأطرق ينكت بيده الأرض ويقول : عبيدنا وأتباعنا ، وأعاجم دخلوا في ديننا ، ثم رفع رأسه إليَّ وقال : ليس كما ذكرت ، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ، ولله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فينالني معكم ، وإنما الضيافة ثلاث فتزود ما احتجت إليه وارتحل عن أرضي .(١)

(١) «جولة في رياض العلماء» ، صفحة ١٥ ، ١٦ .

جزاء من يسخر من الشعائر الإسلامية

ذُكر عن أبي داود - صاحب «السنن» - قال : كان في أصحاب الحديث خليع - أي فاسق وقح - سمع حديث : «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم» . فجعل في نعله ورجليه مسامير حديد ، وقال : أريد أن أطأ أجنحة الملائكة . فأصابته الأكلة في رجله .

وفي رواية : فشلت يداه ورجلاه وسائر أعضائه(١) .

ذكر ابن خلكان في «الوفيات» وابن كثير في «البداية والنهاية» وغيرهما من المؤرخين فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليونيني قال : بلغنا أن رجلاً يدعى أبا سلامة من ناحية بصرى ، كان فيه مجون ووقاحة واستهتار ، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة ، فقال : والله لا أستاك إلاّ في المخرج - أي الدبر - فأخذ السواك فوضعه في مخرجه ثم أخرجه ، فمكث بعد تسعة أشهر يشكو ألم البطن والمخرج فوضع ولداً على صفة الجرذان - نوع من الفأر - وله أربعة أنياب بارزة وذَنب طويل مثل شبر وأربعة أصابع ، ودبر كدبر الأرنب ، ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات ، فقامت ابنة الرجل فرضخت رأسه فمات ، وعاش الرجل بعد ذلك يومين ، ومات في اليوم الثالث ، وكان يقول : هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي .

(١) «نصب الموائد» صفحة ١٦ .

وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان ، ومنهم من رأى ذلك الحيوان وهو حي ومنهم من شاهده بعد أن قتل[1] .

إن في هاتين الحادثتين عبرة بالغة لأولئك الذين يسخرون من الشعائر الإسلامية والذين يتندرون بالذين يقتدون بسنة رسول الله ﷺ ويسخرون منهم .

(١) «نصب الموائد» صفحة ١٦ .

الجزء الثالث

الفصل الأول

العقوق

قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾[1]

قال رسول الله ﷺ : «رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما»[2] .

أولاً ـ جزاء عقوق الأم .

ثانياً ـ أعق الناس .

ثالثاً ـ الشاعر العاق .

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٧ .

(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني .

جزاء عقوق الأم

نشأ مدللاً بين والديه ، ومات والده وقامت أمه برعايته حتى كبر واشتد ساعده واستوى على سوقه ، وأصبح رجلاً وعمل في مجال التجارة حيث إن والده ترك له ثروة لا بأس بها ، ودعوات الأم الطيبة ترافقه في كل مكان ، ومع كل خطوة يخطوها تدعو له بالتوفيق فكثرت أمواله واتسعت تجارته . وكانت أمه لازالت ترعاه وتقوم بشؤونه وتفرح لفرحه وتحزن لحزنه وتواسيه وتحبب إليه الحياة وتحثه على العمل ، فكانت هي السبب بعد الله ـ عز وجل ـ في هذه الثروة العظيمة التي يمتلكها ، وهذه الشهرة التي اشتهر بها بين الناس ، والأم لا تكمل فرحتها إلا بزواج ولدها لتفرح به وبأولاده ، وتسعد معه بتكوين أسرة تكمل المشوار . وبحثت له عن بنت الحلال ، ولكنه لم يرض بما أشارت إليه بهن أمه ، بل اختار هو بنفسه وتزوج وفرح بزواجه ولكن فرحة أمه أكبر وأعظم ، وأخذت الأم تدعو ربها أن يرزق ولدها الذرية الصالحة لكي تفرح بهم وتسعد معهم ، واستجاب الله تعالى لدعائها ورُزق بولدين مطيعين له ، فأحبهما أكثر من نفسه ورعاهما وسهر على راحتهما حتى كبرا وشبّا عن الطوق ، وكبرت الأم وصارت بحاجة إلى من يرعاها ويقوم بشؤونها ، ولكنه تأفف من ذلك ، فرغم أنه الرجل صاحب الثروة الكبيرة والجاه العظيم ، إلا أنه بخل على أمه بأن يجعل لها خادمة تقوم برعايتها ، وتضايق من أمه ، وفكر في وسيلة تريحه منها ، فهو لا يطيق حتى أن ينظر إليها ، ودفعه تفكيره إلى أن يودعها في دار العجزة .

فتباً له من ولد عاق كيف هانت عليه أمه أن يودعها دار العجزة أين السهر؟

أين المعاناة؟ أين الصبر؟ أين الحنان؟ أين الرعاية؟ . . . لقد ذهب كل هذا أدراج الرياح ، أمك التي بذلت كل ما في وسعها من أجلك يكون هذا جزاءها من ولدها الوحيد؟ ! فتباً لك ألف مرة .

وذهب مرة لزيارة أحد أصدقائه ليبث له شكواه ، وقال لصديقه وهو يندب حظه العاثر : تصور يا أخي ما أن أودعت والدتي دار العجزة « ورعاية المسنين حتى لامني الكثير من الأهل والأقارب والبعيد والقريب ممن أعرفهم ، فأجابه صديقه مندهشاً : ماذا تقصد بوالدتك التي أودعتها دار العجزة؟ ! هل هي أمك التي حملتك؟ أمك فلانة التي ربتك صغيراً ، ورعتك كبيراً؟ أم لديك أم غيرها؟ !

قال : بل هي أمي فلانة ! ! فما العجب في ذلك؟ وقد افتتحت الحكومة هذه الدار لأمثالها .

فقال صديقه : يا سبحان الله . . . اللهم ارفع مقتك وغضبك عنَّا . . . هل ضقت بوالدتك ذرعاً وأنت صاحب المال والجاه والثروة الواسعة والتي آلت إليك بسبب دعواتها لك بالتوفيق ، عد إلى رشدك يا رجل ، واستغفر الله واذهب إلى أمك وقَبِّل قدميها ، واسأل الله التوبة والمغفرة ، واطلب الصفح منها ، وعُد بها إلى البيت وهيِّئ لها من يقوم بخدمتها ، واعمل على سعادتها وراحتها ، أما إن كان الذي فعلته رغبة حرمكم المصون ، فلم أعلم ألك مطيَّة بين الرجال ، بل عرفتك رجلاً .

ولما سمع من صديقه هذا الكلام الصادق ضاق وهاج وماج وقال : يا أخي إن كنت ستزيد من آلامي فأنا في غنىً عن معرفتك .

فقال له صديقه : هذا لا يشرفني من ابن عاق مثلك فصداقة أمثالك عار .

ومرت الأيام وأمه ملقاة في دار العجزة لا أحد يزورها ، وهي تعاني من آلام الكبر والمرض والقهر ، واشتد عليها المرض ، ولم يزرها مرة واحدة ، ونقلت إلى المستشفى ، ولم يرق قلبه لها ، وحثه أقرباؤه وأبناؤه لزيارتها وهي في المستشفى فأبى واستكبر وأخذته العزة بالإثم ، واشتد عليها المرض ، واقترب الوعد الحق ، وعلم العاق أن أمه تعاني سكرات الموت ، فهل فاق وتاب وأناب . . . أبداً ، بل شد رحاله وغادر البلاد فجأة دون علم أحد ، وبعد أن تأكد أنها ودعت الدنيا بما فيها من مآسٍ ودفنت في قبرها ، عاد راجعاً ، ولكنه رجع ليجني ثمار ما زرع ، ويا شر ما زرعَ ، لقد زرع العقوق والعصيان ، فماذا سيجني؟ وماذا ستكون النتيجة؟ . . لا شك أنه سيجني البؤس والشقاء .

لم تمر إلا أيام معدودة قبل أن يجف قبر أمه ، تعرَّض فلذة كبده وأحب أبنائه إلى قلبه إلى حادث مروري مروِّع راح ضحيته الابن ، وكان هذا الحادث عبارة عن خنجر غُرس في قلب الأب ، ولم يمر عام على هذا الحادث الأليم ، إلا ويتعرض ولده الثاني وساعده الأيمن في تجارته وأعماله لمرض عُضال جعله ملازماً للسرير ، وأخذه والده وجال فيه أرجاء العالم ، يبحث له عن شفاء ولكن دون جدوى ، ولحق الابن الثاني بأخيه ، وبقي الأب وحيداً ، فقد كُسر جناحاه ، وساءت حالته النفسية ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وبارت تجارته ، وأخذ موظفوه يسرقونه ، وأخذ يجني ثمار زرعه ، وها هو يرى حياته تتصدع أمام عينيه ، وها هو يرى ما بناه يسقط أمامه دون أن يستطيع عمل أي شيء ، وها هي العقوبة تطل عليه في كل يوم وكل ساعة وكل لحظة ، والله أعلم بمصيره في الآخرة(١) .

إنها الحكمة الإلهية والعدل الإلهي ، فكما تدين تدان .

(١) عن جريدة الوطن الكويتية ، العدد (٧٢٢١) بتصرف .

أعق الناس

قال الأصمعي : حدثني رجل من الأعراب قال : خرجت من الحي أطلب أعق الناس وأبر الناس ، فكنت أطوف بالأحياء حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو لا تطيقه الإبل ، في الهاجرة والحر الشديد ، وخلفه شاب في يده رشاء ـ أي حبل على شكل سوط ـ ملوي يضربه به ، قد شق ظهره بذلك الحبل .

فقلت : أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه من حد هذا الحبل حتى تضربه؟ !!

قال : إنه مع هذا أبي !!

قلت : فلا جزاك الله خيراً .

قال : اسكت ، فهكذا كان يصنع بأبيه ، وكذا كان يصنع أبوه بجده .

فقلت : هذا أعق الناس[1] .

أي عقوق وصل بهذا الولد الشرير حتى وصل به الأمر أن يربط أباه بالحبل ويضربه بالسوط في عز الظهر ، فهو لا شك خاسر في الدنيا والآخرة ، وهذا جزاء الأب كما فعل بأبيه وسيُفعل بالابن كما فعل بأبيه أيضاً ، وكما تدين تدان فلا مفر من العقوبة .

(١) المحاسن والمساوئ .

الشاعر العاقُّ

كان جرير بن عطية الشاعر أعقَّ الناس بأبيه ، وكان بلال ابنه كذلك ، فراجع بلالاً في الكلام ، فقال له بلال : الكاذب بيني وبينك فاعل بأمه ! !

فأقبلت أمه عليه ، يا عدو الله تقول هذا لأبيك؟

فقال جرير : دعيه فكأنه سمعها مني وأنا أقولها لأبي (١) .

كما تدين تدان ، هكذا الإنسان يلقى جزاء عمله في الدنيا أمام عينيه ، ويشرب من نفس الكأس ويتجرع السموم نفسها التي سقاها لغيره ، فما بالك إذا كان هذا المقصود هو الأب أو الأم ، فبروا آباءكم وأمهاتكم ، تبركم أبناؤكم .

(١) الجزاء من جنس العمل .

الظلم

قال تعالى : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ : «أشد عذاباً للناس في الدنيا أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة»(٢) .

ومـــا من يد إلا يدُ الله فـــوقَـــهـــا

ولا ظـالـمٌ إلا سَـــيُـــبلىٰ بظـالـمِ

أولاً ـ جزاءً وفاقاً .

ثانياً ـ وتضحكون! وتضحك الأقدار!

ثالثاً ـ إن ربك لبالمرصاد .

رابعاً ـ عاقبة الافتراء والكذب على رسول الله ﷺ .

(١) سورة العنكبوت : الآية ٤٠ .

(٢) رواه أحمد والبيهقي والحاكم وصححه الألباني .

جزاءً وفاقاً

يقول الشيخ عبدالله التليدي في كتابه «نصب الموائد» : حدثني بعض حفظة القرآن من أصحابنا أن فقيهاً أخبره بأنه استدعى لغسل ميت في قرية ، فلما دخل عليه وكشف الستر عن وجهه فزع من منظره ، وحصل له رعب حيث رأى وجهه انقلب في صورة خنزير تماماً مع سلامة باقي جسمه ، فتركه ، وخرج مسرعاً إلى خطيب القرية فأخبره ، فجاء معه وشاهد الرجل ، فاتصل بزوجة الميت وسألها عمَّا كان يتعاطاه زوجها وألح عليها في ذلك فأخبرته بأنه كان يتعاطى السحر ، وكان عنده مصحف تحت التراب يبول عليه ، وكان لذلك تتصل به الشياطين[1] .

جزاءً وفاقاً ، لقد فضحه الله عز وجل في الدنيا قبل دفنه جزاء ما اقترفه من أعمال سيئة ليكون عبرة لغيره ، وكما تدين تدان .

(١) نصب الموائد .

وتضحكون وتضحك الأقدار!

تروي صاحبة القصة قصتها فتقول : تزوجته بعد موت زوجته التي خلفت بنتاً منه في الرابعة من عمرها ، كان يحب البنت ويذكر الأم ، وكان ذلك يغيظني منه ، وكم حاولت بشتى الوسائل والحيل أن أصرفه عن ذلك فلم أنجح ، كان يعتني ببنته عناية فائقة ، حتى إذا ما مرضت جاء بها في فراشنا ووضعها بيني وبينه ، ويتحسسها بين لحظة وأخرى ويقول : «يا خلف أمي وأبوي» .

قلت في نفسي : إلى هذا الحد يحبها ويحنو عليها ، وبيّتُّ مكراً لهذه البنت ، سوف أقتلها ، ولكن لن أقتلها بإزهاق روحها ، ولكن سأقتلها معنوياً ، سأدللها حتى تصبح خرقاء لا تحسن عملاً ولا ترقع ثوباً ، ولا تعرف طبخاً ، وسوف أجعلها لا تعرف أي حاجة تحتاجها الأنثى في بيتها ، سأجعل منها امرأة كسلانة لا تستطيع أن تدبر أمرها .

وبدأت بتنفيذ الخطة ، وكان الأب فرحاً من معاملتي لابنته ، لأني دللت البنت كما يظن ، حتى إذا كنا على مائدة الطعام والتفتت إلى الماء وإن كان الماء على السفرة ملأت الكأس بيدي لأسقيها ، أو آمر بنتي لتذهب وتأتي بالماء !

ولكن البنت كانت ذكية ، وكان ذلك يغيظي ، وكانت ناجحة في جميع الدروس ، كنت أبغّض إليها المذاكرة ، وكنت أوهمها أنها تعبانة لتنام كي لا تراجع دروسها ، ولكنها كانت لا تحتاج إلى مذاكرة ، لأنها ذكية ، وكانت من

المتفوقات دائماً ، وأكملت المرحلة الثانوية بنجاح وتجاوزتها إلى الجامعة وتخرجت من الجامعة ، وجاءها الخاطب ففرحت ، وقلت الآن ، وأقنعت أباها أن يزوجها ، وقبل نصيحتي ، وتزوجت . . . ولكن من تزوجت؟ !

لقد تزوجت من يحبها ويخاف عليها من هبوب الريح ، تزوجت من هيَّأ لها كل وسائل الراحة ، فالخدم يملؤون البيت وأمرها ينفذ قبل أن تنطق به ، ولن تحتاج إلى طبخ ونفخ ، وكانت عيشتها كلها سعادة ، مما زاد في غيظي وملأ قلبي حسرة . بعد زواجها بسنتين تزوجت ابنتي ، وكان زوجها رجلاً شديداً قاسياً سبَّاباً ، حديد المزاج ، بخيلاً دائم العبوس .

إنَّ ابنتي لم تذنب ، والذنب فعلته أنا ، لكن الله تعالى عاقبني في ابنتي(١) .

لقد أرادت هذه المرأة أن تقتل هذه البنت المسكينة وتجردها من أسباب حياتها وتجعلها بلهاء ، لا تعلم من أمور الحياة شيئاً ، ولكن الله عز وجل أراد بهذه البنت خيراً فحماها من كيد هذه المرأة ، فجعلها بنتاً ذكية متعلمة ، فكانت ربة بيت ممتازة ، ورزقها بزوج يحبها ويرعاها ،

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ .(٢)

لقد جعل الله كيد هذه المرأة في نحرها وعذبها بابنتها ، فملأ قلبها حسرة ، وها هي تعض أصابع الندم ، وكما تدين تدان .

(١) من غريب ما سألوني .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٣٠ .

إنّ ربّك لبالمرصاد

نشأ في أسرة متوسطة الحال بين أب لاه بسهراته العابثة وبمشاغله الخاصة ، وأعماله التجارية وأم أنانية لا همَّ لها إلا البحث عن الأزياء وغيرها من الأمور التافهة ، وكان يعيش هذا الشاب في ضياع أسري وإهمال دون رقيب أو حسيب ، وأدى ذلك الإهمال إلى فشل هذا الشاب في الدراسة ، وانطلق يسهر ويعربد وهو في سن الخامسة عشرة يسهر حتى الصباح ، ثم يعود إلى المنزل فلا أحد يسأل عنه ، وقد يتغيب عن البيت عدة أيام دون أن يفتقده أحد . وكان مثل هذا الشاب ، وهو يعيش مثل هذه الظروف السيئة ، لابد وأن يكون فريسة سهلة للشيطان ، لذلك ما أن دعاه الشيطان لسلوك طريق الشر ، لم يجد منه أي مقاومة فشرب الخمر ، وسرق ، وارتكب من الجرائم ما هو أفظع في ذلك ، لقد أصبح خبيراً في أنواع الجرائم ، بل صار عقله لا يخطط ولا يفكر إلا في ارتكاب الجرائم ، لذلك كان يرتكب الجريمة دون أن يترك وراءه أي دليل يدينه ، لقد كان حذراً يدرس ويخطط ويستغل ذكاءه في ارتكاب جرائمه مما جعله يتمادى في غيِّه ويستمر في ضلاله ، ولكن إذا كان ذكاؤه وتخطيطه استطاعا أن يبعدا عنه عيون الشرطة ، فإن عين الله لا تنام ولابد للشر من نهاية مهما طال الزمن ، ومهما كان المجرم ذكياً وحذراً ، فإنه لابد أن يقع ، وهذا ما حدث .

في يوم كان هذا المجرم الشرير جالساً في أحد المقاهي يشرب الشاي مع بعض أصدقائه فجأة دخل رجال الشرطة وانتشروا في المكان ، وبدأوا في تفتيش

جميع الموجودين ، لم يهتم هذا المجرم ، لأنه يعلم أنه غير مطلوب للشرطة ، ولا يعرفه أحد منهم وليس معه شيء يخاف أن يعلم به رجال الشرطة ، لذلك كان يجلس هادئاً ، ولم يبد عليه أي ارتباك أو خوف ، واقترب منه أحد رجال الشرطة ويبدأ في تفتيشه ، ولم يجد عنده شيئاً ، ولمَّا همَّ بالانصراف ، نظر الشرطي تحت أقدام المجرم ، وكانت المفاجأة ، لقد رأى الشرطي قطعة كبيرة من المخدرات تحت أقدامه ، إذن هو المطلوب ، وهو المبلغ عنه » ولكن كيف وصلت هذه القطعة إلى هذا المجرم ، لقد كان لدى رجال الشرطة معلومات عن وجود أحد المجرمين الذين يبيعون المخدرات ، ولما تفاجأ بدخول الشرطة ، قام هذا المجرم بالتخلص مما لديه من مخدرات ، فقذف بها فاستقرت تحت أقدام هذا المجرم الشرير ، دون كل الموجودين اختارته هو(١) .

وهكذا لقد أراد الله عز وجل أن يعاقب هذا المجرم على جرم لم يرتكبه ، وفي لحظة وقع هذا المجرم في يد العدالة بكل سهولة ، إن الله تعالى يمهل ولا يهمل ، ولقد كان لهذا المجرم مجال لأن يرتدع ويتوب ، ولكنه تمادى في غيِّه ، وغرَّه بالله الغرور ، لقد انتقم الله عزَّ وجلَّ من هذا المجرم بما ارتكبه من جرائم ، وبما دمَّر من بيوت » وكان الله عزَّ وجلَّ بالمرصاد ، وكما تدين تدان .

(١) من غريب ما سألوني الجزء الأول .

عاقبة الافتراء والكذب على رسول الله ﷺ

روى البخاري في صحيحه عن عبدالعزيز بن صهيب عن أنس قال : كان رجل نصراني ، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبي ﷺ ، فعاد نصرانياً ، فكان يقول : لا يدري محمد إلا ما كتبت له ، فأماته الله فدفنوه ، فأصبح ولقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، فحفروا في الأرض ما استطاعوا ، فأصبح قد لفظته ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه .

وروى مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : كان منَّا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبي ﷺ ، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب ، قال : فرفعوه ، قالوا : هذا كان يكتب لمحمد فأعجبوا به ، فما لبث أن قصم الله عنقه فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، فتركوه منبوذاً .

هكذا حتى الأرض نبذت هذا المرتد الأفَّاك الذي كذب على الله ورسوله ، حتى الأرض لم تطق جسد هذا الكافر ، ولم تتحمل أن تضمه فلفظته ، وألقته على وجهها ، إن جرم الردة عظيم ، وجرم الكذب على رسول الله ﷺ عظيم ، فهذا جزاؤه أن لفظته الأرض في الدنيا وله في الآخرة أشد العذاب . فالحذر كل الحذر من التطاول على رسول الله ﷺ والاستهزاء بسنته .

الفصل الثالث

الزنى

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾(١)

قال رسول الله ﷺ: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة ـ أي: كالسحابة ـ فإذا أقلع رجع إليه»(٢).

تفنى اللذاذة ممن ذاق صفوتها
من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها
لا خير في لذة من بعدها النار

أولاً ـ على الباغي تدور الدوائر.

ثانياً ـ سوء الخاتمة.

ثالثاً ـ صدقوني إنني أموت.

رابعاً ـ الشهوة.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٢.

(٢) رواه أبو داود والحاكم وصححه الألباني.

على الباغي تدور الدوائر

نشأ نشأة عادية ، كان يقضي معظم وقته في الشارع يلعب ويلهو مع أصدقائه الذين يقاربونه بالسن . هو بينهم شقي جداً وعصبي جداً ، لا يحب أن يضربه أحد أو يتحرض به ، ولا يتحمل الإهانة ، وكان دائماً يحب أن يكون هو الرئيس ، وكان أصدقاء السوء يرحبون به ، ويعتبرونه عضواً فعَّالاً في جمعية الفاشلين والمنحلين أخلاقياً . أما على المستوى الدراسي فكان فاشلاً دائم الرسوب ، وأين دور الأسرة من هذا العضو ا ، المريض التائه؟ !

لقد كان وضعه الأسري تعيساً ، فالأسرة ضائعة ، راعي الأسرة هو الأب لا يدري ماذا يفعل؟ وترك زمام رعاية الأسرة لأمه التي كانت شخصيتها ضعيفة ، ولا تدري ما يدور حولها ، وكانت الأسرة مثل السفينة في وسط بحر هائج ، لا أمل لها في النجاة أو الوصول إلى بر الأمان .

لما رأى أنه فاشل دراسياً ، خرج من المدرسة يبحث عن وظيفة ، فلم يجد إلا وظيفة في السلك العسكري ، وانخرط فيه ، ولكن بما أنه كان إنساناً غير سوي ، وغير مستقر نفسياً ، لم يدم في السلك العسكري ، وترك الوظيفة وأراد أن يعمل بالقطاع الخاص ، ولكن الفاشل نجاحه صعب ، وأشار عليه رفقاء السوء أن أسهل كسب للربح المادي هو الاتجار بالمخدرات ، وبما أنه ليس لديه أي رادع ديني ، أو أخلاقي ، أو اجتماعي يقيه من الوقوع في مثل هذه البؤر الفاسدة ، فإنه لم يتردد لحظة واحدة ، بل رحَّب بالفكرة وبدأ العمل .

وكانت النتيجة بالنسبة له ناجحة ، وجمع رأسمال لا بأس به ، وبدا عليه الثراء ، فزاد في فحشه وفجوره . وكما هو معروف ، فإن المال الحرام لا يذهب إلا في الحرام ، ولا يؤدي بصاحبه إلا إلى المهالك ، حتى جلوسه في البيت كان يقضيه في الفساد ، فكان يشاهد الأفلام الخليعة الساقطة ، حتى صار أسفل سافلين ، وانحدر خلقياً إلى أدنى درجة ، فصار إنساناً بلا دين ولا خلق ولا غيرة ، حتى الحيوان يشمئز منه ويخرجه من فصيلته ، وصار يرتاد شقق الدعارة ، ومواخير الفسق والفجور ، فصار القرد والخنزير أرقى منه خلقياً .

وفي إحدى الليالي الحمراء ، دعي إلى شقة نتنة ، ولما دلف إليها وجد فيها أحد المطربين يتلاعب بالعود ، وعبدة الشيطان يرقصون ويصفقون ويضحكون وكأنهم باقون خالدون !!

والدخان يتصاعد في كل مكان والكؤوس تلمع بما فيها مع أضواء المصابيح ، والأنخاب تتبادل بين النساء والرجال ، بل قل بين الإناث والذكور ، فالرجال لا يتواجدون في مثل هذه البؤر الفاسدة ، والمستنقعات الآسنة . واعتاد على هذا الجو الفاسد ، وفي كل ليلة يجد في هذه الشقة وجوهاً جديدة من النساء الحسناوات الفاتنات يرقصن ويتمايلن ويشربن .

وهكذا كل ليلة يسهر مع رفقاء السوء ، ورفيقات الشيطان إلى ساعات الفجر الأولى ، ولا يهدأ إلا مع صوت الأذان ينادي حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح .

ولكن من يسمع . . . إنها أجساد قد خلت من الشعور وخوت من الحياة ، وكما قال الشاعر :

لقــد أســمــعت لو ناديت حــيــاً

ولـكـن لا حــــيــــاة لمـن تـنـادي

وذات ليلة قرر هذا الماجن أن يستريح ولا يذهب إلى شقة الفساد ، ولكن من له أصدقاء مثل أصدقائه قد غلبوا الشيطان بمكرهم وخبثهم لا يمكن أن يهدأ أو يستقر لحظة ، فأصروا عليه وهو يتمنّع ، وأخذوا يغرونه ويصفون له الجو هذه الليلة بأنه جو ساخن ، فسوف يأتي مطرب مشهور لإحياء هذه الليلة - بل لدفنها وليس لإحيائها - وسوف تكون معه بنت جميلة باهرة الجمال رشيقة القوام ، فاتنة ، وسوف تصاحب هذا المطرب بالرقص والغناء ، فتاق قلبه وزاد شوقه وسبقهم إلى شقة الفجور ، وجلس ينتظر وكله شوق ، وإذا بالفتاة تدخل وهي ترقص مع أنغام الموسيقى وصوت المطرب الفاسد يزيد الجو سخونة ، وأخذت تتمايل ، والقلوب معها تتمايل ، وتعلقت العيون بها ، وأخذ هو يتفحصها من أخمص قدميها إلى أعلاها حتى وقفت عيناه عند وجهها فتسمَّرت ، ولم يرتد إليه طرفه ، وفغر فاه من هول المفاجأة ، وأراد أن يصرخ بأعلى صوته ، ولكنه لم يستطع . وأخذ شريط حياته الفاسدة يُعرض أمامه ، وأخذ يحدث نفسه قائلاً : أنا الذي كل ليلة مع بنت من بنات الهوى ، ألعب بهن كيف أشاء وأدنِّس شرفهن وشرف أسرهن يحدث لي مثل هذا الموقف؟ ! . . . أنا . . . أنا . . . أي حيوان خسيس يحدث له هذا؟ !

أتدرون ما الذي حدث؟ إن هذه الراقصة الفاتنة التي تتمايل بجسمها بين هؤلاء الذكور الفسقة والتي تاق قلب هذا الفاسق لها إنها أخته ! ! شقيقته من دمه ولحمه . . . ولم تكن تدري أن أخاها مدعو للتفرج على جمالها والتمتع

برقصاتها ، ولا هو يعلم وأصدقاء السوء أيضاً لا يعلمون ، ولكن لابد لأي شيء من نهاية إمَّا سعيدة ، أو تعيسة حسب العمل ونوعه ، إن كان عملاً طيباً فالنهاية سعيدة ، وإن كان عملاً خبيثاً فالنهاية تعيسة ولو بعد حين .

لقد كان منظر أخته وهي ترقص في هذا الجو القذر صدمة كبيرة له ، ولكنه تمالك نفسه رغم أنفه وجلس صامتاً ، يحترق من الداخل ، ولكنه لم يقم بأي حركة ، ولمحته أخته ، فعرفته فارتبكت ، وخافت وتظاهرت بالتعب والإرهاق ، وخرجت مسرعة إلى المنزل ، وأتم هو سهرته مع رفقاء السوء ، وأخذ يفكر كيف يتصرف مع أخته ، ودفعه تفكيره الشيطاني إلى أمر .

وفي الصباح ذهب إلى البيت ، وكأنه لم يرَ أخته في ذلك المكان النتن ، حتى اطمأنت أخته ، وتيقَّنت أنه لم يعرفها ، ولم يدر عن عملها شيئاً ، ومرت فترة تقارب الشهر ، وخرج مع أخته لقضاء بعض الحاجات في السوق ، وأثناء عودتهما عرج إلى طريق البر ، وتوغل في الصحراء ، فاستغربت أخته وقالت له : إلي أين أنت ذاهب؟ !

فتذرَّع لها بقضاء حاجة .

وفي وسط الصحراء القاحلة الخالية من النبات والطير والإنسان أنزلها من السيارة ، وأخرج سلاحه وأفرغ في رأسها طلقات ، وتركها تنزف وحيدة في هذا المكان الخالي ، ثم ذهب إلى أقرب مخفر للشرطة وسلم نفسه ، وبسرعة توجه رجال الشرطة إلى مكان الحادث ، فوجدوها قد زحفت لمسافة ٢٠ متراً تجاه الشارع العام ، ولكنها ماتت ، وقد تبين عند الفحص عليها أنها لم تمس ولا يثبت عليها أنها باشرت الزنا .

وحكمت عليه المحكمة بالسجن عشر سنوات فقط[1] !!

مجرم فاسد مروج للمخدرات قاتل يحكم عليه عشر سنوات ، ولكن ما النتيجة؟ هل اتعظ مثل هذا المجرم بهذا الحكم؟ . . . لا . . . بل تمادى في غيِّه وواصل فسقه وفجوره في السجن ، ففي أثناء سجنه ، راود شاباً وهتك عرضه ، وهذه هي نتيجة التهاون بشرع الله وعدم العمل بالقوانين الشرعية التي شرعها الله عز وجل .

إن هذه القصة تبين أن لكل شيء نهاية ، فمهما تمادى الإنسان واغتر بما لديه من مال وقوة ، فإن الله له بالمرصاد ، وإن الجزاء من جنس العمل ، فهذا الفاسق قد تعرَّض لبنات الناس ، فطعن بعرضه أمام عينيه ، فاعتبروا واعلموا أنه كما تدين تدان .

(١) جريدة الرأي العام (١٠٧٨٨) .

سوء الخاتمة

كان كثير السفر للبحث عن المتعة المحرمة ، وقد أمهله الله عز وجل علّه يتوب ، إلا أنه تمادى في غيِّه وأسرف على نفسه ، ونسي كل شيء ، إلا البحث عن البغاء والرذيلة ، دون خوف من الله تعالى ، وفي إحدى سفراته إلى «بانكوك» تعرف فيها على فتاة وتعلق بها وهام وصار يعاشرها معاشرة الزوج لزوجته ، وكان لا يصبر على فراقها ، ولا يحتمل غيابها ، ولا يستغني عنها ، وترك كل شيء ، ترك وطنه ، وأهله ، وعمله ، والأهم من ذلك ترك دينه ونسي خالقه فكان دائماً لا يطيق أن تغيب عنه لحظة واحدة .

وفي أحد الأيام خرجت من عنده لتعود إليه بعد برهة ، إلا أنها تأخرت عليه فطار صوابه ، واحتار ماذا يفعل إن لم تعد؟ وكيف يقضي حياته؟ وعاش ساعات حرجة يفكر فيها ، ومرت الثواني والدقائق عليه وكأنها قرون ، وانشغل فكره ، وضاق صدره ، وازداد قلقه ، وفجأة دخلت عليه ، فانفرجت أساريره ، وزال حزنه ، واستقبلها استقبالاً حافلاً يدل على حبه وولعه بهذه الساقطة ، وأراد أن يعبر لها عن مقدار فرحته بقدومها فخرَّ لها ساجداً ، ولكنه لم يقم بعدها ، ومات وهو ساجد لساقطة(١) !!

نسأل الله العافية والثبات على الدين .

---

(١) من أخبار المتكسين

إنها نهاية مأساوية حقاً ، لقد زيَّن الشيطان لهذا الفتي حتى جعله يسجد لداعرة ساقطة ، فبدل أن يخرَّ لله طالباً المغفرة راجياً العفو ، طامعاً بأن يتوب الله عليه وأن يغفر ذنوبه ، خر هذا التعس لهذه الساقطة ، وكانت السجدة الأخيرة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فاعتبروا يا أولي الألباب .

صدقوني إنني أموت

نشأ في أسرة متصدعة لا تربطها أي علاقة حب أو عاطفة أو رحمة ، فالأب قاسي القلب ، سريع الغضب ، بخيل على زوجته وأولاده . ثم تخلى هذا الأب عن أسرته ، وتركهم دون رعاية ، وتحملت الأم مسؤولية البيت ، وأخذت تشتري وتبيع كي توفر المال الذي تنفقه على عيالها ، ونتج عن تخلي الأب عن مسؤوليته وانشغال الأم بطلب الرزق أن انحرف الولد ، وانخرط مع رفاق السوء لا هم لهم إلا مغازلة الفتيات والبحث عن الرذيلة في الشقق المفروشة ، وانغمس في الحرام ، وزيَّن له رفقاء السوء والفساد السفر إلى بانكوك ، فإنه هناك سيجد كل ما يريده بين يديه بثمن بخس .

وأخذ هذا الولد الفاسد بالضغط على أمه المسكينة الضعيفة ، وأقنعها أنه يريد السفر إلى هناك كي يهرب من التجنيد الإلزامي ، فحنَّ قلب الأم ورقت له ، وهل هناك أرق من قلب الأم؟ !

كذب على أمه فصدقته وسافر إلى هناك مع قرناء السوء ووجد كل ما يحلم به من المتعة المحرمة ، وطالت إقامته وتزوج واحدة من المومسات ، وأنجب منها بنتاً ، ولكن لكل شيء نهاية ، فقد نفدت أمواله ، وكانت الأم المسكينة ترسل له الأموال بين فترة وأخرى ، حتى اضطرت للاستدانة كي ترسل له ما يريد ، ولكن انقطعت الأم عن إرسال المال ، فلم تستطع تدبير أي مبلغ لإرساله لولدها ، ولما ضاقت به السبل اضطر للرجوع لأرض الوطن . وهنا

أقنعته أمه بأن يتزوج من بنات بلده ، وهي لا تعلم أنه متزوج من إحدى المومسات الساقطات .

ولكنه أطاعها وتزوج ممن اختارتها له أمه ، تزوجها مكراً وخديعة وغدراً بهذه المسكينة ، وتركها وهي في شهر العسل ، كما يقولون ، وعاد إلى حياة العفن والرذيلة التي قدم منها ، فأمثاله لا يستطيعون العيش في الهواء النقي والشمس المشرقة ، بل لا يحلو لهم العيش إلا في البؤر الفاسدة ضارباً عرض الحائط بتوسلات أمه وهي ترجوه بعدم العودة والبقاء هنا ، وتأكد للأم أنه متزوج هناك ، وأنه منغمس بالرذيلة ، فقررت مقاطعته ، وأصمَّت أذنها عنه كلما اتصل بها يريد مالاً ، ولم تعد تصدق أعذاره الواهية وحججه الكاذبة .

ولم تمض سنة على سفره حتى أصيب بمرض «الإيدز» ، ووقع طريح فراش المرض يعاني الآلام المبرحة التي تكاد تقطعه وهو حي ، وأخذ يتصل بأمه وكلمها بصوت ضعيف متهدج : «أمي إنني أموت صدقوني . . تعالوا إليَّ حتى أراكم قبل أن أموت» ، ولكن من يصدق الكذاب ، فكانت الأم تقول : أنت كذاب كعادتك ولن أصدقك .

وبعد أيام من هذه المكالمة اتصلت الخارجية بالأم المسكينة لتخبرها بتسلم جثة ولدها القادمة من بانكوك(١) .

لكل طريق نهاية ، فطريق الخير نهايته خير وسعادة في الدنيا والآخرة ، وطريق الشر نهايته شر وتعاسة في الدنيا والآخرة ، وكما تدين تدان .

---

(١) جريدة الأنباء تاريخ ١٣/ ٥/ ١٩٩٦م ، بتصرف .

الشهوة

ذكر الإمام القرطبي أن رجلاً كان مؤذناً بمصر لأحد المساجد سنين طويلة ، وكان مثالاً لأهل الخير والصلاح ، ترى على وجهه نور الطاعة والعبادة ، وكان يرقى المنارة للأذان كل يوم . في أحد الأيام نظر إلى بيت نصراني ذمي تحت منارة المسجد ، فرأى بنت صاحب الدار ، فافتتن بها ، وترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار .

فقالت له : ماذا تريد؟ !

قال : أريدك أنت .

قالت : لماذا؟

قال لها : قد سلبتني لبي وأخذت بمجامع قلبي .

قالت : لا أجيبك إلى ريبة .

قال : أتزوجك !!

قالت له : أنت مسلم ، وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك .

قال لها : أتنصَّر .

قالت : إن فعلت أفعل .

فتنصَّر فتزوجها وأقام معها في الدار ، وقبل الزواج رقى إلى سطح الدار لحاجة له فسقط منه فمات !!

فلا ظفر بها ولا ظفر بدينه[1] .

إن الإنسان إذا أطلق لنفسه العنان وأرسل عينيه هنا وهناك دون أن يغض بصره خوفاً وحياءً فإنها توردِه المهالك ، ويكون على خطر ، وغالباً ما تطغى الشهوة فتحول بينه وبين ربه .

فكم من إنسان ملتزم قد كان طغيان الشهوة سبباً في ضلاله بعد الهدى ، وكم من عاقل قد حوّلته شهوته إلى ذئب بشري مجنون ، فالحذر الحذر ، فغضوا أبصاركم ، وصموا أسماعكم عن كل ما يؤدي إلى الهاوية والضلال .

(١) من أخبار المتنكسين .

الفصل الرابع

جزاء الذنوب

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(١).

قال رسول الله ﷺ: «كما لا يجتبي الشوك من العنب كذلك لا ينزل الفجار منازل الأبرار، وهما طريقان فأيهما أخذتم أدركتم إليه»(٢).

رأيت الذنوب تميت القلوب
وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب
وخير لنفسك عصيانها

أولاً ـ جهاز الدش.

ثانياً ـ المغرور.

ثالثاً ـ العقيد.

(١) سورة يونس: الآية ٢٧.

(٢) أخرجه ابن عساكر وصححه الألباني.

جهاز الدشّ

كان شاباً تقياً ورعاً قد ارتبط مع مجموعة من الشباب الصالح ، وكان مثالاً للداعية المصلح ، فكان حافظاً لكتاب الله ، محافظاً على الصلوات المفروضة في المسجد ، يقضي ليله قائماً ، يدعو ربه خوفاً وطمعاً ، ويقضي نهاره صائماً راجياً رحمة ربه ، ودخل جهاز الدش إلى بيته ، دخل هذا الجهاز الخبيث إلى بيته رغم أنفه ودون رضاه ، وقد بذل مجهوداً كبيراً لمنعه ، إلا أنه لم يستطع لأن جميع من في البيت ضده ، فوقفوا أمامه يدافعون عن هذا الجهاز ويبينون له فوائده ، وأنه ينقل لهم أخبار العالم وحوادثه ، وأنه ما هو إلا جهاز تستطيع أن تتحكم فيه ، وأن تسيطر عليه وفيه الغث والسمين فلنأخذ الطيب منه ، وندع الرديء ، ورضخ فالكثرة كما يقولون تغلب الشجاعة ، وقبل على مضضٍ أن يشاركهم مشاهدته . ولكن هل يترك الشيطان هذا الشاب دون أن يفتنه ويضمه إلى شلة الضلال؟ ! لقد استطاع بمكره وخداعه أن يخدع كل من في البيت ويغويهم ويزيّن لهم أعمالهم ، فلماذا لا يجرب مع هذا الشاب؟ لماذا هو بالذات لم يقع بالشرك؟ فلتجربه ! !

وسوس له الشيطان قائلاً : إن هذا الجهاز فيه خير وفائدة ، فلماذا لا تستفيد منه ، فخذ منه ما يفيدك ، ودع ما لا يفيدك . وأعجبته الفكرة ، ولكنه منع نفسه وكبت رغبته ، فجاءه الشيطان مرة أخرى : هناك برامج مفيدة قد تفيدك في حياتك فلماذا لا تجرب؟ !

وبعد تردد فتح الجهاز ويا ليته لم يفعل ، لقد وقعت عيناه على منظر أغراه جعله يتسمر مكانه ، ولم يستطع أن يمد يده لإغلاق الجهاز ، ومنذ تلك اللحظة وهو لا يفارق هذا الجهاز ، فقد سحره ، وخطف بصره ، وسلب لبه حتى بدأ يفرِّط في صلاة الجماعة ، وأخذ يركع الصلاة في البيت ، وقلبه مشغول مع هذا الجهاز ، ثم أخذ يتهاون في أداء الصلاة ويتكاسل ، ووقع المسكين في الشرك ، نسأل الله الثبات ، ونسأله سبحانه الهداية[1] .

إن انتشار جهاز الدش بين الناس ما هو إلا فتنة عظيمة ، وقد استشرى شره ، وظهرت مفاسده ، ولقد اعتذر بعض الناس بتركيب هذا الجهاز بأعذار واهية قد تنطلي على الناس ، ولكن لا تنطلي على السميع البصير الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فانتبهوا أيها الناس لما يحاك لكم فإن الأمر ليس بالهيِّن .

(١) من أخبار المتكسين/ بتصرف .

المغرور

كان يعيش في إحدى القرى السورية فلاح شديد الاعتداد بنفسه وبقوته الجسمية التي وهبها له الله خالق كل شيء ، فكان هذا الفلاح يقطع طريق المقبرة ليلاً وهو عائد إلى بيته ، عوضاً عن قطع الطريق الآخر الذي يقطعه أهل القرية في غدوهم ورواحهم من القرية وإليها ، فحذّر نفر من أهل القرية ذاك الفلاح من محاذير قطع طريق المقبرة ليلاً ، ولكن هذا الفلاح المغرور بقوته لم يُعر تحذيرهم أي اهتمام ، بل كان يفاخر بقطعه طريق المقبرة دون غيره من رجال القرية .

واتفق أن كان فلاح من قرية أخرى يسير في طريقه إلى قريته المجاورة ، فأدركه الليل ، فلم يجد بداً من قطع طريق المقبرة تلك للوصول إلى قريته في أسرع وقت ، فمضى يمشي في طريقه قاطعاً مسافة الطريق داخل المقبرة ، وهو يتراكض ، فلم يصل إلى نهاية الطريق ، وبدت لعينيه بوابة المقبرة الكبيرة التي ينتصب فوقها فانوس صغير حتى غمرته الفرحة وزال عنه الخوف ، فأخذ يُسرع في سيره نحوها ، فإذا به في تلك الأثناء يحيد قليلاً عن الطريق ويسقط في قبر مفتوح لاستقبال ساكن جديد ، فتملكه الخوف ودب في قلبه الرعب ، وأخذ يصرخ وينادي على المارة بأعلى صوته مستعيناً ، ولكن ما من مجيب ، فحاول بكل وسيلة الخروج من تلك الحفرة دون جدوى ، وأمام الحالة تلك استسلم للأمر ، وقرر أن ينام ليلته في حفرة القبر ، وما هي إلا لحظات مضت عليه وهو جالس في زاوية القبر حتى غلبه النعاس ، ونام من شدة تعبه .

وبعد برهة وجيزة من الوقت دخل المقبرة الفلاح المغرور الذي اعتاد أن يقطع طريق المقبرة في كل ليلة ، وأخذ يمشي في طريقها كعادته ، وشاءت المقادير أن يسقط في الحفرة ذاتها التي سقط فيها الفلاح الآخر . فشعر أن قلبه سبقه إلى الأرض في سقوطه ، فحاول جهده أن يخرج من حفرة القبر والخوف والهلع قد أخذ بجوامع عقله ، فأخفق في مسعاه للخروج من الحفرة لمرات عدة ، وفي هذه الأثناء استيقظ الفلاح الآخر ، فقام إلى زميله ليهمس في أذنه : لقد حاولت الخروج من هذا القبر قبلك ، يا سيدي لكني لم أفلح فتعال نمضي ليلتنا معاً ، ولم يكمل الفلاح المسكين كلماته تلك حتى خرَّ الفلاح المغرور على أرض الحفرة ميتاً من شدة خوفه ، فقد ظن أن ساكن القبر هو الذي أسمعه تلك الكلمات(١) .

وهكذا مهما طال الوقت ، فإن للمغرور والمتكبر نهاية لا يتوقعها ، فلا يغتر أحدنا بقوته ، ولا بماله ولا بجاهه وليكن متواضعاً ، فمن تواضع لله رفعه ، قال رسول الله ﷺ : «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»(٢) .

(١) الكشكول الصغير بتصرف يسير .

(٢) رواه الشيخان وأحمد .

العقيد

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب : اضطرتني ظروفي الصحية إلى دخول أحد المستشفيات في بيروت لإجراء الفحوص الطبية خلال صيف سنة ١٩٧٢م ، وكان جيراني المرضى قسم من الضباط المتقاعدين وغير المتقاعدين ، فآثرت أن أتعرف بهم وأزورهم وأواسيهم وأقدم الهدايا لهم ، وبعثت أكبر باقة من باقات الزهور إلى ضابط لا ينام الليل ولا ينيم أحداً ، وسألتني الممرضة : «ألك معرفة سابقة به؟» .

قلت : «لا ولكنه لا ينام الليل ولا يتركني أنام ، فلعله يحن على نفسه ويرفق بي بعد استلام هديتي» .

وعلمت من الممرضة أنه في المستشفى منذ شهور وهو زبون دائم في المستشفى ، لا يخرج منه أياماً ليمكث بين أهله ، إلا ويعود إليه شهوراً ليمكث فيه ، وزرت العقيد المريض ، وكان يسمي نفسه «الكولونيل» ، كان ضابطاً قديماً عمل في الشرطة الفرنسية أثناء الاحتلال الفرنسي للبنان .

كان عقله حاضراً ، وكان منطقه سليماً وكانت ذاكرته واعية ، وكان قلبه ينبض ، وهذا كل ما بقي له في الحياة .

أمراضه التي ابتلي بها كثيرة ، الضغط ، والسكر ، وتصلب الشرايين وتسمم في الدم ، وتليف الكبد والكلى ، وتهري لحم الرجلين والجسم ، وكان يصحو

نهاراً ليخيل إليك أنه معافى ، ولكنه كان ينهار ليلاً حتى ليخيل إليك أنه لا يعيش ساعات الليل !!

وكان في الليل يصرخ من الألم تارة ، ويصرخ طالباً أحد الممرضين تارة أخرى ، فإذا جاء الممرض لم يجد عنده مطلباً فيعود من حيث أتى ، ولكن ما يكاد يصل إلى مكانه إلا ويستدعيه العقيد ثانية وثالثة ورابعة ، وهكذا طوال الليل ، حتى تشرق الشمس ، وكان إذا خفت صوته يستعمل الجرس الكهربائي بشدة ، وتبقى يده على زر الجرس حتى بعد قدوم الممرض .

وحين زرته أجهش بالبكاء وحدثني بقصته فقال : كنت في شرطة الفرنسيين ، وكنت برتبة كولونيل ، أقود الشرطة المحلية ، وكانت بيروت تخافني ، وكان اسمي يخيف أشجع الشجعان ، وكان الفرنسيون يعتمدون عليَّ وكنت أخلص لهم كل الإخلاص ، فإذا عجز الفرنسيون عن اكتشاف جريمة من الجرائم أحضروا المتهم إليَّ ، فكنت أستخلص منه الاعترافات بالقوة !! كنت لا أرحم أحداً ، وكنت أمارس أنواع التعذيب ، وكان المجرمون ينهارون فيعترفون بما أريد أو يريد الفرنسيون ، فيساقون إلى المحاكم لينالوا ما يستحقونه من عقاب .

ومضى يسرد على مسمعي أربعة وثمانين نوعاً من أنواع التعذيب كان يمارسها مع المتهمين ، فاقشعر بدني من هول سرده وتعذيبه .

ثم قال : وما أعانيه اليوم عذاب من الله ، فقد سقت إلى المحاكم كثيراً من الأبريا ، وعذبت كثيراً من الصالحين ، إرضاء لأسيادي الفرنسيين .

مضى الفرنسيون ، وبقي العقيد تلاحقه اللعنات ، حتى زوجته وأولاده

وأقرباؤه لا يحبونه ويتمنون على الله أن يموت ، لأنه يعذبهم بصراخه ، ولكنه يعذب نفسه أكثر مما يعذب الآخرين .

كان يعذب ضحاياه في الليل ، ويعذبه الله اليوم في الليل ، أيضاً ، وكانت أعضاء المعذبين تتساقط في تعذيبه ، واليوم تتساقط أعضاؤه عضواً عضواً ، أبقى الله لسانه ليحدث الناس عن أعماله الإجرامية ، وأبقى ذاكرته واعية ليعدد على الناس ما اقترف من آثام ، وأبقى عقله حاضراً ليتذكر ويندم ولات ساعة مندم . وأبقى قلبه ينبض حتى يتحمل عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأقسى[1] .

قال رسول الله ﷺ : «لا يزال العبد في فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً»[2] .

إن تعذيب الأبرياء ، والاعتداء عليهم بغير حق لهو ظلم عظيم ، والله عز وجل ينتقم لهؤلاء الأبرياء من السفاحين والطغاة في الدنيا والآخرة ، وفي هذه القصة الواقعية عبرة لأولي الألباب ، فهل يعتبر الناس؟ !!

(١) عدالة السماء ، ص ٧٤ ـ ٧٧ .

(٢) رواه أحمد والبخاري .

الفصل الخامس

بر الوالدين

قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ : «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه» قيل من يا رسول الله؟ قال : «من أدرك والديه عند الكِبَرِ أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة»(٢) .

أولاً ـ جزاء بر الوالدين .

ثانياً ـ أبرّ العرب .

ثالثاً ـ أويس القرني ـ رضي الله عنه ـ .

---

(١) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٢) رواه مسلم .

جزاء بر الوالدين

كان رجل له أربعة بنين ، فمرض فقال أحدهم : إما أن تمرضوه وتقوموا بخدمته وليس لكم من ميراثه شيء ، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء !!

قالوا : بل تمرضه وليس لك من ميراثه شيء .

فمرضه حتى مات ، ولم يأخذ من ميراثه شيئاً .

وفي ليلة من الليالي رأى رجلاً في المنام يقول له : اذهب إلى مكان كذا وكذا فخذ منه مئة دينار .

فقال : أفيها بركة؟ قال : لا .

فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته ، فقالت له : خذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش بها ، فأبى أن يأخذها .

وفي الليلة الثانية رأى الرجل نفسه في المنام يقول له : اذهب إلى مكان كذا وكذا فخذ منها عشرة دنانير .

قال : أفيها بركة؟ قال : لا .

فلما أصبح ذكر لامرأته ، فقالت له مثل ذلك .

فأبى أن يأخذها .

وفي الليلة الثالثة رأى الرجل نفسه في المنام يقول له : اذهب إلى مكان كذا وكذا وخذ منه ديناراً .

قال : أفيه بركة؟ قال : نعم .

فذهب فأخذ الدينار ، ثم خرج به إلى السوق ، فإذا هو برجل يحمل سمكتين ، فقال له : بكم هما؟ قال : بدينار .

فأخذهما منه وانطلق بهما إلى بيته ، فلما شقهما وجد في بطن كل واحدة منهما دُرة لم ير الناس مثلها !!

وكان ملك البلاد يبحث عن دُرة يشتريها ، فبحثوا ، فلم يجدوا إلا عند الفتى البار بأبيه فباعها بثلاثين ألف دينار ذهباً .

فلما رآها أعجب بها وقال : ما تصلح هذه إلا بأخت فاطلبوا أختها ولو أضعفتم الثمن .

فجاؤوا الفتى فقالوا له : أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟

قال : نعم ، فأعطاهم الثانية بضعف ما باع به الأولى(١) .

انظر يا أخي كيف أن هذا الفتى الفقير الذي لا يملك قوت يومه قد أنعم الله عليه بثروة عظيمة وذلك بسبب برِّه بأبيه والعناية به وهو مريض ، والقيام على خدمته . فبر الوالدين يعود على الأبناء بالخير الجزيل في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة .

---

(١) سمير المؤمنين ، بتصرف

أبرُّ العرب

قال الأصمعي : حدثني رجل من الأعراب قال : خرجت من الحي أطلب أبر الناس ، فانتهيت إلى شاب في عنقه زبيل[1] فيه شيخ كأنه فرخ ، فكان يضعه بين يديه في كل ساعة فيزقه كما يزق الفرخ .

فقلت : ما هذا؟ !

قال : أبي وقد خَرِف وأنا أكفله .

قلت : هذا أبر العرب[2] .

لقد بلغ هذا الشاب في البر مدًا بعيدًا فقد كفل أباه وأقام على خدمته وتعهد بطعامه ، وهو في هذا السن ، فهذا مثال للخير وللبر وسيلقى جزاء عمله في الدنيا والآخرة والله لا يضيع أجر المحسنين ، فما بالك بمن أحسن إلى أبيه ! !

(١) الزبيل : القفه ، جـ زُبُل ، زبلان .

(٢) المحاسن والمساوئ .

أويس القرني رضي الله عنه

قال رسول الله ﷺ : «إن خير التابعين رجل يقال له: أويس وله والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم»[1] .

كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إذا أتى أمداد اليمن سألهم : فيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس بن عامر، قال : أنت أويس بن عامر؟

قال : نعم .

قال : بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟

قال : نعم .

قال : ألك والدة؟

قال : نعم .

قال : **سمعت رسول الله يقول ﷺ : «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مراد ثم من قَرَن، كان به أثر برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بار بها، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»** ، فاستغفر لي، فاستغفر له .

فقال له عمر : أين تريد؟

---

(١) رواه مسلم .

قال : الكوفة .

قال : ألا أكتب لك إلى عاملها؟

قال : أكون في غبراء الناس أحب إليَّ .

لقد منع أويس ـ رضي الله عنه ـ من القدوم على النبي ﷺ برُّه بأمه ، فلما بر أمه بر الله تعالى قسمه .

إن بر الوالدين جزاؤه عظيم ، وخاصة في الكبر وخاصة الأم . فها هو أويس ، لقد بلغ برُّه بأمه أن حث رسول الله ﷺ صحابته أن يستغفر لهم ، وها هو الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة يترقب القادمين من اليمن يسأل عن أويس حتى يطلب منه أن يستغفر له ! ! فأي عمل عظيم قام به أويس ! . إنه البر ، ولقد قرن الله عز وجل طاعة الوالدين بعبادته فقال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[1] .

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

الفصل السادس

الصدقة

قال تعالى : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾[1]

قال رسول الله ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»[2] .

أولاً ـ صاحب الرغيف .

ثانياً ـ أعطى درهماً فوهب الله له مائة وعشرين ألفاً .

ثالثاً ـ صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

رابعاً ـ ثمرة الصدقة .

(١) سورة سبأ : الآية ٣٩ .

(٢) رواه الحاكم وصححه الألباني .

صاحب الرغيف

عن أبي بردة قال : لما حضرت أبا موسى الوفاة قال : يا بني اذكروا صاحب الرغيف ، كان رجل يتعبد في صومعة سبعين سنة لا ينزل إلا في يوم واحد ، فشبه أو شبّه الشيطان في عينه امرأة فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال ، ثم كُشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائباً . وكان كلما خطا خطوة صلى وسجد ، فآواه الليل إلى دكان عليه اثنا عشر مسكيناً ، فأدركه العياء فرمى نفسه بين رجلين منهم ، وكان ثمَّ راهب يبعث إلى هؤلاء المساكين كل ليلة أرغفة فيعطي كل واحد منهم رغيفاً ، ومر على ذلك الرجل الذي خرج تائباً فظن أنه مسكين فأعطاه رغيفاً ، وترك واحداً من المساكين لم يعطه شيئاً ، فقال له المتروك : مالك لم تعطني رغيفي؟ !

قال الذي يوزع الأرغفة : والله لا أعطيك الليلة شيئاً .

فعمد الرجل التائب إلى الرغيف الذي معه ، فدفعه إلى الرجل الذي تُرك مع حاجته إليه من شدة تعبه وجوعه .

فأصبح التائب ميتاً ، فوزنت السبعين بالسبع ليال فرجحت الليالي ، فوزن الرغيف بالسبع فرجح الرغيف .

فقال أبو موسى : يا بني اذكروا صاحب الرغيف .

وهكذا فإن الصدقة تطفئ غضب الرب ، فبادروا إلى بذل المال في سبيل

الله ، ولنعلم أن الدنيا فانية وأن ما نتصدق به هو باق عند الله تعالى وسوف نلقاه هناك وسنفرح بما قدمنا ، أما إذا بخلنا خوفاً من الفقر والحاجة وجمعنا طمعاً وبخلاً فسوف يكون علينا حسرة ووبالاً .

أعطى درهماً فوهب الله له مائة وعشرين ألفاً

عن الفضيل بن عياض ، قال : حدثني رجل أن رجلاً خرج بغزل فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً فمر على رجلين كل واحد منهم آخذ برأس صاحبه .

فقال : ما هذا؟

فقيل : يقتتلان في درهم ، فأعطاهما ذلك الدرهم ، وليس له شيء غيره ، فأتى إلى امرأته فأخبرها بما جرى له فجمعت له أشياء من البيت فذهب ليبيعها فكسدت عليه ، فمر على رجل ومعه سمكة قد أروحت ـ تغيرت رائحتها .

فقال له : إن معك شيئاً قد كسد ، ومعي شيء قد كسد ، فهل لك أن تبيعني هذا بهذا؟ فباعه ، وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت وقال لزوجته : قومي فأصلحي أمر هذه السمكة ، فقد هلكنا من الجوع .

فقامت المرأة تصلحها فشقت جوف السمكة ، فإذا هي بلؤلؤة قد خرجت من جوفها ، فقالت المرأة : يا سيدي قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج ، وهو يقارب بيض الحمام .

فقال : أريني ، فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله فطار عقله ، وحار لبه ، فقال لزوجته : هذه أظنها لؤلؤة .

فقالت : أتعرف قدر اللؤلؤ؟ !

قال : لا ، ولكنني أعرف من يعرف ذلك .

ثم أخذها وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ ، إلى صديق له جوهري ، فسلم عليه ، فرد عليه السلام وجلس إلى جانبه يتحدث ، وأخرج تلك اللؤلؤة ، وقال : انظر كم قيمة هذه؟

قال : فنظر زماناً طويلاً ، ثم قال : لك بها عليَّ أربعون ألفاً ، فإن شئت أقبضتك المال بسرعة ، وإن طلبت الزيادة ، فاذهب بها إلى فلان فإنه أثمن بها لك مني .

فذهب بها إليه ، فنظر إليها واستحسنها ، وقال : لك بها علي ثمانون ألفاً ، وإن شئت الزيادة فاذهب بها إلى فلان فإني أراه أثمن بها مني .

فذهب بها إليه ، فقال : لك بها عليَّ مائة وعشرون ألفاً ، ولا أرى أحداً يزيدك فوق ذلك شيئاً .

فقال : نعم ، فوزن له المال ، فحمل الرجل في ذلك اليوم اثنتي عشرة بدرة في كل بدرة عشرة آلاف درهم ، فذهب بها إلى منزله ليضعها فيه فإذا فقير واقف بالباب يسأل .

فقال : هذه قصتي التي كنت عليها ، أُدخل ، فدخل الفقير .

فقال : خذ نصف هذا المال ، فأخذ الرجل الفقير ست بدر فحملها ثم تباعد غير بعيد ورجع إليه ، وقال : ما أنا بمسكين ولا فقير ، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطاً ، فهذا الذي أعطاك قيراطاً منه وذخر لك تسعة عشرة قيراطاً[1] .

(١) زاد المتقين .

إن جزاء العمل الصالح والعطف على الفقراء والمساكين وحب الخير للغير جزاءً عظيماً وفوزاً كبيراً فلا يستهين أحدنا بعمل الخير ، ولو كان بسيطاً ، ولا يستهين بالصدقة ولو كانت قليلة ، والمسلم الحق هو الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

صنائع المعروف تقي مصارع السوء

امرأة صالحة ورعة تحب الخير وتعمل الخير وتكثر من الصدقات وتبحث عن الفقراء وتتفقد أحوالهم دائماً ، لسانها رطب بذكر الله ، شديدة الخوف من النار ، تفزع إذا ذكرت النار ، وتشتد بالدعاء طالبة من الله عز وجل النجاة منها وتهفو نفسها إلى الجنة وتعمل من أجلها ، لذلك لا تترك صغيرة ولا كبيرة من عمل الخير إلا وتفعله ، وفجأة تشعر بألم شديد في الفخذ وتصبر على الآلام لعل الله تعالى يشفيها ، ولكن الألم يزداد ويشتد ، وبدأت رحلة العلاج في المستشفيات ، ولكن دون فائدة ، والألم يزداد شدة ، وسافر بها زوجها إلى لندن ، وهناك يقرر الأطباء بعد التحليلات وبعد الكشف أنها تعاني من مرض السرطان ، وينتهي تقريرهم إلى ضرورة الإسراع في بتر رجل المرأة الطيبة من أعلى الفخذ حتى لا تتسع رقعة المرض .

وفي غرفة العمليات كانت المرأة ممددة مستسلمة لقضاء الله وقدره ، ولسانها لم ينقطع عن ذكر الله والدعاء والتضرع إليه .

ويحضر إلى غرفة العمليات جمع من الأطباء ، ويوضع الموس في المقص ، ويخيم جو من الهدوء والرهبة على المكان ، وما يكاد المقص يتحرك حتى ينكسر الموس ، ودهش الجميع مما حصل ، وتعاد العملية بوضع موس جديد ويتكرر نفس المنظر ، وينكسر الموس للمرة الثانية ، وتعاد العملية بوضع موس

جديد ، وينكسر أيضاً للمرة الثالثة ، وارتسمت علامات الحيرة الشديدة على وجوه الأطباء ، ويتشاورون فيما بينهم ويقررون إجراء جراحة للفخذ التي يزمعون بترها ، ويا لشدة الدهشة ، ما كاد المشرط يصل إلى وسط أحشاء الفخذ ، حتى رأى الأطباء قطناً متعفناً بصورة كريهة ، وبعد عملية يسيرة نظف فيها الأطباء المكان وعقموه ، وأفاقت المرأة وقد زال الألم بشكل نهائي حتى لم يبق له أثر .

ونظرت المرأة فوجدت أن رجلها لم تمس بأذى ، ووجدت زوجها يكلم الأطباء الذين مازالوا في دهشة مما حدث ، فراحوا يسألون زوجها : هل حدث وأن أجرت زوجتك عملية جراحية في فخذها؟

قال الزوج : نعم ، أن حادثاً مرورياً حدث لزوجتها وقد جرحت في ذلك الموضع جرحاً بالغاً .

وقال الأطباء : إنها العناية الإلهية .

وكم كانت فرحة المرأة الطيبة وهي ترى أن الله عز وجل قد من عليها بالصحة بعد أن كادت تبتر رجلها ، ولكن الله سلم ، فراحت تلهج بالحمد والثناء على الله الذي كانت تستشعر قربه منها ولطفه بها ورحمته لها[1] .

إنه من كان مع الله في الرخاء كان معه في الشدة ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويحفظه من كل سوء ، ويحيطه بعنايته ، لذلك كانت هذه المرأة كريمة مع عباد الله تنفق عليهم وترحمهم ، فأحاطتها رحمة الله ، وأكرمها فالراحمون يرحمهم الرحمن ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

(١) زاد المتقين ، بتصرف بسيط .

ثمرة الصدقة

يروي الإمام ابن أبي الدنيا : أن رجلاً نام فرأى المصطفى ﷺ وهو يقول له : «امض إلى المجوسي الذي في بغداد وقل له : قد أجيبت الدعوة» .

فلما أصبحت قلت : كيف أمضي إلى مجوسي؟ ! فنمت الليلة الثانية ، فرأيت مثل ذلك ، ثم رأيت مثل ذلك في الليلة الثالثة ، فلما أصبحت تحملت إلى بغداد وأتيت المجوسي فوجدته في نعمة عريضة ودنيا واسعة ، فدخلت إليه وسلمت عليه وجلست .

فقال : ألك حاجة؟

فقلت : نعم .

قال : تكلم .

قلت : في خلوة ، فانصرف الناس وبقي أصحابه .

فقلت : وهؤلاء ، فصرفهم وقال : قل .

قلت : أنا رسول رسول الله ﷺ إليك وهو يقول لك : قد أجيبت الدعوة .

فقال : أتعرفني؟ قلت : نعم .

قال : فإني أنكر الإسلام ، وأنكر رسالة محمد ﷺ .

قلت : كذلك قلت وهو أرسلني إليك .

قال : أرسلك إليَّ؟ ! قلت : نعم .

قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ثم دعا أصحابه وقال : قد كنت في ضلال وقد رجعت إلى الحق ، فمن أسلم فما في يديه له ، ومن لم يسلم فلينزع مما لي عنده .

فأسلم القوم إلا قليلاً ، ثم دعا ابنه فقال : يا بني إني كنت في ضلال وقد أسلمت ، فما أنت صانع؟

قال : يا أبت أسلم ، ثم دعا ابنته ، وقال : يا بنية قد أسلمت وأسلم أخوك ، فإن أنت أسلمت فرقت بينكما .

فقالت : يا أبت ، والله لقد كنت كارهة لاجتماعي به ، وأسلمت .

فقال لي : أتدري الدعوة التي أجيبت؟

قلت : لا .

قال : لما زوجت ابنتي بولدي وصنعت له طعاماً ودعوت الناس كلهم ، فأجابوا لما خولني الله من الدنيا ، فلما أكل الناس تعبت . فقلت للخادم : افرش لي حصيراً في أعلى الدار أنام شيئاً ، فطلعت وكان بجوارنا قوم أشراف فقراء ، فسمعت صبية وهي تقول لأمها :

يا أماه قد آذانا هذا المجوسي برائحة طعامه .

قال : نزلت وحملت لهم طعاماً كثيراً ودنانير كثيرة وكسوة لكل من في الدار .

فقالت واحدة منهن : حشرك الله مع جدي .

وقال الباقون : آمين .

فتلك الدعوة التي أجيبت(١) .

انظر يا أخي كيف أن الصدقة والإحسان إلى الجار أنقذ هذا المجوسي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، فهو قد حمل إليهم الطعام والمال والكسوة عطفاً وشفقةً وليس إيماناً وتقوى ، ولكن الله عز وجل أكرم الأكرمين فمن عليه بنعمة عظيمة ألا وهي نعمة الإيمان ، فبعد أن كان ضالاً هداه الله إلى الإسلام ، فإذا كان هذا الحال مع كافر فما بالك إذا خرجت هذه الصدقة من إنسان مؤمن يعطي وهو يعلم أنه قد وضعها في يد الله عز وجل ، فلا تتهاون يا أخي في شأن الصدقة ، وإن كانت قليلة فهي عند الله عظيمة وما عند الله خير وأبقى .

(١) كتاب التوابين .

الفصل السابع

العفة

قال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝﴾ (الطلاق)

عفوا تعف نساؤكم في المحرم
وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
يا هاتكاً سبل الرجال وقاطعاً
سبل المودة عشت غير مكرَّم
لو كنت حراً من سلالة ماجد
ما كنت هتاكاً لحرمة مسلم
من يزنِ يُزنَ به ولو بجداره
إن كنت يا هذا لبيباً فافهم
من يزن في بيت بألف درهم
في بيته يزنى بغير الدرهم

أولاً ـ خالد المسكي .

ثانياً ـ ثمرة التعفف .

ثالثاً ـ خاف الله فعوضه خيراً .

خالد المسكي

كان خالد المسكي شاباً جميلاً وكان تقياً ورعاً يعمل بجد وإخلاص وأمانة ، ويكسب قوته بعمله ، وكان يعمل بائعاً متجولاً يحمل بضاعته على رأسه يتجول في الحواري والطرقات فانبهرت بجماله إحدى النساء ، فنادت عليه ليعرض عليها بضاعته ، واحتالت عليه بمكرها وأدخلته بيتها بحجة أنها تريد الشراء منه ، وغلقت الأبواب وقالت : هيت لك ، وإن لم تفعل بي فضحتك أمام الناس واتهمتك أنك اعتديت عليَّ تريد هتك عرضي ، وحاول معها بالكلام علّه يتخلص منها ، ولكن دون جدوى وذكرها الله ورغَّبها ورهَّبها ، ولكن الشيطان قد سيطر عليها وأعمى بصرها وبصيرتها . ولما رأى أنه لن يستطيع الخلاص منها أظهر لها الموافقة وطلب منها أن تسمح له بدخول الحمام من أجل أن يهيئ نفسه لها ، فسرت بذلك ووافقت ، فدخل الحمام وأخذ يفكر في كيفية الخروج من الابتلاء وهذه المصيبة فهداه تفكيره إلى حيلة رغم ما فيها من القذارة الظاهرة ، لكنه يتحمل ذلك من أجل أن لا يقع في معصية تحل عليه غضب الله ، فلطخ جسده بالغائط ولوث به وجهه فصارت رائحته كريهة مُقززة ومنظره بشعاً وقبيحاً ، فخرج إليها فتفاجأت لما رأته على هذه الحالة القذرة فاستقذرته وأمرته بالخروج من بيتها وطردته ، وفر بنفسه وتركها لينجو بدينه ، فأنعم الله عز وجل عليه بدلاً من هذه الرائحة الكريهة برائحة زكية كأنها المسك ، يعرف الناس بقدومه قبل أن يرونه ، وذلك عند شم رائحته الطيبة ، واشتهر عند الناس بخالد المسكي .

هذا هو المؤمن الصادق بإيمانه المراقب لربه في كل لحظة ، فرغم جمال هذه المرأة وهيامها به ، إلا أنه خاف ربه ، لم يخف من الناس أو من قانون لأن الكل لا يراه ، ولكن السميع البصير يراه ، فخاف من العاقبة واحتال بحيلة فيها من القذارة الظاهرة إلا أنها تدل على نقاء باطنه وصدق إيمانه وهكذا عوضه الله برائحة طيبة زكية في الدنيا وله في الآخرة حسن الثواب .

وكم في زماننا هذا من أناس قد أغرقوا أجسادهم بالروائح والأطياب ولكن روائح أعمالهم السيئة تطغى وتفضحهم رغم إخفائهم لها لأنهم خافوا الناس ولم يخافوا الله فالجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان .

ثمرة التعفف

يروي صاحب القصة قصته وهو في بلاد الصعيد فيقول: زرعت كتاناً في هذه البلدة وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمس مئة دينار ولم يصل ثمنه إلى أكثر من ذلك، فحملته إلى «القاهرة» فلم يصل إلى أكثر من ذلك، فأشير عليَّ بحمله إلى «الشام» فحملته فما زاد على تلك القيمة شيئاً، فوصلت به إلى «عكا» فبعت بالأجل والبعض تركته عندي، واشتريت حانوتاً أبيع فيه على مهلي إلى حيث انقضاء المدة، فبينما أنا أبيع إذ مرت بي امرأة إفرنجية، ونساء الإفرنج يمشون في الأسواق بلا نقاب، فأتت تشتري مني كتاناً، فرأيت من جمالها ما بهرني، فبعتها وسامحتها. فانصرفت وعادت إليَّ بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من المرة الأولى فتكررت إليَّ وعلمت أني أحبها، فقلت لعجوز كانت معها: إنني قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة، فقالت لها ذلك، واتفق الحال على أن أدفع خمسين ديناراً صورية فوزنتها وسلمتها للعجوز، فقالت: نحن الليلة عندك، فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلاوة، فجاءت الإفرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم، فقلت في نفسي: أما تستحي من الله وأنت غريب تعصي الله مع نصرانية، اللهم إني أستهديك أني قد عففت عنها في هذه الليلة حياء منك وخوفاً من عقابك، ثم نمت ونامت إلى الصبح، وقامت في السحر وهي غضبى ومضت، ومضيت أنا إلى حانوتي فجلست فيه وإذا هي قد عبرت عليَّ هي والعجوز،

وهي غاضبة وكأنها القمر ، فهلكت فقلت في نفسي من هو أنت حتى تترك هذه البارعة في حسنها ثم لحقتها وقلت ارجعي ، فقالت : ما أرجع إليك إلا بمائة دينار ، فقلت : نعم رضيت ، فوزنت مائة دينار ، فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة الأولى ، وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ، ثم مضت ومضيت إلى موضعي ، ثم عبرت بعد ذلك عليّ فقالت : ما بقيت تفرح بي عندك إلا بخمس مئة دينار أو تموت كمداً ، فارتعدت لذلك وعزمت أن أصرف عليها ثمن الكتان جميعه ، فبينما أنا كذلك وإذ المنادي ينادي : يا معاشر المسلمين إن الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت ، وقد أمهلنا من هنا من المسلمين إلى جمعة ـ أي أسبوع .

فانقطعت عني وأخذت أنا في تحصيل ثمن الكتان ، وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من «عكا» وفي قلبي حرة ولوعة من الإفرنجية . وصلت إلى «دمشق» وبعت البضاعة بأوفى ثمن ومنَّ الله علي بكسب وافر ، وأخذت أتجر في الجواري عسى أن يذهب ما بقلبي من الإفرنجية ، فمضت ثلاث سنين ووقعت «موقعة حطين» وفتح الملك الناصر صلاح الدين بلاد الساحل فطلب مني جارية للملك الناصر فأحضرت جارية حسناء فبعتها له بمئة دينار ، فأوصلوا إلى تسعين ديناراً وبقيت عشرة دنانير فلم يلتقوها في الخزانة ، فلما شاوروه قال : امضوا به إلى الخيمة التي فيها السبي في نساء الإفرنج فيأخذ واحدة منهن بالعشرة الدنانير التي له .

أتيت الخيمة فعرفت غريمتي الإفرنجية ، فقلت أعطوني هاتيك ، فأخذتها ومضيت إلى خيمتي وخلوت بها وقلت لها : أتعرفيني؟ قالت : لا . فقلت : أنا صاحبك التاجر الذي جرى لي معك ما جرى وأخذت مني الذهب ، وقلت : ما

بقيت تبصرني إلا بخمس مئة دينار ، وقد أخذتك ملكاً بعشرة دنانير فقالت : مد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فأسلمت وحسن إسلامها وتزوجتها وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني . ثم رحل العسكر ، وأتينا «دمشق» .

وبعد مدة يسير أتى رسول الملك الناصر يطلب الأسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيراً من الرجال والنساء ولم يبق إلا التي عندي وطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني وأحضرتها معي بين يدي مولانا السلطان الملك الناصر ورسول ملك الإفرنج حاضر ، فقال لها الملك الناصر ترجعين : إلى بلادك أو إلى زوجك فقد فككنا أمرك وأمر غيرك .

فقالت : يا مولاي السلطان أنا قد أسلمت وحبلت وها بطني كما ترونه ، فقال لها الرسول : أيما أحب إليك هذا المسلم أم زوجك الإفرنجي فلان؟ فأعادت عبارتها الأولى ، فقال لي الرسول : خذ زوجتك ،فولعت بها ، فطلبني الرسول ثانياً وقال : إن أمها أرسلت معي وديعة وقالت : إن ابنتي أسيرة وأشتهي أن توصل لها هذه الكسوة ، فتسلمت الكسوة ومضيت إلى الدار وفتحت القماش فإذا هو قماشي بعينه قد سيرته لها أمها ، ووجدت الصرتين الذهب الخمسين ديناراً والمئة دينار كما هي بربطتي لم يتغير منها شيء وها أنا أعيش معها أجمل وأحسن عيشة(١) .

وهكذا لما عف نفسه هذا الرجل حياء وخوفاً من الله عوضه خيراً من ذلك ، وأكرمه بأن أسلمت هذه المرأة على يديه وهذا خير عظيم . ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه .

---

(١) عجائب في عصور متفرقة ، الجزء الأول .

خاف الله فعوضه خيراً

قال يحيى بن عامر التيمي : خرج رجل من الحي حاجاً ، فورد بعض المياه ليلاً ، فإذا هو بامرأة ناشرة شعرها ، فأعرض عنها .

فقالت له : هلم إلي فلِمَ تعرض عني؟ !

فقال : إني أخاف الله ربَّ العالمين .

فتجلببت - أي لبست ثوبها - ثم قالت : هبْتَ والله مُهاباً ، إن أولى من شركك في الهيبة من أردا أن يُشركك في المعصيةَ . ثم ولت فتبعها ، فدخلت بعض خيام الأعراب ، قال : فلما أصبحتُ أتيت رجلاً من القوم فسألته عنها ، وقلت : فتاة صفتها كذا وكذا .

فقال : هي والله ابنتي .

فقلت : هل أنت تزوجني بها؟

فقال : على الأكفاء ، فمن أنت؟

فقلت : رجل من تيم الله .

قال : كفوٌ كريم ، فما رمت حتى تزوجتها ودخلت بها ، ثم قلت : جهزوها إلى قدومي من الحج ، فلما قدمنا حملتها إلى الكوفة ، وها هي ذي ولي منها بنون وبنات .

لقد خاف الله هذا الرجل أن يرتكب معصية ، ولم يمنعه إلا مخافته من الله عز وجل ، فعوضه الله جزاء ذلك خيراً وطهراً في الدنيا وله في الآخرة الجزاء الأوفى .

الجزء الرابع

الفصل الأول

الإحسان

أولاً : جزاء الإحسان .

ثانياً : التنافس في الجود .

ثالثاً : كوب ماء بمليون جنيه .

رابعاً : حكاية حصة الطيبة .

خامساً : الوَرَع .

جزاء الإحسان

هذه القصة الواقعية حدثت في هذه البلدة الطيبة في الكويت ، وإن دلت وقائعها على شيء فإنها تدل على طيبة أهل هذه الأرض وحبهم لفعل الخير منذ القدم والتكافل بينهم .

كان رجلاً معروفاً بطيبته وصلاحه وحبه لعمل الخير ، ولما مَنّ الله عز وجل عليه ببعض المال أراد أن يشتري له داراً ، فذهب يسأل (الدلاّلين) أي السماسرة عن الدور المعروضة للبيع .

قال له أحدهم : إن لك عندي بيتاً يعجبك فهل تريد أن تراه قبل أن تشتريه؟

قال الرجل : لا مانع عندي ، لكن متى نذهب لرؤية البيت؟

قال السمسار : غداً إن شاء الله تعالى .

في صباح اليوم التالي ذهب السمسار مع الرجل لكي يشاهد البيت ، ودخلا ، وأخذ الرجل يجول في البيت ، فإذا امرأة جالسة في زاوية من زواياه وأولادها الصغار حولها وهي تبكي وتدعو الله قائلة :

«حسبي الله على اللي يبي يطلعنا من البيت غصباً علينا» .

فنظر إليها الرجل ثم خرج مسرعاً وخرج خلفه السمسار مهرولاً قائلاً له : هل أعجبك البيت؟ !

قال الرجل : دع عنك البيت وأخبرني ما قصة هذه المرأة وأولادها؟

قال السمسار : هذه زوجة صاحب البيت وقد توفي زوجها وتركها مع أولادها الصغار ، وله أولاد من امرأة أخرى وهم يريدون بيعه حتى يأخذوا نصيبهم من الميراث ، وهي في حيرة من أمرها فليس لها بيت غيره ولا تدري ماذا تفعل ، والورثة مصرون على بيع البيت .

قال الرجل : هذه هي القصة إذن . . . اسمع لقد اشتريت البيت بالمبلغ المطلوب وغداً إن شاء الله أسلمك النقود .

واشترى الرجل البيت وأخذ الورثة المال ووزعوه بينهم ، كل أخذ نصيبه من الميراث ، حتى الزوجة الثانية وأولادها أخذوا نصيبهم ، ولما استلم كُل نصيبه غير منقوص جاء الرجل الطيب إلى المرأة في بيتها فخافت منه وظنت أنه سيطردها من البيت بعد أن اشتراه ، وأخذت تبكي فقال لها الرجل الطيب : لا تخافي ولا تحزني خذي هذه (بروة البيت) أي الصك وهي وثيقة امتلاك البيت ، ولقد سجلتُ البيت باسمك فهو ملك لك ، فزاد بكاء المرأة من الفرحة وأخذت تشكره وتدعو الله عز وجل أن يوفقه ويعوضه خيراً منه ويرزقه من حيث لا يحتسب .

ولقد منّ الله عز وجل على هذا الرجل الطيب بالخير الوفير ، والمال الكثير وصار بفضل الله تعالى من كبار أغنياء البلد ، وكذلك صار أبناؤه من بعده ولا يزال ينعم أولاده وأحفاده بما ورثه لهم هذا الرجل الطيب ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان[١] .

(١) ذكر لي هذه القصة الأخ محمد صقر الجاسر .

قـال تعـالى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾[1] .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يا علي إن الله تعالى خلق المعروف، وخلق له أهلاً فحببه إليهم وحبب إليهم فعاله، ووجه إليهم طلابه، كما وجه الماء في الأرض الجدبة لتحيا به ويحيا به أهل . إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة» .

(١) سورة المزمل : الآية ٢٠ .

التنافس في الجود

خرج عبدالله بن جعفر الطيار ـ رضي الله عنهما ـ يوماً إلى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه ، فأتى الغلام بقوته ثلاثة أقراص ، فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى إليه بقرص فأكله ، ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما ، وعبدالله بن جعفر ينظر إليه فقال : «يا غلام كم قوتك كل يوم»؟ !

قال : ما رأيت .

قال عبدالله : فلم آثرت هذا الكلب؟ !

قال : أرضنا ما هي بأرض كلاب وإنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أرده .

قال عبدالله : فما أنت صانع اليوم؟

قال : أطوي يومي هذا .

فقال عبدالله يحدث نفسه : أُوُلامُ على السخاء؟ ! وإن هذا لأسخى مني . فاشترى عبدالله الحائط وما فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام ، ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل والآلات .

فقال الغلام : إن كان ذلك لي فهو في سبيل الله تعالى .

فاستعظم عبدالله ذلك منه ، فقال : يجود هذا وأبخل أنا ! ! لا كان ذلك أبداً[1] .

هكذا يكون التنافس في عمل الخير ، فهذا الغلام كان عبداً مملوكاً فكان جوده وكرمه في سبيل الله سبباً في عتقه وحريته وكان قدوة طيبة لغيره ، فرغم شهرة عبدالله بن جعفر الطيار ـ رضي الله عنهما ـ بالكرم والجود والسخاء إلا أنه رأى أن هذا الغلام أجود وأسخى منه . فعلى الرغم من أن الغلام لا يملك من قوته إلا هذه الأقراص الثلاثة فلقد جاد بهم إلى حيوان أبكم مع أنه بحاجة إلى هذه الأقراص إلا أن طمعه فيما عند الله وحبه لعمل الخير جعله يتصدق بقوته كله فكان نموذجاً صادقاً للمؤمن التقي المتوكل على الله الفعال للخير ، فجزاه الله في الدنيا أن منّ عليه بالحرية والمال فكان شكر هذا الغلام قولاً وعملاً فجعل الحائط وما فيه في سبيل الله تعالى .

هكذا يكون التنافس الشريف وهذا من مجالات التنافس التي يجب أن يُرى المؤمنون يتنافسون فيها .

قال تعالى : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[2] .

قال رسول الله ﷺ : «ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[3] .

---

(١) المستطرف .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٩٢ .

(٣) متفق عليه .

كوب ماء بمليون جنيه!!

قال الكاتب المصري المعروف مصطفى أمين ، وكان ممن أُدخلوا السجن في زمن جمال عبدالناصر عام ١٩٦٥م ، قال يروي قصته داخل السجن :

«كان بين وسائل التعذيب التي لجأوا إليها أن أصدروا قراراً بمنعي من الأكل والشرب ، والحرمان من الأكل مؤلم ولكنه محتمل ، ولكن العطش عذاب لا يُحتمل وبخاصة في أشهر الصيف والحرارة شديدة جداً وأنا مريض بالسكر ومرضى السكر يشربون الماء بكثرة ، وفي اليوم الأول تحايلت على الأمر ، دخلت إلى دورة المياه فوجدت فيها إناء للاستنجاء وشربت من مياه الاستنجاء فوجدت الإناء خالياً ووجدت بدل الماء ورق تواليت ، ومع شدة العطش اضطررت أن أشرب ماء البول حتى ارتويت ، وفي اليوم الثالث لم أجد بولاً أشربه ! !

واشتد بي العطش فأحسست بعذاب شديد مثل ضرب السياط ، وكنت أسير في زنزانتي كالمجنون ، لساني جف وحلقي جف فكنت أهوي إلى الأرض أحياناً ألحسها لعل الحارس نسي نقطة ماء وهو يغسل البلاط ! !

وشعرت أنني قد أشرفت على الهلاك ، وبينما أنا في حالتي هذه لا أدري ماذا أفعل أدور حول نفسي وأنا أترنح رأيت باب الزنزانة يُفتح في هدوء ورأيت يداً تمتد في ظلام الزنزانة تحمل كوب ماء بارد مثلج ، فزعت وتصورت أنني جننت ، بدأت أرى شبحاً ، لا يمكن أن يكونَ هذا ماء . . . إنه سراب . . . ومددت يدي ولمست الكوب فوجدته بارداً مثلجاً فعلاً وقبضت على الكوب

بأصابعي المرتعشة ، ورأيت حامل الكوب يضع أصبعه على فمه وكأنه يقول لي : لا تتكلم .

شربت الماء ولكنه ليس كالمياه التي شربتها من قبل ومن بعد ، لقد كان ألذ ماء شربته في حياتي ، لو كان معي مليون جنيه في تلك اللحظة لأعطيتها للحارس المجهول .

عادت الروح مع هذا الكوب ، لقد أغناني هذا الكوب عن الطعام بل أغناني عن الحرية ، أحسست بسعادة لم أعرفها طوال حياتي ، كل ذلك من أجل كوب ماء مثلج .

اختفى الحارس المجهول بسرعة كما ظهر بسرعة وأغلق باب الزنزانة بهدوء ، ورأيت ملامح الحارس المجهول شاب أسمر قصير القامة ، ولكنني أحسست أنه أحد الملائكة ، إنني رأيت عناية الله في الزنزانة .

ومرت أيام التعذيب من دون أن أرى الحارس المجهول ، ثم نقلت من غرفة التعذيب في الدور السفلي ، وكانوا يغيرون الحراس كل يوم ، وذات يوم رأيت أمامي الحارس المجهول وكنا على انفراد وقلت له هامساً : لماذا فعلت ما فعلت؟ ! لو ضبطوك كانوا سيفصلونك .

قال باسماً : يفصلوني فقط ! ! دول كانوا يقتلونني رمياً بالرصاص .

قلت : ما الذي جعلك تقوم بهذه المغامرة؟ !

قال : إنني أعرفك وأنت لا تعرفني . . . منذ تسع سنوات تقريباً أرسل فلاح من الجيزة خطاباً لك يقول فيه أنه فلاح في إحدى القرى وأن أمنية حياته أن يشتري بقرة وأنه مكث سبع سنوات يقتصد من قوته وقوت عياله حتى جمع

مبلغاً ، ثم باع مصاغ زوجته واشترى بالمبلغ بقرة ، وكان أكثر أهل القرية تقوى وورعاً وصلاة وصياماً ، وبعد ستة أشهر فقط ماتت البقرة ، وفي ليلة القدر بعد ذلك بشهور دُق باب البيت الصغير الذي يملكه الفلاح ودخلت محررة من جريدتك «أخبار اليوم» تجر وراءها بقرة ، وكانت «أخبار اليوم» قد اعتادت أن تحقق أحلام مئات من قرائها في ليلة القدر من كل عام .

وسكت الحارس المجهول لحظة ثم قال : هذا الفلاح الذي أرسلتم له بقرة منذ تسع سنوات هو أبي . ألم أقل لك أن عناية الله كانت معي في الزنزانة[1] !!

هذا العمل الطيب الذي قُدم لهذا الفلاح الطيب منذ تسع سنوات كان من نتائجه أن أنقذ حياة هذا الكاتب ، ولقد كان كوب ماء بارد في وقت المحنة أغلى ما في الوجود وألذ ما في الدنيا ، فليكن عملنا خالصاً لله تعالى ، والله عز وجل في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، وبذل المال وإنفاقه في أوجه الخير له ثمرته الطيبة . فلابد لمن أنفق في سُبل الخير يجد جزاء ما بذل ولو بعد حين وقد يكون جزاء عملك الطيب مضاعفاً أضعافاً كثيرة . قال تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾[2] .

قال رسول الله ﷺ : «أنفق يا ابن آدم ينفق عليك»[3] .

(١) سنة أولى سجن .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٢ .

(٣) متفق عليه .

حكاية حصة الطيبة

كانت أصغر أخواتها الثلاثة لوالدين مَنَّ الله عليهم بالثراء ، ويرغم صغر سنها كانت «حصة» هي الأطيب والأكثر محبة لعمل الخير تساعد المحتاج وتمد يد العون للفقير ، دائمة الابتسامة سمحة الملامح وضاءة المحيا ملتزمة بتعاليم الإسلام ، وهي في سن السابعة وكان أبوها يحبها ويقربها ، فكانت تشعر بالأمان وهي بجانبه ولكنها لم تستمتع بهذا الأمان فانتقل والدها إلى رحاب ربه ، فصبرت على فراقه وزاد ذلك من إيمانها ، وزادت هي من عمل الخير والتقرب إلى الله تعالى ، وبعد أربع سنوات ودعت والدتها إلى مثواها الأخير ولم يتزعزع إيمانها بل زادتها المصائب حباً لفعل الخير .

ما إن أكملت حصة المرحلة الثانوية حتى زُفت إلى ابن عمها ، ولطيبتها اعتقدت أنها ستجد عنده حنان الأب ودفء الأم اللذين فقدتهما مبكراً ، ولكنها لم تجد لا هذا ولا أقل منه فلقد كان ابن عمها عبارة عن ثعلب ماكر كان يهدف من وراء زواجه منها الاستيلاء على ثروتها ، فمنذ الأيام الأولى بدأ هذا الماكر يأكل ميراثها كقطعة كيك ويبدأ يتصرف بأموالها وينفقها على نفسه فكان يتصرف دون علمها ، كان يصرف ببذخ فالمال ليس ماله ، وكانت حصة بالمقابل ترعاه وتسمع كلامه وتنفذ أوامره وتسهر على راحته ، ولم تكن تهتم بأمر المال فلقد فضلت زوجها على المال ، وكانت تأمل وترجو من الله تعالى أن يهديه إلى سواء السبيل ، وتصرف زوجها بكل ميراثها ولم يبق لها سوى بناية قديمة مؤجرة

منذ حياة والدها لعائلات بسيطة الحال وبإيجار زهيد ، فحاول الزوج أن يقنع زوجته حصة بطرد السكان لبيعها وأوهمها بأنه سيحول رمال هذه العمارة إلى ذهب وسيعطيها بنايتين أخريين بدلاً منها ، لكن حصة رفضت ليس طمعاً في العمارة أو إيجار العمارة ولكن من أجل المستأجرين الذين يسكنون فيها ، فلم يسمح لها إيمانها ولا ضميرها بأن تشتت الأسر الفقيرة خاصة وأنهم يسكنون فيها منذ وجود والدها ، فحباً لأبيها وتقديراً له احترمت مشاعره وهو ميت ، ورفضت التصرف بهذه البناية ، وحاول الزوج بكل وسيلة أن يجعلها توافق إلا أنها رفضت وبشدة ، ولما أحس الزوج أنه أمام صخرة جلمود عنيدة وأنه لا فائدة منها رمى في وجهها ورقة الطلاق وخرج دون رجعة غير مأسوف عليه .

أما حصة الطيبة الصالحة فقد صبرت ورضيت بما قسمه لها ربها وقبلت بالقليل من إيراد العمارة ولم تفكر في بيعها أو إخلائها من سكانها بالرغم من ضيق الحال ، واستمرت في أعمال الخير ، فلم تقطع الرحم ولم تسيء إلى جيرانها وكان تساعد المسكين وتأخذ بيد المحتاج وتقف مع المظلوم وهي لا تجد مَنْ يقف بجانبها ويواسيها لكن إيمانها بالله جعلها قوية رغم ابتعاد الكل عنها وانشغالهم بالدنيا ، وبهرجها ، حتى أخواتها انشغلن بالجري وراء المال فانشغلن بسوق المناخ فلم يجدن إلا الخسارة وذهب منهن الكثير من المال وبقي لهن أقل القليل ، وكذلك زوجها السابق ابن عمها اجتاحته موجة سوق المناخ وأعماه الطمع وحب المال فهوى في قاع الطمع وسقط بين براثن شهوة المال وأشهر إفلاسه وصار مطارداً من قبل الناس وقُبض عليه ومنع من السفر وانتهى .

واجتاح دولة الكويت الطوفان العراقي الظالم ، وبعد شهور قليلة منَّ الله عز وجل على دولة الكويت بالتحرير من أطماع شريرة ، وبعد أن عادت حصة

إلى الكويت وجدت أن سكان العمارة قد رحلوا عنها وأخلوها بإرادتهم وخرجوا من الكويت وهم يدعون الله تعالى أن يوفق حصة هذه المرأة الكريمة الطيبة التي وقفت إلى جانبهم رغم قدرتها على رفع الإيجار أو هدم العمارة ، واستجاب الله تعالى لدعواتهم وكافأها الله عز وجل على صبرها ومساعدتها للمحتاجين . وجاء من يشتري العمارة بعشرة أضعاف القيمة التي حاول زوجها السابق بيعها(١) .

إن عمل الخير لا يضيع ولو بعد حين فإذا كان الناي ينسون وينكرون من يعمل لهم خيراً فإن الله عز وجل لا ينسى ، ولقد ضاعف الله تعالى بمنه وفضله الأجر لهذه المرأة الطيبة في الدنيا الحسنة بعشرة أمثالها وكافأها على كرمها ومعروفها ، وكل يأخذ جزاءه إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قال الله تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾(٢) .

قال رسول الله ﷺ : «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»(٣) .

---

(١) جريدة الأولى : بتصرف .

(٢) سورة الزلزلة : الآيتان ٧ ، ٨ .

(٣) رواه مسلم .

الوَرَع

كان في دمشق رجل من الحرفيين ابتلاه الله بالفقر وقلة ذات اليد ، وكان رجل صالح أعطى ربه حقه وأعطى نفسه حقها في مرضاة الله وكان يسعى في طلب الرزق ولكنه لا يكاد يصل إلى قوت يومه ، وكان يتعفف عن الناس فهم لا يرون منه إلا ظاهر الغنى .

خرج الرجل لصلاة الفجر صباح الجمعة في الجامع الأموي فصلى المكتوبة ثم قرأ من كتاب الله ما شاء الله له ، وقام يمشي بين حلقات الشيوخ حتى جلس إلى شيخ وقور من أهل العلم يُفسر قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾[1] .

وكان مما قال الشيخ للمستمعين الذين جلسوا إليه : يا بني إن العبد وحده ضعيف تتخطفه شياطين الإنس والجن تدخل إليه من مراكز ضعفه ثم تستحوذ عليه فتسوقه إلى حتفه ولكنه إذا تذكر خسة الأشياء الهابطة التي يشتد إليها ودناءتها وهوانها على الله في ميزان الحقائق الثابتة المجردة وعظيم ما أعدَّ الله تعالى لمن تركها زُهداً بها وابتغاء ما عند الله سبحانه ، إذا تذكر هذه الحقائق وتبصر بها أضاء له بين يديه من سراج قلبه على عقله نور يمشي به بين الناس مبصراً والناس عميان من حوله أعمتهم الشهوات ، وأخلف الله عليه مكافآت

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٠١ .

وجوائز ما كان يحلم بها أو تدور في خلده مما لا قبل له به مصداقاً لقوله صلوات الله عليه : «إنك لن تدع شيئاً لله إلا أبدلك الله به ما هو خير لك منه» .

خرج الرجل من المسجد وقد امتلأت نفسه بهذا الغذاء الروحي واستقر في عقله ذلك الحديث الشريف ، ومشى الرجل على غير وعي منه في سكك دمشق وحاراتها القديمة حتى ساقته قدماه إلى حارة مسدودة ، بابها الخارجي مفتوح تدخل الدار فإذا هي دار وسيعة فسيحة ، وكان الرجل جائعاً جوعاً شديداً فشم رائحة طعام شهي فتوجه إلى المطبخ فوجد طعاماً مطبوخاً شهياً ساخناً معرضاً للهواء ليبرد ، فأخذ قطعة منه دون تفكير فأكل منها لقمة صغيرة شده إليها الجوع ، ولكنه تذكر فأمسك ولم يأكل ، تذكر الرجل حديث رسول الله ﷺ : «إنك لن تدع شيئاً لله إلا أبدلك الله به ما هو خير منه» . وأخذ الرجل يعاتب نفسه : إن هذه اللقمة حرام لأنها سرقة . . . اللهم اغفر لي لو أني صبرت ربما نلتها وأضعاف أضعافها حلالاً مباركاً . . . فيا ويلتاه ! ماذا صنعت بنفسي اللهم عفوك ، وأقبل الرجل على نفسه يوبخها ، ويحك يا نفس أنا الرجل الشريف الطاهر الذي لم تمتد يدي ولا عيني إلى حرام منذ وعيت الدنيا . . . اللهم سترك وعفوك وغفرانك ، وتمتم بأدعية كان يحفظها والدموع تنهمر من عينيه وهو يؤنب نفسه : ويحك يا فلان لقد صرت سارقاً .

مشى الرجل في سكك دمشق على غير هدى وقلبه يكاد يتقطر حزناً على ما فرط منه ، ولاذ الرجل بالدعاء والاستغفار ، وطال بالرجل السير وارتفعت الشمس في كبد السماء ، وأثناء سير الرجل في الطرقات التقى به رجل فحدق فيه وأخذ ينظر إليه يتفحصه وصاحبنا الفقير قد أخذته الدهشة من فعل الرجل ،

وفجأة هجم عليه الرجل وأخذ يعانقه ويقبل رأسه ، وذهل صاحبنا من تصرف الرجل معه ، ولكن الرجل الغريب عرف الرجل وعرفه بنفسه وقال له : أنت والله طلبتي . . . أنا فلان صديقك بالأمس البعيد أنسيتني ؟ ! إني أبحث عنك منذ الفجر في كل مكان أظنك فيه ، فلم أجدك وها قد أكرمني الله برؤياك فتعال معي ولا تطل الكلام فأنا أريدك لأمر مهم ، ثم أردف الغريب يسأل صاحبنا : هل أنت متزوج؟

ثم إذا لم تكن متزوجاً فهل تحب أن تتزوج؟

قال له صاحبنا : ما هي القصة أخبرني حتى أذهب معك على بصيرة ، وأنا لعلمك غير متزوج .

فقال له الغريب : حسناً إذن هيا معي وتوكل على الله .

مشياً معاً في سكك دمشق وحاراتها حتى وصلا إلى الحارة التي دخلها صاحبنا في الصباح الباكر ثم دخلا نفس الدار الوسيعة الفسيحة ، واستأذن الرجل فأذن له أهلها بالجلوس في قاعة الضيوف وصاحبنا لا يدري شيئاً مما يحدث .

وقال الرجل الغريب : هذا أيها السادة صاحبي الذي حدثتكم عنه أتيت به خاطباً بنتكم فلانة وإنه فيما أعلم رجل صالح وإنه كذلك . . . وصاحبنا جالس يستمع في ذهول يحدث نفسه . . . أنا خاطب ! ! وما لدى مال ولا دار؟ !

ومضى الرجل الغريب في حديثه قائلاً : أما المهر فعلي ، وأما الدار فهذه دار وسيعة فسيحة تتسع لعدة أسر فهو يسكن فيها معكم حتى يقيض الله له داراً وإن مع العسر يسراً .

وبعد تداول الحديث وشرب القهوة ذهب القوم لصلاة الجمعة ، وبعد انقضاء الصلاة جاؤوا ومعهم إمام الجامع والشهود وعُقد عقد النكاح وقام أهل الدار إلى الطعام يضعونه للضيوف على شرف صهرهم الجديد ، واقترب صاحبنا من الطعام فرأى القطعة التي بقيت من سؤره في الصباح على حالها تنتظره فأخذها وأكلها وهو يبكي .

قال له أهل الدار : ما الذي أبكاك ونحن في محل فرح ومرح؟ !

سكت الرجل فهو لا يستطيع أن يفصح عما جرى معه في الصباح الباكر كيلا يعدّوه من السارقين ، ولكنه تمتم بالحديث الشريف بينه وبين نفسه : «إنك لن تدع شيئاً لله إلا أبدلك الله به ما هو خير لك منه»(١) .

ترك هذا الرجل الشريف طعاماً حراماً وزاداً مشبوهاً تركه خوفاً من الله وتورعاً فرزقه الله عز وجل الزاد كله وزوجة صالحة وداراً فسيحة وسيعة في أقل من نصف يوم بالحلال الطيب المبارك ، فسبحان من أغنى بالحلال عن الحرام وقسم لكل مخلوق رزقه وطعامه وشرابه ، قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝﴾(٢) .

قال رسول الله ﷺ : «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس»(٣) .

---

(١) صفحات مشرقة .

(٢) سورة الطلاق : الآيتان ٢ ، ٣ .

(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

الفصل الثاني

ثمرة الصدقة

أولاً : الإيثار .

ثانياً : لقمة بلقمة .

ثالثاً : شربة ماء باردة .

رابعاً : الإنفاق في سبيل الله .

الإيثار

الشيخ العالم الفقيه سليم المسوني الدمشقي أحد أعلام دمشق كان فاضلاً مؤثراً غيره على نفسه، معتمداً في أموره على مولاه .

ومن قصصه الغريبة أنه بينما كان في المسجد إذ جاءه فقير معدم يقول له : أنه لم يذق هو وأسرته طعاماً منذ أيام .

فأشفق عليه جداً فاصطحبه إلى منزله، وأوقفه على الباب، ثم انسل في غفلة من أهله إلى الداخل وكانوا قد طبخوا الكوسا المحشي ووضعوه في صينية كبيرة على حافة البحرة (نافورة صغيرة تكون وسط البيت) ليبرد فحملها كلها ودفعها إليه دون أن يعلم به أحد، ولزم المسجد حتى أمسى وكان باله مسغولاً عند أهله لا يدري ما صنعوا . . . فرأى أن يعود إليهم، وما إن دخل البيت حتى وجد طعاماً كثيراً فاخراً يملأ الباحة، ووجد أهله مسرورين، ولما سألهم عن هذا الطعام أجابوه أن الباشا قد أرسل لهم هذا كله .

ولما سأل عن قصة الطعام فيما بعد، ولماذا أرسله إليه الباشا؟ علم أن ذاك الباشا كان قد دعا (الوالي والمشير) للغداء فلم يأتيا فغضب وأرسل الطعام إلى الشيخ سليم[١] .

لقد آثر هذا الشيخ الجليل الفقير على نفسه وأهله وتصدق بقوت أولاده طمعاً لما عند الله تعالى وحباً لفعل الخير وحباً للفقراء والمساكين وشفقة عليهم،

وهو يعلم علم اليقين أن الله لا يضيع أجر المحسنين فرزقه الله أفضل مما أعطى وأقر عينه في الدنيا وله في الآخرة الأجر الجزيل إن شاء الله تعالى .

قال تعالى : ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝﴾(١) .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أي الإسلام خير؟ قال : «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(٢) .

---

(١) سورة الإنسان : الآية : ٨ .

(٢) متفق عليه .

لقمة بلقمة

كان لامرأة ابن ، فغاب غيبة طويلة ، وأيست من رجوعه ، فجلست يوماً تأكل ، فحين كسرت اللقمة وأهوت بها إلى فيها ، وقف بالباب سائل يستطعم فامتنعت عن أكل اللقمة وحملتها مع تمام الرغيف فتصدقت بها وبقيت جائعة يومها وليلها ، فما مضت إلا أيام يسيرة حتى قدم ابنها فأخبرها بشدائد عظيمة مرت به وقال : أعظم ما جرى عليّ أني كنت منذ أيام أسلك طريقاً في فلاة إذ خرج علي أسد فقبض عليّ من على ظهر حمار كنت أركبه وفر الحمار هارباً ونشبت مخالب الأسد في مرقعة كانت علي وثياب تحتها وجُبة ، فما وصل إلى بدني كبير شيء من مخالبه إلا أني تحيرت ودهشت وذهب أكثر عقلي والأسد يحملني حتى أدخلني كهفاً وبرك عليّ ليفترسني فرأيت رجلاً عظيم الخلق أبيض الوجه والثياب وقد جاء حتى قبض علي الأسد من غير سلاح وشاله وخبط به على الأرض وقال : قم يا كلب ، لقمة بلقمة ، فقام الأسد يهرول ، وثاب إليّ عقلي ، فطلبت الرجل فلم أجده ، وجلست بمكاني ساعات إلى أن رجعت إليّ قوّتي ثم نظرت إلى نفسي فلم أجد بها بأساً فمشيت حتى لحقت بالقافلة التي كنت فيها فتعجبوا لما رأوني فحدثتهم حديثي ، ولم أدر ما معنى قول الرجل : لقمة بلقمة فنظرت المرأة فإذا هو وقت أخرجت اللقمة من فيها فتصدقت بها[1] .

---

(١) نشوار المحاضرة .

إن الصدقة تطفئ غضب الرب وتنجي بإذن الله من المهالك وترد البلايا وتبارك في العمر وربما صدقة تصدّ بإذن الله مصائب كبيرة ، فلا نستهين بأمر الصدقة ولو كانت قليلة ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فهذه الأم التي انشغلت بغياب ولدها الطويل حتى يئست من رجوعه كانت صدقتها التي تصدقت بها وهي في حاجة إليها كانت سبباً لإنقاذ ولدها من موت محقق وسبباً في عودته سالماً ، فتصدقوا فما عند الله خير وأبقى .

قال الله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾(١)

قال رسول الله ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر»(٢) .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٧١ .

(٢) رواه الطبراني وحسنه الألباني .

شربة ماء باردة

في يوم الخميس الثاني من أغسطس في عام ١٩٩٠م حدث مالم يكن في الحسبان ومالم يتوقعه أي مسلم فضلاً عن الجيران ، فقد قام الجيش العراقي بأمر الطاغية الظالم صدام حسين بغزو دولة الكويت واحتلالها مكافأة لهذا البلد على وقوفه بجانبه سنين طويلة ، وفتح حدوده لتنساب الخيرات على العراق دون حساب حتى أثر ذلك على اقتصاد الكويت ، مما أثر بالتالي على مستوى مواطنيه من الناحية الاقتصادية ، ودخلت جحافل الجيش العراقي تذكرنا بدخول الجيوش البربرية التابعة للطاغية هولاكو عندما غزت بغداد وقضت على الخلافة العباسية فيها ، ودمرت كل شيء في طريقها ، كذلك فعل الجيش العراقي في عام ١٩٩٠م أثناء غزوه لدولة الكويت ، لقد فعل الجيش العراقي أفعالاً مخزية من النهب والسلب والسرقة والقتل والاغتصاب حال الجاهلية الأولى بل وزيادة .

ومن شدة هول ما حدث حاول الكثير من أهل الكويت ومَنْ فيها الخروج من جحيم الكراهية والحقد الأعمى ، ومن ضمن الذين خرجوا عائلة ركب أفرادها السيارة في الصباح الباكر وهم في خوف ووجل مما قد يتعرضون له من حوادث ، وسارت السيارة بمن فيها تتخفى عن أنظار الجنود العراقيين ، والكل يترقب خوفاً من أن يحدث أي طارئ ، والجدة المؤمنة تردد آيات من الذكر الحكيم وتدعو الله عز وجل أن يسهل رحلتهم كي يصلوا إلى بر الأمان سالمين .

والسيارة تسير عبر الصحراء في يوم قائظ شديد الحرارة ، وبعد قطع مسافة طويلة في هذه الصحراء مرت عليهم كأنها قرن فجأة ظهر جندي عراقي من بين الكثبان الرملية مدججاً بالسلاح وأوقف السيارة وأخذ يجول بناظريه فيها والكل خائف ، ثم أخذ يوجه لهم بعض الأسئلة الاستفزازية ثم أخذ يهددهم مستعملاً معهم أسلوب التخويف والترهيب والجميع صامتون قد تملكهم الخوف ، والجدة تناجي ربها وتدعوه أن يخلصهم مما هم فيه ، وسألهم الجندي العراقي عن وجهتهم ، فأجابوا أنهم ذاهبون إلى السعودية فأشار عليهم أن يسلكوا طريقاً معيناً دلهم عليه وقال لهم : اذهبوا من هذا الطريق فهو طريق آمن .

أسرعت السيارة تسابق الريح مخلفة وراءها الجندي العراقي وقد غطاه التراب ، والجميع يحمدون الله تعالى أن خلصهم من هذا المأزق دون أذى ودعوه سبحانه بأن يسهل لهم وصولهم إلى السعودية .

وسألت الجدة ولدها قائلة : هل أعطيت الجندي ماءاً وطعاماً؟ قال الولد : لا لم أعطه . . . ولماذا نعطيه؟ الحمدلله الذي أنجانا من شره ! !

قالت الجده : إنه مسكين ولا شك أنه بحاجة إلى شربة ماء في هذا الجو الحار وفي هذه الصحراء القاحلة . . هيا ارجع إليه لنعطيه ما يحتاجه .

احتج جميع من في السيارة على رأي الجدة وتذمروا من تصرفها ، ولكنها أصرت على رأيها وأمرت ولدها أن يعود إلى مكان الجندي العراقي ، وانصاع الولد لأمر والدته وعاد من حيث أتى ، ولما وصلوا إلى مكان الجندي استغرب عودتهم وشهر سلاحه بوجوههم وسألهم مستفسراً عن سبب عودتهم .

قال الولد : عدنا لنعطيك ماءً وطعاماً .

قال الجندي : ماء وطعام ! ! إني منذ مدة طويلة لم أذق طعاماً ولم أشرب ماء . فأعطاه الولد زجاجة ماء باردة وكيساً مليئاً بالطعام ، وبسرعة فتح الجندي زجاجة الماء وأخذ يعب منها ليطفئ عطشه ، وأثناء ذلك سارت السيارة بمن فيها دون أن يشعر بهم الجندي العراقي فهو مشغول بشرب الماء ، وفجأ سمع الجميع صرخة قوية مدوية صدرت من الجندي العراقي ينادي عليهم بأعلى صوته : ارجعوا . . ارجعوا .

فعادوا إليه وهم خائفون ، ولما وصلوا إليه قال لهم : لا تذهبوا من هذا الطريق ، فقال له الولد : ولماذا أليس هذا هو الطريق الذي أرشدتنا إليه؟ !

قال الجندي : نعم ولكنه طريق خطر مليء بالألغام ونقاط التفتيش ، وكنت أريد بكم سوءاً ، أما الآن وقد أعطيتموني الماء والطعام فأنتم أرحم ممن ألقى بنا في هذه الصحراء وتركنا هنا دون ماء أو طعام ولولاكم لهلكت من العطش ، والآن اسلكوا الطريق الآخر فهو طريق آمن ولن يعترضكم فيه أحد . وأشار إليهم نحو الطريق قائلاً لهم : من هنا سيروا هيا بسرعة ولا تتأخروا . شكره الجميع وانطلقت السيارة بهم وهم في دهشة مما حدث فقالت الجدة : أرأيتم كيف أن الله عز وجل سلمنا من خطر عظيم كدنا أن نقع به بسبب هذه اللقمة البسيطة والشربة القليلة فاحمدوا الله واشكروه واحرصوا على عمل الخيرات وخاصة الصدقة . . تصدقوا يا أبنائي ولو على عدوكم فإن الصدقة تقي مصارع السوء .

وصلت العائلة بفضل الله تعالى ورعايته إلى الأراضي السعودية دون أن يمسهم سوء .

إن الصدقة نتائجها عظيمة وثمرتها طيبة ، ولولا الله عز وجل ثم حرص

هذه الجدة على الصدقة وإيمانها بالله لتعرضت هذه العائلة لأخطار جسيمة ولكن الله سلم وأنقذهم من موت محقق ، ولكن شربة ماء باردة في حر الصيف أطفأت في قلب هذا الجندي نار الحقد والضغينة فرق قلبه وأرشدهم إلى طريق النجاة ، والحمدلله رب العالمين .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»(٢) .

(١) سورة يوسف : الآية ٨٨ .

(٢) رواه الحاكم وصححه الألباني .

الإنفاق في سبيل الله

حدثني أحد الإخوة الأفاضل بهذه القصة التي حدثت له وطلب مني عدم ذكر اسمه خوفاً من الرياء .

قال : في يوم من الأيام كنت بحاجة إلى مبلغ من المال فبحثت فلم أجد إلا عشرة دنانير هي ما بقي لي من المرتب الشهري ، والشهر لا يزال في منتصفه ، فأخذت أفكر في كيفية الحصول على المال فعجزت ، فخطر على بالي حديث رسول الله ﷺ : «أنفق يا ابن آدم ينفق عليك» فقلت في نفسي ليس لي سوى طرق هذا الباب فقمت مسرعاً بالذهاب إلى إحدى اللجان الخيرية وتبرعت بجميع ما أملك وهو عشرة دنانير وكلي يقين بأن الله عز وجل سيعوضني خيراً منها ، وبت ليلتي وأنا مطمئن النفس هادئ البال ، وفي الصباح ذهبت إلى مكان عملي وأنا منشرح الصدر مرتاح ، وجلست على الكرسي أقلب بالأوراق التي على المكتب أنجز فيها بعض الأعمال المطلوبة مني ، وبعد مدة بسيطة رن جرس الهاتف فرفعت السماعة وإذ على الطرف الآخر (أمين الصندوق) يحدثني قائلاً :

ـ تعال يا أخي واستلم مكافأتك .

قلت : أي مكافأة؟ !

قال : مكافأة أعمال ممتازة هيا بسرعة ولا تتأخر .

وضعت السماعة وجلست على المقعد وأنا في فرحة عظيمة ودعوت الله عز وجل أن يكون لي الأجر في الآخرة كما عوضني في الدنيا .

ذهبت لأستلم المبلغ وإذا هو أكثر من مئتي دينار !!

هذا من ثمار الصدقة والتوكل على الله تعالى وطلب ما عند الله والاستغناء عما عند الناس ، وبذل المال في سبيل الله له نتائج طيبة في الحياة الدنيا من بركة في العمر والرزق وصلاح الذرية والحفظ من الآفات .

وفي الآخرة الثواب الجزيل وما عند الله باق وما عندكم ينفد .

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾ (١) .

قال رسول الله ﷺ : «قال الله عز وجل : أَنْفِقْ أُنفقْ عليك»(٢) .

(١) سورة سبأ : الآية ٣٩ .

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم .

الفصل الثالث

العقوق

أولاً : قبل فوات الأوان .

ثانياً : القصاص العادل .

ثالثاً : الولد العاق .

قبل فوات الأوان

قصة واقعية كاد بطلها أن يفقد أجمل شيء في الحياة الدنيا ألا وهي الأم ، وكاد يفقد أغلى شيء في الآخرة ألا وهي الجنة ، ولكن الله منّ عليه وانتبه بعد غفلة واستيقظ بعد سبات وأدرك الأجر والثواب إن شاء الله تعالى . وفي قصته عظة وعبرة لكل من تسول له نفسه أن يعق والديه أحدهما أو كليهما ، فلنقرأ قصته . يقول ح .ح .م :

مات والدي وأنا صغير فأشرفت أمي على رعايتي ، عَملت خادمة في البيوت حتى تستطيع أن تصرف عليّ ، فقد كنت وحيدها ، أَدخلتني المدرسة وتعلمت حتى أنهيت الدراسة الجامعية ، كنت باراً بها ، وجاءت بعثتي إلى الخارج فودعتني بالدموع وهي تقول لي : انتبه يا ولدي على نفسك ، ولا تقطعني من أخبارك ، أرسل لي رسائل حتى أطمئن على صحتك .

أكملت تعليمي بعد مضي زمن طويل ورجعت شخصاً آخر قد أثرت فيه الحضارة الغربية ، رأيت في الدين تخلفاً ورجعية !! وأصبحت لا أؤمن إلا بالحياة المادية والعياذ بالله .

حصلت على وظيفة عالية وبدأت أبحث عن الزوجة حتى حصلت عليها ، وكانت والدتي قد اختارت لي فتاة متدينة محافظة ولكني أبيت إلا تلك الفتاة الغنية الجميلة لأني كنت أحلم بالحياة «الأرستقراطية» !!!

وخلال ستة أشهر من زواجي كانت زوجتي تكيد لأمي حتى كَرِهْتُ والدتي ، وفي يوم من الأيام دخلت البيت وإذا بزوجتي تبكي فسألتها عن السبب فقالت : شوف يا أنا يا أمك في هذا البيت لا أستطيع أن أصبر عليها أكثر من ذلك .

جن جنوني وطردت أمي من البيت في لحظة غضب فخرجت وهي تبكي وتقول : أسعدك الله يا ولدي .

انظروا كم هو قلب الأم كبير وحنون وعطوف فرغم أن ولدها وحيدها طردها من البيت ظلماً وعدواناً إلا أنها تدعو له بالسعادة في الحياة .

يكمل صاحب القصة قائلاً : وبعد ذلك بساعات خرجت أبحث عنها ولكن لا فائدة ، رجعت إلى البيت واستطاعت زوجتي بمكرها وجهلي أن تُنسيني تلك الأم الغالية الفاضلة ! !

انقطعت أخبار أمي عني فترة من الزمن أُصيبت خلالها بمرض خبيث دخلت على إثره المستشفى ، وعَلِمَت أمي بالخبر فجاءت تزورني ، وكانت زوجتي عندي ، وقبل أن تدخل عليّ طردتها زوجتي ، وقالت لها :

ـ ابنك ليس هنا . . ماذا تريدين منا . . اذهبي عنا .

رجعت أمي من حيث أتت ، وخَرجتُ من المستشفى بعد وقت طويل انتكست فيه حالتي النفسية وفقدت الوظيفة والبيت وتراكمت عليّ الديون وكل ذلك بسبب زوجتي فقد كانت ترهقني بطلباتها الكثيرة . وفي آخر المطاف ردت زوجتي الجميل وقالت : ما دمت قد فقدت وظيفتك ومالك ولم يعد لك مكان في المجتمع فإني أعلنها لك صريحة : أنا لا أريدك . . لا أريدك . . طلقني .

كان هذا الكلام الذي سمعته بمثابة صاعقة وقعت على رأسي وطلقتها بالفعل . . وعندها استيقظت من السبات الذي كنت فيه وخرجت أهيم على وجهي أبحث عن أمي ، وفي النهاية وجدتها . . ولكن أين وجدتها؟ !

كانت تقبع في أحد (الأربطة) ـ الرباط مكان يجتمع فيه الذين لا مأوى لهم وليس لهم من يعولهم ويأكلون ويشربون من الصدقات ـ دخلت عليها . . وجدتها وقد أثر عليها البكاء فبدت شاحبة ، وما أن رأيتها حتى ألقيت بنفسي عند رجليها وبكيت بكاءً مراً ، وما كان منها إلا أن شاركتني البكاء ، بقينا على هذه الحالة حوالي ساعة كاملة بعدها أخذتها إلى البيت وآليت على نفسي أن أكون طائعاً لها وقبل ذلك أكون متبعاً لأوامر الله مجتنباً لنواهيه(١) .

إن عقوق الوالدين إثم عظيم ومن كبائر الذنوب وخاصة عقوق الأم لذلك عندما عق هذا الولد أمه أصبحت حياته تعيسة وعاش في ويلات ومصائب ، ولولا فضل الله عليه أن جعله ينتبه من غفلته ويدرك خطأه وعاد إلى رشده لعاش طوال عمره في تعاسة وبؤس ولكن الله تعالى منّ عليه بفضله وكرمه وعاش مع أمه أجمل أيامه .

قال الله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾(٢) .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال : «أمك» .

(١) جريدة البلاد السعودية .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٤ .

قال : ثم مَنْ؟

قال : «أمك» .

قال : ثم مَنْ؟

قال : «أمك» .

قال : ثم مَنْ؟

قال : «أبوك»[1] .

(١) متفق عليه .

القصاص العادل

نجح وائل في اختبار الشهادة الثانوية ، وكانت فرحة أبويه أكبر من فرحته ، كيف لا وهو ابنهما ووحيدهما وأملهما في هذه الحياة ، وكانت أمنية وائل دراسة الطب البشري في باريس ، ووافق الوالد على اقتراح ولده وعمل على تحقيق أمنيته خاصة وإنه وحيده . وسافر وائل إلى جامعة (السوربون) في باريس ليدرس الطب وكان أبوه تاجراً فكان يرسل لولده المال الذي يحتاجه فاستأجر الولد شقة صغيرة قرب الجامعة من عائلة فرنسية . ونشأت صداقة بين وائل وابنة هذه العائلة وكانت جميلة فاتنة ، وتوثقت العلاقة بين وائل وهذه الفتاة على مر الأيام وصارا زميلين كل منهما يُحب الآخر ، واعتادت الفتاة أن تدخل شقة وائل في أي وقت تشاء ، وكان الشيطان ثالثهما فزين لهما الغي والعصيان فهام كل منهما بالآخر ، وأخذ وائل يغدق على فتاته من عطاياه وهداياه ، وكان والده يواصل الليل بالنهار كي يوفر لولده المال الذي يحتاجه ، وهذا الولد يلهو ويلعب . واشتغل فكر وائل بصاحبته فأثر ذلك على دراسته فتخلف فيها ، ومرت الأعوام والأب لم يتخلف في إرسال ما يحتاجه ولده من مال ، وكانت الأم تحثه وتذكّره كي لا ينسى ، فهذا ولدهما الوحيد وهما في غفلة لا يدريان ما يفعل هذا الولد .

وفي أحد الأيام جاءت الفتاة تبكي وتنتحب فشق ذلك على قلب وائل فأخذ يهدئ من روعها ويربت على كتفيها فلما هدأت سألها عن سبب بكائها

فقالت له :ـ إن والدي طردني من المنزل حيث إني بلغت السن التي يجب فيها أن أعتمد على نفسي وأن أصرف على نفسي فهو غير ملزم بالإنفاق عليّ .

وهنا لم يتردد وائل أن عرض عليها الزواج الشرعي فلبَّت دون أن تتريث لحظة واحدة خوفاً من ضياع الفرصة ، وتزوجا وأصبح وائل مكلفاً بالإنفاق على زوجته وبيته ، وطلب من أبيه مضاعفة المبلغ وبين لأهله أنه بحاجة إلى نقود كثيرة حيث إن الأسعار مرتفعة جداً ، ولم يتوان الأب عن إرسال المال لابنه ، والأم تحثه أن لا يبخل على ابنهما حتى صرف الأب آخر مبلغ لديه ونفد ماله ، واحتار من أين يأتي بالمال اللازم لابنه ، وسارعت الأم إلى بيع ما لديها من حلي من أجل ولدها ومن أجل مستقبله ، ووائل مستمر في المطالبة بمزيد من المال ولم يكن يفكر بوالديه وما يعانيانه من أجل توفير المال له ، المهم عنده أن يصله المال لينفق بسخاء على المحبوبة الغالية ! !

وساءت حالة الوالد الاقتصادية وتدهورت موارده المالية ، وطالت مدة دراسة وائل ، والوالدان ينتظران تخرجه بفارغ الصبر كي يعوضهما عن كل ما عانياه من تعب وكد ويوفر لهما العيش الرغيد ، وكانت الأم تُصبِّر زوجها وتمنيه بالأيام السعيدة القادمة عندما يأتي وائل ! ! ليرد لهما الجميل وأكثر ، والولد يطلب منهما المزيد من المال ، فلم يجد الوالدان سبيلاً لتوفير المال اللازم سوى بيع الدار ، ويتركان دارهما ويسكنان في دار صغيرة بالأجرة ويرسلان المال لولدهما فلم يبق على تخرجه إلا القليل وسوف يشتري لهما قصراً يسعدان به معه ! ، والولد المسرف يبذر المال دون تفكير أو اهتمام ، وضاق الحال بالوالدين فليس لديهما ما يرسلانه ، فبعث الوالد رسالة يشرح فيها لابنه أن المال قد نفد

وأن الدار قد بيعت حتى حلي والدتك قد بيعت أيضاً وليس لدينا ما نبعثه إليك فدبر أمر نفسك .

ولكن وائل غضب ولم يصدق كلام أبيه وظن بأبيه ظن السوء ووسوس له الشيطان أن والديه قد ضيعا مستقبله ، فقسا قلبه وقاطعهما وأخذ يعمل لمتابعة دراسته . ولما أكمل دراسته ظل مستمراً في عمله كي يجمع مبلغاً من المال ليفتح به عيادة في بلده عند عودته . وتحقق له المراد وجمع مبلغاً من المال وشدّ الرحال للعودة إلى بلده ، وعاد هو وزوجته إلى وطنه ولم يعلم به أحد حتى والداه ! !

عاش وائل مع زوجته الفرنسية وكثر ماله ولم يحاول أن يتصل بأبويه فلقد كان يحمل بين أضلاعه حجراً قاسياً مليئاً بالحقد والضغينة على من كانا سبباً فيما هو فيه من رغد العيش ، ولكن الله عز وجل يمهل ولا يُهمل فلا يغفل سبحانه وتعالى عن أمر العباد ، وشاء الله عز وجل أن يأتي إلى عيادة وائل رجل من أصدقاء والده وعرف وائل ولكن وائل لم يعرفه ، وما أن خرج الرجل من العيادة حتى أسرع إلى والد وائل ليخبره بأن ولده قد عاد وفتح عيادة ، فيتفاجأ الوالد عند سماعه هذا الخبر ولم يصدق ما سمعه من صديقه فأقسم له الصديق أنه صادق وقال له : هيا بنا لأدلك على عيادته هيا .

وسار الوالد وهو في دهشة من أمره ، وما أن وقعت عيناه على لافتة العيادة وقرأ اسم ولده عليها واشتم رائحة ولده فلذة كبده ، حتى ذرفت عيناه بالدموع ، إنها دموع الفرح والسعادة ، وصعد الاثنان درج العيادة والأب لا يكاد يصدق عينيه . ورأى الأب ابنه بعد هذه الغيبة الطويلة وأراد أن يضمه إلى صدره

كي يطفئ لهيب أشواقه ، وما اقترب الوالد من ابنه حتى صاح فيه الولد العاق بكل وقاحة : قف مكانك ولاتقترب مني كي لاتراك زوجتي الأجنبية فتحتقرني وأسقط من عينها ! ! وتسمر الأب مكانه ، وأردف الولد العاق قائلاً : اسمع سأقدم لك مساعدة مالية ولكن المهم أن تبتعد عن العيادة ولا أراك أبداً ! !

وهنا شعر الأب أنه أصيب بخيبة أمل مريرة وتبددت جميع توقعاته فتماسك وشد من عزمه وأجاب ولده العاق على الفور قائلاً له كلاماً لو سمعه جبل لانهد من مكانه وتطايرت حجارته .

قال الأب لولده العاق : «عليك لعنة الله والناس أجمعين وعليك غضب الله إلى يوم الدين وعليك الشقاوة أبد الآبدين» .

ثم بصق في وجهه بصقة أطفأت النار التي أشعلها هذا الولد العاق في قلب أبيه ، ثم أردف الأب قائلاً : أغنانا عنك رب العالمين .

وعاد الأب إلى زوجته مخيب الآمال والحزن والقهر يفتت كبده ولما وصل إليها أخبرها الخبر المشؤوم فحزنت حزناً شديداً وبكت بكاءً طويلاً وكان لابد من نهاية لما حدث خاصة بعد هذا الدعاء الشديد الصادر من قلب مكلوم قلب أب مجروح .

لم يؤثر كلام الأب بنفس هذا الابن العاق ولا بقلبه فهو كالحجارة بل أشد قسوة وأسود من دياجير الليل البهيم .

وفي يوم إجازة خرج وائل مع زوجته للنزهة والراحة والاستجمام وقضاء يوم جميل بعد عناء العمل ، وعند أحد المنعطفات انزلقت السيارة فجأة وهوت

في الوادي السحيق ومات وائل وزوجته في الحال ، ووصل الخبر إلى الوالدين فأيقنا بالله العليم الحكيم الذي لا يرد دعوة المظلوم فما بالك بالوالدين ، فقد ورثا كل ثروة الابن حتى العيادة[(١)] .

إن ربك لبالمرصاد والله عز وجل يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . وفي هذه القصة عبرة وعظة للأبناء والآباء ، فيجب على الأبناء أن يرعوا آباءهم وأمهاتهم . ويجب على الآباء أن يحرصوا على أن يربوا أولادهم التربية الدينية الصحيحة وأن يحافظوا عليهم من آفات الدنيا ومصائد الشيطان خاصة في زماننا هذا .

قال الله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[(٢)] .

قال رسول الله ﷺ : «رضى الرب في رضى الوالدين وَسَخَطُ الرب في سَخَطِ الوالدين»[(٣)] .

(١) وقائع أغرب من الخيال .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٨ .

(٣) رواه الحاكم .

الولد العاق

كان وحيد والديه إلا أنه كان سليط اللسان بذيء الكلام ، فكان يوجه سبابه وشتائمه إلى والديه دون مراعاة لما حث عليه الدين الحنيف من طاعة الوالدين واحترامهما والسمع والطاعة لهما وعدم إيذائهما حتى ولو بأقل الكلام ، ولكن هذا العاق كان شديداً على والديه ، وبعد وفاة والده ازدادت قسوته على أمه ، وكانت أمه المسكينة من حبها له وخوفها عليه دائمة النصح له بأن يبتعد عن رفاق السوء الذين كانوا السبب في ابتعاده عن الدين والأخلاق الحميدة ، وسبباً في تخلفه الدراسي وانحرافه ، إلا أن هذا الشقي لم يكن ليسمع كلامها بل يرد عليها بأرذل الألفاظ وكان يقسو عليها حتى نفذ صبرها فهددته بأن تخبر أحد أخواله كي يؤدبه ، ولكن هذا العاق الشقي سب خاله وتحدى أن يفعل له أي شيء فهو يستطيع أن يدافع عن نفسه ، وأخذ يتطاول على أمه بالكلام القبيح والألفاظ البذيئة . وزادت ثورته وسيطر عليه الغضب وأخذ إبليس بناصيته ففقد أعصابه والتقط الحذاء وقذف به أمه فأصابها في ظهرها وخرج غير نادم على فعلته الخسيسة ، وأخذت الأم المسكينة تبكي وتندب حظها ، ومن شدة حزنها وحرقة قلبها دعت عليه وهي تبكي وتنتحب ، وفي الليل عاد الشقي بعد أن قضى معظم الوقت مع أصدقاء السوء وألقى بجسده على الفراش وغط في النوم .

وفي الصباح استيقظ وكانت المفاجأة أنه لا يستطيع أن يحرك يده اليمنى . .

يده التي قذف بها الحذاء تجاه أمه . . لا تتحرك ! لقد شُلت يده ، أغلق عليه الباب وأخذ يبكي من هول ما أصابه وجُرم ما ارتكبه في حق والديه ، ورق قلب الأم المسكينة لما أصاب فلذة كبدها ولكن لا تستطيع أن تفعل له شيئاً فأخذت تدعو الله عز وجل أن يشفيه وهي تبكي وتنتحب .

كيف طاوعت له نفسه أن يقذف أمه بالحذاء ! ! إن الإنسان السوي لا يجرؤ أن يقذف حيواناً أليفاً خوفاً من الله ورحمة بهذا الحيوان .

إن الله عز وجل حذرنا من أن نقول (أُف) أمام الوالدين وأن لا نتفوّه أمامهما إلا بالكريم من القول ، فكيف بمن يتطاول على أمه التي لها المنزلة الأولى بأن يقذفها بالحذاء ! ماذا بقي بعد من ديننا وأخلاقنا؟ !

اقرأ معي هذه الأبيات الشعرية لتعرف أن قلب الأم كبير ، فمهما رأت الأم من جفوة وقسوة من أولادها إلا أنهم أعز شيء وأغلى شيء في الوجود وأحب شيء إلى قلبها .

أغـرى امـرؤ يومـاً غـلامـاً جـاهلاً

بنقـوده حـتى ينال به الوطر

قـال ائتني بفـؤاد أمك يا فـتى

ولك الجـواهر والدراهم والدرر

فـمضى وأغـرز خنجـراً في صـدرها

والقلب أخـرجـه وعـاد على الأثر

لكنه من فـــرط ســـرعـــتـــه هوى
فـتـــدحـــرج القلب المعـــفَّـــر إذ عـــثـــر
ناداه قلب الأم وهو مـــــعـــــفَّـــــر
ولدى حـــبـــيـــبـــي هل أصـــابك من ضـــرر
فـكـأن هـذا الـصــــــوت رغـم حـنـوهٍ
غـضـب الـسـمـاء على الوليـد قـد انـهـمـر
فـــدرى فظيع خـــيـــانة لم يأتـهـــا
ولد ســـواه مـنـذ تاريخ الـبـــشـــر
وارتـد نـحـــو الـقـلـب يغـســله بما
فـاضـت به عـــيـناه من ســـيل العَـــبـــر
ويقــــول يا قـلـب انـتـــقـم مـني ولا
تـغـفـــر فـــإن جـــريمتي لا تُـغـــتـفـــر
واســـتـل خـنجـــره لـيطـعن صـــدرَه
حنقـــاً ويبـــقى عِـبـــرةً لمن اعـــتـــبـــر
نـــاداه قـــلـــبُ الأم قـــف ولـــدي ولا
تطعن فـــؤادي مـــرتـين عـلى الأثـر

قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٥ ﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ : «من الكبائر شتم الرجل والديه»[2] .

(١) سورة الأحقاف :الآية ١٥ .

(٢) متفق عليه .

الفصل الرابع

الخطايا

أولاً : الصفعة .

ثانياً : ماذا أقول له؟!

ثالثاً : الفخ .

رابعاً : السفاهة .

خامساً : ضياع العمر .

سادساً : خطوات الشيطان .

سابعاً : صرخات الندم .

الصفعة

كان شاباً يافعاً وسيماً ، وكان مغتراً بنفسه ، وحيث إنه كان آخر العنقود فقد كان مدللاً فكانت طلباته كلها مُجابة ، كما أنه كان يخرج ويدخل دون أن يسأله أحد أين خارج؟ ومن أين أتيت .

كل هذه الأسباب جعلته شاباً مستهتراً لا يبالي بأحد ولا يهتم بما سيحدث له ، فكان يتعرض لبنات الناس معاكساً لهن ، فإذا ما اشتكى أهل الفتاة عند أهله طمأنتهم أمه أنها ستعاقبه على عمله السيء ولكنها لا تنفذ ما تقول ، وإذا بلغ الخبر والده أقنعته والدته أنه مازال شاباً طائشاً وأنه لن يعود لمثل هذا العمل مرة أخرى وكان أبوه يسمع لكلام أمه ، وكان الناس يزداد ضيقهم منه يوماً بعد يوم ، ويزداد هو أذى لهم . وهكذا كانت حياته حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره فاشترى له والده سيارة ليزداد سوءاً على سوئه فصار قناصاً ينصب الفخاخ للفتيات الساذجات ويتتبعهن في الجمعيات والأسواق ومراكز اللهو وخلف باصات المدارس ، وأخذ يتفنن في أساليبه الشيطانية ويتصيد الفتيات بالمكر والكذب ، فكم من فتاة خدعها وكم من طاهرة دنسها وكم من غافلة أزعجها ، وهكذا عاش حياته يكذب ويخدع البنات الساذجات ويسيء إليهن دون خوف من الله تعالى أو حياء ، ولم يكترث يوماً بدموع تلك الفتيات المخدوعات اللاتي خدعهن بمعسول الكلام إنما كان همه هو إرضاء غروره والسير وراء خطوات الشيطان فعاش حياته عابثاً بالقيم والأخلاق والآداب .

ولكن لابد لكل شيء من نهاية ، ففي يوم من الأيام خرج بسيارته ومعه أحد أصدقائه خرج هذا العابث ليبحث عن فريسة ، ومر أمامه باص مدرسة ينقل بداخله فتيات ، فسال لعابه ولحق بالباص ، وكان منهمكاً بالإشارات مع إحدى الطالبات كانت تجلس على أحد المقاعد في مؤخرة الباص وكان هو يحاول إعطاءها رقم هاتفه ويأخذ رقم هاتفها ، وفي ذروة انشغاله توقف الباص فجأة ولم ينتبه فإذا هو يدخل بسيارته تحت الباص ، أما صديقه الذي يجلس بجانبه تحول إلى أشلاء ، وهو فقد الوعي ولم يشعر إلا وهو بين أيدي الأطباء وأجهزتهم في المستشفى . وبعد شهرين من العلاج عادت إليه عافيته وسأل عن صديقه فقيل له أنه فارق الحياة ، عندها أصيب بانهيار عصبي وعقدة نفسية أنه السبب في مقتل صاحبه ، وعاش أياماً عصيبة مريرة امتنع فيها عن الأكل والشرب وساءت حالته الصحية ، وكان هذا الحادث بمثابة صفعة قوية أفاق بعدها وشعر بالحسرة والندم على ما ارتكبه من آثام وذنوب ، ولولا حلم الله عز وجل لكان مع صاحبه تحت التراب ولكن الله عليم حكيم أراد له النجاة عله يتوب ويهتدي(١) .

إن الواجب على أولياء الأمور مراقبة أبنائهم وتربيتهم التربية الصالحة وغرس محبة الله ورسوله في نفوسهم وتخويفهم من عقاب الله وعذابه وترغيبهم برحمته وثوابه وجنته وتنشئتهم على الأخلاق الحميدة الفاضلة حتى إذا كبروا كانوا أفراداً صالحين في المجتمع يسعد بهم الجميع .

قال الله تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾(٢) .

(١) جريدة الرأي العام بتصرف .   (٢) سورة النور : الآية ٦٣ .

قال رسول الله ﷺ : «بئس العبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى»(١) .

(١) رواه الطبراني والترمذي .

ماذا أقول له؟!

كانوا ثلاثة من الأصدقاء يجمع بينهم الطيش والعبث واللهو ، بل كانوا أربعة . . . الشيطان رابعهم .

كانوا يذهبون لاصطياد الفتيات الساذجات بالكلام المعسول وينصبون شباك المكر والخديعة كي يستدرجوهن إلى المزارع البعيدة ، وهناك يتحولون إلى ذئاب ضارية لا ترحم توسلات أولئك المخدوعات ، فلقد مات في قلوب هؤلاء السفلة الإحساس والشرف والنخوة فلا يسمعون صيحات تلك الفتيات المخدوعات ولا ترق قلوبهم لدموعهن بل المهم عندهم افتراس الفريسة والتلذذ بها . هكذا كانت تمر عليهم الأيام والليالي في المزارع والمخيمات وقضاء الوقت في السيارات على شواطئ البحر فهم كالأنعام بل هم أضل .

وفي يوم ذهبوا إلى المزرعة كعادتهم السيئة كل واحد قد اصطاد فريسته فهم في لهفة . وكان كل شيء معداً في المزرعة وأول هذه الأشياء أم الكبائر الخمر ، وجلسوا ولكن هناك شيئاً لم يحضروه معهم طعام العشاء فذهب أحدهم لشراء الطعام وأدار محرك السيارة فطارت به تسابق الريح ، وكانت الساعة السادسة مساءً ، ولكن مرت الساعات دون أن يعود تُرى ما الذي حدث؟ وشعر أصدقاؤه بالقلق عليه فانطلق أحدهم بسيارته يبحث عنه عله يجده ، وفي الطريق شاهد ألسنة النار تندلع من مكان بعيد فأسرع إلى مكان

الحادث فماذا رأى؟ لقد شاهد سيارة صديقه مقلوبة على أحد جنبيها والنار تلتهمها ، فأسرع دون تفكير يحاول إخراج صديقه من السيارة المشتعلة ولقد هاله منظر صديقه فقد كان نصف جسده قد تفحم تماماً لكنه مايزال على قيد الحياة فأخرجه من السيارة بصعوبة وأرقده على الأرض ، وبعد برهة فتح عينيه وأخذ يهذي : النار . . . النار . . . ، فقرر صديقه أن يحمله إلى سيارته ويسرع به إلى المستشفى لكنه صرخ صرخة باكية أليمة : لا فائدة لن أصل إلى المستشفى ، فأخذ صديقه يبكي من منظر صديقه المحروق الذي يموت دون أن يستطيع فعل أي شيء له ، وفجأة يصرخ المحروق بأعلى صوته صرخة وكلها ألم وأسى وندم : ماذا أقول له . . . ماذا أقول له؟

نظر إليه صديقه بدهشة وسأله : من هو؟

فأجابه بصوت خافت ، صوت كأنه قادم من بعيد قائلاً : الله . . . أحس صديقه بالرعب والخوف يجتاح جسده ومشاعره ، و فجأة أطلق المحروق صرخة مدوية أعلن فيها نهايته ولفظ آخر أنفاسه[١] .

نسأل الله العافية وحُسن الختام ، أي نهاية مأساوية انتهت بها حياة هذا الشاب البائس ، إن في هذه القصة عبرة وعظة لكل من تمادى في غيِّه وتعدى حدود الله واغتر بماله وشبابه وصحته وكما قال الشاعر :

لعمري قد ضاعت عليهم حياتهم

وقد ضيعوا أيامهم في مصائب

---

(١) للشباب فقط .

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾(١)

قال رسول الله ﷺ : «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني فانطلقت معهما فإذا بيت مبني على مثل بناء التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فيه رجال ونساء عراة، فإذا أوقدت النار ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا فإذا أخمدت رجعوا فيها فقلت : من هؤلاء؟! قال : هم الزناة»(٢) .

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٢ .

(٢) رواه البخاري .

الفخ

كان لا هم له إلا خداع الفتيات والتغرير بهن فكان يخدعهن بكلامه المعسول ووعوده الكاذبة ، فإذا نال مراده أخذ يبحث عن فتاة أخرى ، وهكذا كان ديدنه لا يردعه دين ولا حياء فكان مثل الوحش الضاري يهيم في الصحراء بحثاً عن فريسة يسكت بها جوعه .

وفي إحدى جولاته سقطت في شباكه إحدى المخدوعات بأمثاله فألقى إليها برقم هاتفه فاتصلت به وأخذ يُسمعها من كلامه المعسول ما جعلها تسبح في عالم الحب والود والعاطفة واستطاع بمكره أن يُشغل قلبها فصارت مولعة به ، فأراد الخبيث بعد أن شعر أنها استوت وحان قطافها أن يبتلعها مثل ما فعل مع غيرها إلا أنها صدته وقالت : الذي بينك وبيني حب طاهر عفيف لا يتوج إلا بالزواج الشرعي ، وحاول يراوغها ويخدعها إلا أنها صدته . وأحس أنه فشل هذه المرة فأراد أن ينتقم لكبريائه ويلقنها درساً لا تنساه أبداً فاتصل بها وأخذ يبث لها أشواقه ويعبر لها عن حبه وهيامه وأنه قرر وعزم على خطبتها لأنه لا يستطيع أن يفارقها فهي بالنسبة له كالهواء إذا انقطع عنه مات ! ! ولأنها ساذجة مخدوعة بحبه صدقته وأخذت تبادله الأشواق وصار هذا الفاسق يداوم على الاتصال بها حتى ألهبها شوقاً فواعدها أنه سوف يتقدم لخطبتها إلا أن هناك أموراً يجب أن يحدثها بها لأنها أمور لا تقال عبر الهاتف فهي تخص حياتهم الزوجية القادمة فيجب أن يلتقي بها ، وبعد رفض منها وتمانع استطاع الخبيث أن يقنعها كي يلتقيا

فقبلت فاستبشر الفاسق وحدد لها المكان والزمان ، أما المكان فهو شاليه يقع على ساحل البحر وأما الزمان ففي الصباح واتفقا على الموعد .

فرح الخبيث الماكر وأسرع إلى أصدقاء السوء أمثاله وقال لهم : غداً ستأتي فتاة إلى الشالية تسأل عني وأريد منكم أن تكونوا متواجدين هناك فإذا جاءت فافعلوا بها ما يحلو لكم . وفي الغد جلسوا داخل الشالية ينتظرون الفريسة وهم يلهثون مثل الكلاب المسعورة ، فأقبلت الفريسة تبحث عن صيادها ودخلت الفتاة إلى الشالية تنادي عليه وفجأة هجموا عليها هجوم الوحوش الضارية وأخذوا يتناوبون عليها حتى أشبعوا رغبتهم وأطفأوا نار شهوتهم المحمومة ثم تركوها في حالة يرثى لها وخرجوا قاصدين سيارتهم وإذا بالماكر الخبيث مقبل نحوهم ، فلما رأوه تبسموا وقالوا : لقد انتهت المهمة كما أردت .

ففرح واصطحبهم إلى داخل الشالية ليمتع ناظريه بمنظر هذه المسكينة ويشفي غليله فهي التي صدته واستعصت عليه ، فلما وقعت عينه عليها كادت روحه تزهق وأخذ يصرخ بأعلى صوته على أصدقائه : يا أشقياء ماذا فعلتم . . . تباً لكم من سفلة . . . إنها . . . إنها أختي . . . أختي الويل لي ولكم إنها أختي . . أختي . . يا ويلي .

ولكن ما الذي حدث؟ لقد شاء الله عز وجل أن ينتقم من هذا الفاسق بأقرب الناس إليه وبنفس الطريقة التي خطط لها ، إن الفتاة التي واعدها هذا الخبيث حدث لها مانع جعلها تمتنع عن الحضور فلم تحضر وكانت أخت هذا الفاسق تبحث عن أخيها لأمر ما ، وهي تعلم أنه يقضي أغلب وقته في الشاليه ، فذهبت إليه في نفس الموعد الذي حدده مع الفتاة ، وهكذا وقع هذا

الفاسق في الحفرة التي حفرها للفتاة واصطاده نفس الفخ الذي نصبه لها ، ولابد لكل مجرم من نهاية مهما طال الزمن فلابد أن يقع وأن يشرب من نفس الكأس وكما تدين تدان .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ : «المكر والخديعة والخيانة في النار»[2] .

(١) سورة الأعراف : الآية ٩٩ .

(٢) رواه أبو داود

السَّفاهة

ركب سيارته وكله غرور وكبرياء وتعال ، وأخذ يجول بها في الطرقات باستهتار وعنجهية دون مبالاة .

لقد اجتمعت في هذا الشاب كل عوامل الفساد والضياع فهو شاب ، ولديه : سيارة ، ومال ، ووقت فراغ ، لا يدري كيف يقضيه فلا هم له إلا التجول بسيارته في الشوارع دون هدف بحثاً عن أي شيء يسليه ويقضي فيه وقته وصدق الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجدة

مفسدة للمرء أي مفسدة

يقول صاحبي الذي يحدثني عن هذا الشاب المستهتر : وقف أمامي وهو راكب في سيارته وأنا خلفه أقف بسيارتي وقد كتب على سيارته من الخلف بخط كبير هذه العبارة (أتحدى الموت) !!

يكمل صاحبي فيقول : وفجأة انطلق هذا الشاب بأقصى سرعة وما هي إلا لحظات وإذ بسيارته تنقلب في وسط الطريق وهو داخلها ، وفي لحظة انتهت حياة هذا الشاب المستهتر[1] .

(١) ذكر لي هذه الحادثة الشيخ خالد الحربي .

وصار في خبر كان فكيف كان التحدي؟ !!

لا شك أن هذا الشاب مسكين قد اغتر بشبابه وغرته دنياه ، فكيف بالله عليكم إنسان ضعيف لا حول له ولا قوة يتحدى الموت؟ ! الموت الذي ذكره الله عز وجل في القرآن الكريم وبيَّنه بصورة عجيبة لا يمكن الفكاك منه ، فكل شيء يهرب منه الإنسان يكون خلفه ، فمثلاً عندما يهرب اللص من الشرطي يكون هو أمامه والشرطي خلفه إلا الموت عندما يحاول أن يهرب منه الإنسان يجده أمامه فأين المفر وكيف الخلاص؟ !

قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[1] . فكيف يفر الإنسان من أمر ملاقيه حتماً؟

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾[2] .

قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُل جواظ[3] مستكبر»[4] .

(١) سور الجمعة : الآية ٨ .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٨ .

(٣) الجواظ : الضخم المختال ، والكثير الكلام والجلبة من الشر والجموح المنوع والصيّاح . القاموس المحيط .

(٤) متفق عليه .

ضياع العمر

كان شاباً في ربيع العمر كله حيوية ونشاط يعمل بجد ومرح محباً لعمله محبوباً من أهله وبين أصدقائه وأقربائه ، كان يشاهد التلفاز ويرى الأفلام الساقطة والمسلسلات الهابطة التي هدفها غواية الناس وانحرافهم وخاصة الشباب ، وأثناء مشاهدته يرى الممثلين وهم يدخنون (الشيشة) فكان يعجبه المنظر ولكنه لم يحاول أن يدخنها لأنه لم يجرب حتى تدخين (السجاير) ، لكن إدمانه على مشاهدة هذه المناظر صار يألفها وعني نفسه بتجربتها إلا أنه لم يحاول ذلك ، وفي يوم ذهب مع بعض أصدقائه إلى أحد المقاهي المنتشرة بشكل وبائي في البلد وجلس معهم فجاء النادل (الجرسون) ، يحمل صينية الشاي ثم عاد مرة أخرى يحمل (الشيشة) وأخذوا يحتسون الشاي ويدخنون الشيشة وهو ينظر إليهم ويعتقد أنهم يستمتعون وهم يدخنون (الشيشة) فقال له أحدهم : أراك تنظر إلينا هل تجرب؟ إنها ممتعة . . فتردد ولكنهم أصروا عليه . . فجرب وكانت هذه هي البداية ، وصار من رواد المقاهي التي تبيع هذه السموم ، وأخذ يدخن (المعسل) وصار يدمن على تدخين (الشيشة) . وبعد مدة جاء إلى العمل وصوته مبحوح فنصحه أحد زملائه بشرب بعض الأعشاب لعله يشفى مما فيه وكان زميله لا يعلم أنه يدخن الشيشة ، وأخذ بنصيحة زميله وجرب الأعشاب ولكن دون فائدة وذهب إلى الطبيب وأخذ الأدوية التي وصفها له الطبيب ولكن دون جدوى ، وبعد الفحوصات والتحليلات الطبية تبين أنه مصاب (بسرطان

في الحنجرة) وأخذ يعالج من هذا المرض الخبيث ، ولما سمع به زملاؤه ذهب أحدهم إلى الطبيب المشرف على علاجه يسأله عن حالته فقال له الطبيب : إنه مصاب بهذا المرض الخبيث بسبب التدخين فقال زميله : ولكن يا دكتور لا يدخن ! ! فقال الطبيب : ما يصاب بمثل هذا المرض وفي هذا الجزء بالذات إلا من يدخن .

وعلم زميله بعد ذلك أنه كان يدخن الشيشة ، وبعد فترة سافر إلى الخارج للعلاج ولكن دون فائدة فقد تمكن المرض منه وبقي هناك فترة وجيزة ثم مات وهو في عنفوان الشباب(١) .

نسأل الله العافية والسلامة ، هذه هي نتيجة المتعة الخبيثة كانت سبباً في نهاية هذا الشاب وذنبه معلق برقبة من يروج لمثل هذه السموم ومن يشجع على تعاطيها مثل (التلفاز) والصحف وبسببهما أدمن كثير من الناس على هذه العادة الخبيثة فانتشرت المقاهي التي تبيع هذه السموم وصارت تستقبل الكبار والصغار وتسلب منهم أعمارهم وصحتهم وأوقاتهم وتضيع إيمانهم ومع ذلك يدفعون أموالهم فأي جهل هذا؟ ! وأي سفاهة يعيشها هؤلاء السفهة؟ ! ولماذا لا تفرض الدولة سلطتها وتغلق هذه الأماكن الموبوءة؟ ! فإن ولي الأمر مسؤول عن ضياع أعمار هؤلاء وهو لا شك سوف يُسأل عنها أمام الله عز وجل فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، كما يجب أن ينتبه أولياء الأمر لأولادهم حتى لا يقعوا فريسة سهلة في شباك هؤلاء القتلة الذي يقتلون الناس بترويجهم مثل هذه العادات الخبيثة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) روى لي هذه القصة الأخ محمد صقر الجاسر .

قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ : «لا تُصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه كثيراً» ، وقرأ ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ۝﴾[2]»[3] .

(١) سورة يونس :الآية ٢٧ .

(٢) سورة الشورى :الآية ٣٠ .

(٣) مصابيح السنة .

خطوات الشيطان

تخرج أنور من الجامعة مهندساً وافتتح له أبوه مكتباً فخماً وأهداه سيارة ووعده بأن يهديه «فيلا» فخمة عند زواجه ، وكان والد أنور يعمل مقاولاً وقد رست مناقصة بناء عمارة حكومية عليه وكانت المهندسة (س ـ و) هي المشرفة الهندسية على مشروع بناء العمارة الحكومية وكانت جميلة حسناء فأُعجب بها المقاول والد أنور . ومع مرور الأيام نشأت بينه وبينها علاقة غرامية اختلطت فيها المصالح الشخصية مع العواطف والشهوات الحيوانية ، ورغم فارق السن بينهما تطورت العلاقات بين المقاول والمهندسة وكان والد أنور يغدق على المهندسة بالهدايا ، وبارك الشيطان هذه العلاقة فسقطا بالفاحشة وهتكا المحرمات وانغمسا في الحرام دون خوف أو حياء وكان الشيطان يرعى هذه العلاقة وينميها ويطورها . وتعددت اللقاءات بين المهندسة (س ـ و) والمقاول والد أنور فحملت منه سفاحاً ، فأخبرت المهندسة عشيقها المقاول أنها حامل في شهر الثاني وأنها لا تمانع من الزواج منه لكن المقاول مع كبر سنه إلا أنه سقط في الوحل واستلذ الحرام فاقترح عليها اقتراحاً شيطانياً خبيثاً وذلك أن يجهض عشيقته المهندسة ويزوجها لابنه المهندس (أنور) ، والمهندسة (س ـ و) هي من نفس حزب المقاول حزب الشيطان الذين لا يتوانون عن فعل أي شيء في سبيل شهواتهم ومتطلباتهم فوافقت المهندسة على الاقتراح الشيطاني وأجهضت الجنين . وأخذ المقاول يحاول بكل وسيلة إقناع ابنه بالزواج من المهندسة ، ولكن الابن رفض

الزواج منها لأنه كان يعرف سلوكها عندما كانوا زملاء في الجامعة وعلاقاتها المشبوهة مع زملائه أثناء الدراسة ، لكن والده المقاول غضب وهدده أن يحرمه من كل الامتيازات التي وفرها له «الفيلا والسيارة والمكتب» ويحرمه من أي مشروع وذلك من خلال علاقاته بالمسؤولين .

ورضخ (أنور) لرغبة والده وعقد القران بين المهندسة (س ـ و) وأنور بمباركة من الوالد العاشق ، ومرت الأيام وعادت العلاقة بين المهندسة ووالد زوجها ، وحملت (س ـ و) وهي غير متأكدة هل حملها من زوجها المهندس أنور أم من والده ! ! وولدت طفلين توأمين .

وحتى يخلو الجو للوالد الماجن كان يرسل ابنه المهندس في مهمات عملية للإشراف على تعهدات ومقاولات تابعة له في مناطق نائية بعيدة حتى يغرق الوالد في بؤرة الفساد مع زوجة ابنه .

وحملت المهندسة (س ـ و) مرة ثانية ولكنها هذه المرة كانت متأكدة أن حملها كان أثناء غياب زوجها فهي حامل من والده المقاول .

ولدت المهندسة أيضاً توأمين طفلاً وطفلة ! !

استمرت (س ـ و) مع المقاول والد زوجها بعلاقتها الحرام وكان المقاول الأب يغرقها هي وأولادها بالأموال ويرعاهم .

وذات يوم كان الابن المخدوع في مهمة عمل إلا أنه عاد قبل موعده ورأى سيارة والده في الكراج فصعد الدرج إلى الطابق العلوي حيث غرف النوم فرأى والده مع زوجته وهما يتنادمان في جلسة لا توحي إلا بعلاقة حرام بينهما ، ولما أحسا به تصرفا بشكل طبيعي وكأن لم يكن بينهما شيء ، وجم المهندس أنور وأدرك أن علاقة حرام تجمع بين والده وزوجته ولكنه انتظر حتى يستفسر من

زوجته عندما غادر والده البيت عائداً لبيته ، وكتم أنور غضبه . وفي الصباح أخذ في مساءلة زوجته عما رآه البارحة وتطور النقاش بينهما فاتهمها أن الأولاد ليسوا أولاده وأنهم أولاد حرام ، فبصقت الزوجة في وجه زوجها واتهمته بعدم الرجولة وخرج أنور والشر يتطاير من عينيه متوجهاً إلى بيت والده وصارحه بالأمر وانهارت بينهما القيم وتقطعت الأواصر .

أما الزوجة التعيسة فجن جنونها وسيطرت عليها حالة من الهيستيريا أفقدتها أعصابها فأخذت ترمي بأولادها من الطابق العاشر واحداً تلو الآخر وسط ذهول الناس ورغم توسلاتهم ألا تلقي بهم ولكنها أعماها الغضب والجنون وألقت بهم جميعاً دون رحمة أو شفقة من الطابق العاشر(١) !

وهكذا كانت نزوة شيطانية سبباً بارتكاب هذه الجرائم البشعة التي لا يصدقها عقل ولكنها الشهوة الحرام واتباع الشيطان ، وكم حذرنا الله عز وجل في كتابه المجيد من ألاعيب الشيطان ومكايده وأن همه إسقاط الناس بحبائله وضمهم لحزبه . قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(٢) .

قال رسول الله ﷺ : «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة... يجيء أحدهم فيقول ما تركت حتى فرقت بينه وبين امرأته... فيلزمه ويقول : نعم أنت !»(٣) .

---

(١) جريدة الأنباء .

(٢) سورة النور : الآية ٢١ .

(٣) رواه مسلم .

صرخات الندم

هذه بعض الأسئلة طرحها أحد الصحفيين على مجموعة من مرضى مرض (الإيدز) لعل وعسى تكون في إجابتهم التي تقطر أسى وندماً إلى ما وصلوا إليه تنبيه للغافلين وعبرة للغير وعظة لعلهم يتجنبون المحارم التي هي مهلكة للإنسان في دنياه وآخرته .

يقول الصحفي الذي أجرى اللقاء : على حين غفلة من المسؤولين تسللت إلى جناح التحرير لأرى المرضى وأحادثهم ليعبروا عن معاناتهم فهم الأقدر على وصفها ، يكمل فيقول : دخلت إحدى الغرف فيها شاب في العقد الثاني من عمره ممدد على السرير ولم يبق منه إلا هيكله العظمي ، بجواره امرأة مُسنة ترفقه بحزن وأسى أمامها طعام تطعمه إياه لكنه يأبى ، الأم لا تعلم بمرض الابن مع أنها تداوم على زيارته ، وبعد أن انصرفت الأم سألته : ما سبب معاناتك؟

قال : اقنعني أخي أن أُسافر معه ذات مرة وهُناك زين لنا الشيطان سوء أعمالنا وارتكبنا الفاحشة ، وعندما علمت أنني أصبت بمرض (الإيدز) صُعقت ولم أدر ماذا أفعل ، وبكيت ندماً وحسرة على ما فرطت في جنب الله ، لا أحد يعلم بمرضي إلا أخي ، والآن انتظر الموت في أي لحظة .

ـ هل لك من كلمة توجهها إلى الشباب؟

ـ أقول : احذروا المعصية فهي لا تجلب إلا المرض والخزي والمهانة وساعتها لن ينفع الندم .

يقول الصحفي : من أحد أروقة المستشفى التقيت بأم تحمل ابنتها الصغيرة ! ! سألتها عن سبب تواجدها هنا مع ابنتها؟ !

ـ أجابت أن زوجها قد أصيب بمرض (الإيدز) ومن دون أن يعلم نقل المرض إلى زوجته التي نقلته إلى جنينها . . . الطفلة التي تعاني من غلطة ليس لها دخل فيها .

ـ كيف علمت بالإصابة؟

ـ عاني زوجي من مرض فحولوه من أحد المستشفيات إلى مستشفى الأمراض السارية ، وهنا اكتشفوا المرض .

ـ كيف تلقى زوجك الخبر؟ وكيف تلقيته أنت؟

ـ لا أدري ماذا أقول لقد أصابتني حالة هستيرية وأخذت أصرخ وأحطم كل ما تقع عليه عيني ، أما زوجي فإنه يشعر بالندم ويتعذب كل يوم مرات ومرات لأنه لم يحطم حياته فحسب بل حطم حياة زوجته وابنته .

ـ هل لك من كلمة أخيرة؟

ـ صرخة أرسلها لكل رجل وكل شاب ألا ينقادوا للنزوة العابرة تندمون عليها ما بقي من عمركم الذي يحكم عليه بالفناء العاجل ، فها نحن الآن نتألم ونتعذب لصراخ ابنتنا التي لا ذنب لها فيما هي فيه وفيما تعاني[(١)] .

(١) جريدة الرأي العام العدد ١٠٩٩٠ .

هذه بعض الصور لمعاناة هؤلاء المرضى ، كان السبب في مرضهم نزوة عابرة ومتعة محرمة وشهوة حيوانية وإغراءات شيطانية أدت في النهاية إلى حسرة وندم ونفوس محطمة ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ : «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»[2] .

(١) سورة الإسراء :الآية ٣٢ .

(٢) رواه الحاكم .

الفصل الخامس

جزاء الذنوب

أولاً : عاقبة التبرج والسفور .

ثانياً : الصفقة الخاسرة .

ثالثاً : النفوس الضعيفة .

رابعاً : الإنذار .

خامساً : نهاية الكبر .

سادساً : الغشاش .

عاقبة التبرج والسفور

عن الحارث بن أسد المحاسبي وأصبغ وخلف بن القاسم وجماعة عن سعيد بن سلمة قال : بينما امرأة عند عائشة رضي الله عنها وأرضاها إذ قالت : بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أشرك بالله شيئاً ولا أسرق ولا أزني ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان أفتريه من بين يدي ورجلي ولا أعصي في معروف ، فوفيت لربي ووفّى لي ربي فوالله لا يعذبني الله . فأتاها في المنام مَلَك فقال لها : كلا إنك تتبرجين وزينتك تُبدين وخيرك تكندين وجارك تؤذين وزوجك تعصين ، ثم وضع أصابعه الخمس على وجهها وقال : خمس بخمس ولو زدت لزدناك » فأصبحت وأثر الأصابع في وجهها[1] .

إن كثيراً من النساء في أيامنا هذه يصلين ويزكين ويصمن ويقمن بأداء الحج والعمرة إلا أنهن سافرات متبرجات ، وهذا نقص في الإيمان وتجرؤ على حكم الله وسنة رسول الله ﷺ . فاحذرن فإن الموت يأتي بغتة والحياة قصيرة والقبر ضيق ويوم القيامة يوم عسير فالحذر الحذر .

قال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[2] .

(١) رواه الحاكم .

(٢) سورة النور : الآية ٣١ .

قال رسول الله ﷺ : «ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ستر ما بينها وبين الله»(١) .

قال المناوي في فيض القدير : «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيتها» كناية عن تكشفها للأجانب وعدم سترها منهم ، فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل لأنه تعالى أنزل لباساً ليوارين به سوءاتهن وهو لباس التقوى ، وإذا لم يتقين الله ويكشفن سواءتهن هتكن الستر بينهن وبين الله تعالى ، وكما هتكت ستر نفسها ولم تصن وجهها وخانت زوجها يهتك الله سترها .

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني .

الصفقة الخاسرة

اتفق (ص ـ م) مع صديقه على جلب خمور بقصد الاتجار بها ورسما لذلك خطة فذهب (ص ـ م) إلى صاحب شركة تصدير واستيراد وعرض عليه صفقة عمل يقوم بموجبها (ص ـ م) بالحصول على ترخيص استيراد لجلب «فحم» وتوزيعه على الجمعيات التعاونية نظير حصول صاحب الشركة على نسبة ٣٪ من قيمة البضاعة المستوردة ، وعقب إتمام هذا الاتفاق استصدر صاحب الشركة ترخيص استيراد وسلمه لـ (ص ـ م) دون علمه بنيته ، وتم استيراد كمية الفحم تقدر بنحو (٩٠٠) جوال وضعت داخل حاوية حيث تم إعداد مكان سري داخل الحاوية وضعت به كراتين احتوت على زجاجات خمر وعلب بيرة .

قام صديق (ص ـ م) باستئجار مخزن لوضع تلك البضاعة بعد الإفراج عنها ، وعندما وصلت الحاوية إلى الميناء توجه (ص ـ م) لإنهاء إجراءات التخليص واتفق مع سائق إحدى الشاحنات على نقل الحاوية إلى مكان التخزين الذي أعده صديقه ، وبعد انتهاء اجراءات الجمارك والتفتيش تم وضع الحاوية بشاحنة السائق وانطلق بها إلى عنوان المخزن لإفراغ البضاعة به . وعند الوصول إلى مكان التخزين طلب (ص ـ م) من سائق الشاحنة تركها على أنه سيتولى إفراغها ، وبدأ (ص ـ م) هو وصديقه بفك القاطع الذي يخفي الخمر مستخدمين في ذلك جهاز اللحام ، وأثناء محاولتهما لفك القاطع فجأة شب

حريق هائل بالبضاعة والمخزن وقام سكان المنطقة بإبلاغ الشرطة . وعقب السيطرة على الحريق من قبل رجال الإطفاء تبين لرجال البحث الجنائي أن سبب الحريق وجود خمور في الحاوية وأشار تقرير الأدلة الجنائية إلى أن المكان السّري الموجود بالحاوية احتوى على (١٦٦٢) زجاجة خمر كما احتوى المكان نفسه (٩٣٥) علبة بيرة .

حكمت المحكمة على المتهم (ص ـ م) وصديقه بالحبس أربع سنوات مع الشغل والنفاذ وإلزامهما بدفع غرامة قيمتها عشرة آلاف دينار[1] .

هكذا كانت النهاية ولابد منها لمثل هذه الأعمال السيئة ، لقد هدف هؤلاء الأشرار الكسب السريع ، وليس مهماً أن يكون عن طريق الحرام المهم الحصول على المال بأي وسيلة حتى ولو كان عملهم أو تجارتهم بالحرام الذي فيه إضرار للناس وإشاعة الفاحشة بينهم ، فمثل هؤلاء الأشرار لا يهتمون إلا بأنفسهم وإشباع رغباتهم فكانت نهايتهم نتيجة لسوء عملهم ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[2] .

قال رسول الله ﷺ : «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه» .

(١) جريدة الأنباء .
(٢) سورة النور : الآية ١٩ .

النفوس الضعيفة

وصل الساحر ومعه شخص آخر يرافقه يصف نفسه بأنه مساعد للساحر وصلا إلى الكويت عام ١٩٩٦م . ومنذ وصول هذا الساحر إلى الكويت أشاع بين الناس أنه قادر على علاج المرضى وشفاء الأرواح القلقة كما يدعي ، ووجدت هذه الادعاءات والأكاذيب من يصدقها ويروج لها فتسابق ضعاف النفوس على الساحر يعرضون ثرواتهم طلباً للشفاء .

وعندما رأى هذا المشعوذ تهافت السفهاء من الناس عليه أراد أن يستغلهم ويضحك عليهم ويستولي على أموالهم بالكذب والخديعة ، فأعلن في جلسة خاصة كانت تضمه مع مسؤول في أحد البنوك وأحد التجار أعلن هذا المشعوذ أنه قادر علي إنزال الثروة من السماء ! ! واستطاع هذا المشعوذ الأفاك أن يقنع هؤلاء السذج المتهافتين على الثراء بأي وسيلة كانت بأنه سينقلهم إلى مصاف أصحاب الملايين ، واتفق الثلاثة المشعوذ والطامعون الجشعون علي أن يذهبوا إلى أحد البيوت في إحدى المناطق النائية لإجراء هذه العملية السحرية ، وهناك دخل المشعوذ إحدى غرف البيت واعتزل فيها . وبعد مدة خرج المشعوذ إلى من معه ليعلن لهم أن الأموال هبطت من السماء وملأت الصندوق المعدني الذي جهزوه لهذا الغرض ، وقد أكد الجميع في ما بعد أنهم شاهدوا الأموال ولمسوها ، لكن الساحر طلب منهم تركها في الصندوق لأنهم لا يستطيعون تداولها والإنفاق منها إلا بعد خلطها بنقود حقيقية ! !

دفع الطمع مسؤول البنك وزوجته والتاجر إلى الإسراع بجمع مبلغ من المال يصل قرابة الثلاثمائة ألف دينار وقدموا هذا المبلغ الكبير إلى المشعوذ لخلطه مع النقود التي في الصندوق المعدني فأخذ الساحر هذه الأموال منهم وزعم أنه سيخلط هذا المال مع ما في الصندوق المعدني ثم يرش عليه ماء «دمدم» وهو ماء موجود في إحدى الدول الإفريقية وهو غالي الثمن كما يدعي هذا الأفاك ، وصدق هؤلاء السذج البلهاء هذه الادعاءات والأكاذيب وأعماهم الطمع وسيطر عليهم الجشع حتى ساروا خلف هذا المشعوذ وصدقوا ألاعيبه ، واختفى المشعوذ ومن معه واختفى الصندوق واختفت الأموال . وفي النهاية اتضح أن المشعوذ احتال على العديد من مرضى النفوس بعد أن تظاهر بأنه على صلة بقوى خارقة يسخرها في علاج ضحاياه(١) .

خسر هؤلاء الناس أموالهم وأخلاقهم وقبل كل شيء خسروا دينهم إن لم يتوبوا إلى الله ويستغفروه .

كيف اغتر هؤلا السذج بكلام هذا المشعوذ واتبعوه وصدقوه ، ألا يعلمون ويدركون بعقولهم بأن السحر شعوذة وخفة يد لا تغير في الحقيقة شيئاً ، فلو كان هذا المشعوذ يستطيع تنزيل ثروة من السماء كما يدعي لتحول هو إلى مليونير ! ! ولأفاد نفسه ، ولكنه استطاع بمكره وخداعه وضعف إيمان من صدَّقه وجشعهم استطاع أن يستولي على مبلغ ربع مليون دينار تقريباً ، وهكذا الطمع يُذهب ما جمع ، وهكذا حُب الدنيا والتفاني في جمع الثروة من أي مصدر كان حلالاً أم حراماً ، دون خوف من الله عز وجل ومراقبته يؤدي في النهاية إلى الخسارة

(١) جريدة الأنباء بتصرف

الفادحة في الدنيا والله تعالى أعلم بمصيرهم في الآخرة .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ومصدق بالسحر ، وقاطع رحم»(٢) .

الإنذار

يقول راوي القصة : اشتريت بيتاً وقال لي صاحب البيت الذي اشتريته منه : لك هدية بمناسبة سكنك البيت ، وكانت الهدية عبارة عن جهاز (ستلايت) أو ما يسمى (الدش) ، فقلت في نفسي تباً لها من هدية فقمت بتكسير الجهاز حتى لا يستعمله أحد ثم اتصلت بإحدى الشركات لفك الجهاز ورميه مع المخلفات ، فجاء العمال لفكه فأخذت أنصح العمال قائلاً لهم : إن العمل الذي يقومون به حرام فليبحثوا عن عمل غيره حتى يبارك الله لهم . في رزقهم وكان لنصيحتي صدى في نفوسهم فاستمعوا لنصحي وعاهدوني أن يتركوا هذا العمل ، يقول : فسألتهم عن اسم صاحب الشركة التي يعملون بها فذكروا لي اسم أحد الأشخاص الذين أعرفهم فذهبت إليه في مكتبه في الشركة فاستقبلني مرحباً فأخذت أنصحه وأبين له بأن عمله هذا حرام ولن يبارك الله له فيه وكررت عليه النصح بأن يترك هذا المشروع الفاسد ويبحث له عن مشروع آخر يبارك له الله عز وجل فيه فيكون خيراً عليه وعلى أولاده .

فقال : لابد أنك أنت الذي كلمت العمال فتركوا العمل بسبب نصيحتك لهم .

فقلت له : نعم وأرجو منك أن تسمع أنت أيضاً نصحي وتدع هذا العمل الفاسد .

فقال : اسمع يا أخي إن هذا العمل يدر عليَّ الكثير من المال ، والناس في إقبال شديد عليه فكيف أتركه؟!!

قلت : ما عند الله خير وأبقى ، ولو تركت هذا العمل لله فإنه سبحانه سيوفقك إلى عمل أفضل منه ويرزقك الرزق الحلال ويبارك لك فيه وفي ذريتك .

فقال : لا لن أترك هذا العمل بعد أن ذقت منه حلاوة الربح السريع والمال الوفير .

يقول راوي القصة : قلت له : لقد نصحت لك ولكنك لم تسمع نصحي وأسأل الله عز وجل أن يهديك لما يحب ويرضى .

ومرت الأيام والمال يتدفق على هذا الرجل ، وكلما زاد المال زاد طمعه وحبه له ، وفي يوم خرج صاحب الشركة يقود سيارته مسرعاً فأصيب بحادث إصابة بالغة أدت إلى دخوله المستشفى وبقائه فيه مدة طويلة يعالج من جراء هذا الحادث ، ثم سافر خارج البلاد لإكمال العلاج ، وصرف مبالغ كبيرة من المال وعاد إلى البلاد بعد أن منَّ الله عليه بالشفاء لكنه لا يزال يعاني من آثار الإصابة حيث إنه لا يحرك يده اليمنى إلا بصعوبة ويداوم على علاجها في مستشفى الطب الطبيعي .

وعاد إليه صديقه وكرر عليه النصح لعله يرعوي ويترك هذا العمل الفاسد ، وبين له أن ما حدث له إنذار ولعل فيه رحمة من الله أن منَّ عليه وبارك في عمره لعله يعود إلى الله ويتوب إليه ويدع هذا العمل ، إلا أن أبى واستكبر وأصر على مواصلة عمله وهو بيع وتركيب (الستلايت) .

وبعد فترة وجيزة جاءه الإنذار الثاني فقد أُصيب أحد أبنائه بمرض نفسي جعله ينشغل به عن متابعة عمله وترك إدارة الشركة للعاملين عنده فسرقوا أمواله وسافروا وخسر خسارة مالية فادحة ومع ذلك لم ينتبه من غفلته وظل في غيِّه وتابع عمله وكأنه في صراع عنيد وحرب لا شك أن نهايتها الخسارة الأكيدة له .

وبعد مرور أيام جاءه الإنذار الثالث فقد أصيبت زوجته في جسدها وأخذت تعالج من هذه الإصابة في الطب الطبيعي .

وجاء إليه صديقه مرة أخرى ينصحه ويذكره ويحذره وينبهه قائلاً له : إلى متى هذا الضلال؟ ولماذا هذا العناد؟ ألا يكفيك ما أنت فيه؟ متى تنتبه من غفلتك؟

ولكن دون جدوى فلايزال على إصراره رغم ما تعرض له وعائلته من حوادث ورغم خسارته المالية ، فمتى ينتبه هذا الغافل وأمثاله ممن شغلتهم المادة وأعماهم المال فكل شيء إلى نهاية وكل شيء هالك إلا وجه الله عزوجل ولا مفر من الموت والحساب(١) .

إن الكسب الحلال وإن كان قليلاً فإن الله عز وجل يبارك فيه ، وقد يدر العمل الحرام أموالاً كثيرة تغري النفوس الضعيفة ، ولكن الله عز وجل يمحقها وينزع البركة منها ، فمهما ربح الإنسان من أموال إلا أنه يشعر أنها تذهب بسرعة وأن ما عنده ليس كافياً وأنه بحاجة إلى المال أكثر وأكثر فتجده يلهث ليل نهار من أجل المال وللمال !

أما الذي يحرص على الكسب الحلال فإن ديناراً واحداً يبارك الله فيه فيشعر

(١) روه هذه القصة الأخ سالم الخشان .

صاحبه بالقناعة والرضا ويعيش حياة سعيدة بعيدة عن الصراع المادي والتنافس الدنيوي البغيض .

قال الله تعالى :﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١] .

قال رسول الله ﷺ : «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء أبحلال أخذ المال أم بحرام»[٢] .

(١) سورة المائدة : الآية ٦٢ .

(٢) رواه البخاري .

نهاية الكِبْر

يروي صاحب القصة قصته فيقول : خرجت أبحث عن لقمة أسكت بها جوعي فمن شدة الجوع شعرت أن أمعائي تتقطع ، فمررت بالسوق وإذ برجل تبدو عليه ملامح النعمة والثراء فتقدمت إليه قائلاً له : إني غريب عن هذه البلدة ولقد اشتد بي الجوع فلو ساعدتني بدرهم أشتري به رغيفاً .

نظر إليّ نظرة كلها حنق وغضب ثم صرخ في وجهي : اغرب عن وجهي فأني أكثر ما أكره أنت وأمثالك من الفقراء والمتسولين ، كيف أعطيك دراهم أنا شقيت وتعبت في جمعها؟ هيا اذهب من هنا وإلا أوجعتك ضرباً .

نظرت إليه ثم خرجت من عنده هائماً على وجهي أدعو الله عز وجل أن يغنيني عن السؤال ، وعاهدت نفسي أن لا أسأل أحداً أبداً ولو مت جوعاً .

غابت الشمس وجاء الليل يجر أثوابه وأخذت أبحث عن مكان أقضي به الليل عسى الله أن يفرج ما بي من كرب ، وإذا بمكان عبارة عن خرابة فقلت لنفسي : أقضي الليل هنا ، وانزويت في زاوية المكان أحاول أن أنام ، وكيف ينام من هو جائع ولكن شدة التعب غلبت شدة الجوع فأغمضت عينيّ واستسلمت لسلطان النوم ، وفجأة شعرت بهزة شديدة وإذ برجل يهزني . . قم . . . استيقظ . . قم هيا تعال معي !!

استيقظت فزعاً وقلت له : منْ . . منْ أنت . . وماذا تريد؟ !

ـ لا عليك تعال معي ولا تكثر الكلام . . ألا تريد أن تأكل طعاماً لذيذاً وتنام على فراش وثير؟

قلت : أتمزح معي يا رجل . . كيف يتحقق ما قلته لي؟ !

قال : تعال وسترى بنفسك .

سرت معه وبعد مسافة قصيرة وصلنا إلى قصر كبير تحوطه الأشجار من كل جانب ، فلما دخلت إلى بهو القصر وإذا بالرجل نفسه الذي قابلته في السوق يقف وسط القصر فعرفته وهو لي منكر ، لم يعرفني فسأل قائلاً :

ـ أين وجدته؟

ـ وجدته بالقرب من القصر .

ـ هيا بسرعة أدخلوه الحمام ثم أئتو به هنا بسرعة .

وبعد أن خرجت من الحمام ولبست الملابس النظيفة الزاهية جئت إلى الرجل فقال لي : اسمع ما أقوله لك لقد طلقت زوجتي ثلاث طلقات بائنة ولا أستطيع ردها إلا بعد أن تعقد على رجل آخر وأنت الرجل الآخر فاعقد عليها الآن وغداً صباحاً تطلقها وسوف أكافئك مكافأة كبيرة على عملك هذا .

ولم أتردد بل كان جُل تفكيري في الطعام فأنا أكاد أصرخ من شدة الجوع ، فقلت له : كما تشاء .

وعقدت وأدخلت غرفة فسيحة في وسطها سرير عليه فراش وثير وطاولة عليها طبق كبير مغطى بقطعة من القماش ، رفعت الغطاء وإذا هو طعام لذيذ دجاج وأرز وفاكهة ، فبدأت باسم الله وأخذت آكل وبعد أن شبعت حمدت الله

وسالت دمعتي وتذكرت رحمة الله فأنا قبل قليل كنت جائعاً والآن أمامي الطعام آكل ، منه ما شئت فلك الحمد يا رب ولك الشكر . . . وجلست أذكر الله وأسبحه وأنا على هذه الحالة فُتح باب الغرفة ودخلت منه امرأة جميلة كأنها فلقة القمر حسناء هيفاء ، فقلت : من أنت؟ !

قالت : أنا زوجتك التي عقدت عليها قبل قليل وأنا أريد منك طلباً أرجو أن تنفذه لي .

قلت : ما هو فأنا أريد أن أرد لكم الجميل؟

قالت : أرجو منك أن لا تطلقني وأن تبقيني زوجة لك فأنا لا أريد أن أعود لزوجي السابق فهو إنسان شرير لا يرعى العشرة ولا يخاف من الله ، لقد طلقني عدة مرات وفي كل مرة يأتي برجل مثلك ويعطيه دراهم فيعقد عليّ ثم يطلقني وهكذا أخذ يتلاعب بحدود الله .

قلت لها : ولكني رجل فقير لا أملك إلا هذه الملابس التي ألبستموني إياها فكيف تعيشين معي؟

قالت : أنا صاحبة هذا القصر وكل ما يملكه زوجي السابق مالي أنا فهو لا يملك أي شيء ، فإذا رضيت صار كل شيء لك وعشت معي في هذا القصر فأنت يبدو عليك رجلاً طيباً .

واتفقنا وقضينا ليلتنا كأسعد زوجين ، وفي الصباح جاء زوجها السابق يزمجر قائلاً : هيا طلقها بسرعة .

قلت : لن أطلقها بل سأبقي عليها فهي زوجتي وأنت اخرج من هنا .

قال : ماذا تقول أجننت يا رجل؟

قلت : أخرج من هنا بسرعة قبل أن آمر الخدم بطردك مثل الكلاب .

وخرج يجر أذيال الحسرة والندامة فلقد فَقَدَ كل شيء حتى كرامته ، وقبل أن يغادر قلت له : هل تعرفني؟

قال : لا من أنت؟ !

قلت : أنا الفقير السائل الذي جئتك بالأمس أطلب منك صدقة ، ولكنك طردتني ونهرتني ، وبفعلتك القبيحة وبخلك حول الله تعالى بفضله وكرمه كل هذا إليّ .

نظر إليّ نظرة كلها بؤس وذلة ثم نكّس رأسه وخرج غير مأسوف عليه .

وهكذا بعد أن كان فقيراً معدماً صار بإذن الله تعال يغنياً ثرياً وذلك البخيل الشرير قضى عليه بخله وأذله غروره وكبرياؤه على الناس وحطمته قسوته وجبروته والجزاء من جنس العمل .

قال الله تعالى : ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ : «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخُلق»[2] .

---

(١) سورة محمد الآية ٣٨ .　(٢) رواه أحمد .

الغشاش

نشأ فقيراً إلا أنه كان يسعى لتغيير حاله إلى الأحسن ، واستمرت حالته على ما هي عليه حتى زارهم في يوم من الأيام ضيف ، واقترح عليه العمل عنده كعامل في أحد المصانع التي يملكها . ووافق وعمل عاملاً لمدة ثلاثة سنوات لكنه كان يطمح إلى أكبر من هذا بكثير فقد كان يطمح أن يكون ممن يملكون المال ، فأخذ يجمع النقود التي يحصل عليها ولا ينفق منها شيئاً وكان يقتر على نفسه حتى صار الناس يطلقون عليه اسم «البخيل» ولكنه لم يهتم بكلامهم كان همه أن يجمع المال فالمال غايته وهدفه وأمله ، ومع مرور الأيام كون مبلغاً من المال لا بأس به وأنشأ مصنعاً للطابوق مع شريك آخر ، وكثرت أمواله إلا أن نفسه المريضة بحب المال لم ترض بهذه الثروة ، وأصبح يفكر في طريقة كي يزيد من ثروته فقاده شيطانه إلى غش الناس فصار يزيد في كمية الرمل ويقلل من كمية الإسمنت في الطابوق ، فزادت أمواله ، وكان الشيطان يغريه بهذه الزيادة ، ونفسه تحثه على طلب المزيد أكثر فأكثر فأنشأ مصنعاً ثانياً للبلاط ، لقد صار حبه للمال أشد حباً من أي شيء آخر فأصبح مشغوفاً بحب المال فلا يرى إلا المال ولا يسمع إلا رنين المال ولا يفكر إلا في المال ، وازدادت ثروته وتحقق حلمه وصار من الأغنياء ، وكان جشعه وحبه للمال قد جعله يرتاب بكل من حوله فكان حبيبه المال فقط لا يثق بأحد غيره ولا يناجي أحداً غيره . . المال . . المال . . . لا غيره ، وكان هذا المال وبالاً على أهله وأولاده ، فمن شدة حبه للمال وخوفه عليه

وحرصه على جمعه بخل به على أهله وأولاده فحرمهم من كل ما تشتهيه أنفسهم فهو يعمل لجمع المال وكنزه فقط أما الإنفاق منه فلا وكما قال الشاعر :

ومن طلب الحوائج من بخيل

كمن طلب العظامَ من الكلاب

ساءت علاقاته الاجتماعية فقطع رحمه وخاصم أقرباءه وكان يظن أنهم لا يريدونه إلا لماله ولا يحبونه إلا بسبب ثروته لذلك شك فيهم فقاطعهم فقاطعوه ونبذوه ، وكانت تجارته في ازدهار وكأن الدنيا تمد له وتغريه فكان المال يأتيه من كل صوب فافتتح مصنعاً ثالثاً .

وفي ذات يوم جاءه زبون ليشتري كمية من الطابوق من أجل بناء منزله وشيد الرجل منزله ، إلا أنه هوى وسقط وكان بسبب الطابوق المغشوش الذي اشتراه من التاجر البخيل . وقام الرجل برفع قضية على صاحب المصنع فقضت المحكمة بحبسه أربع سنوات أو دفع غرامة قيمتها خمسون ألف دينار ، إلا أن نفسه المريضة وبخله الشديد جعلاه يؤثر الحبس على دفع المبلغ المطلوب فقضى أربع سنوات من عمره في السجن بسبب حبه للمال ، ولكن هل كانت هذه هي نهاية هذا الغشاش؟ لا ، فلقد احترقت جميع مصانعه عن بكرة أبيها خلال الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت ولم يبق منها شيء يُذكر ، وقد ابتلاه الله عز وجل بالشلل النصفي[1] .

إن ما أصاب هذا الرجل بسبب غشه وطمعه وجمعه للمال بأي وسيلة كانت ، فكان انتقام الله عز وجل منه شديداً ، وكان ما أصابه عبارة عن درس

(١) جريدة الرأي العام .

قاس وصفعة على وجهه أفاق بعدها وأدرك أنه كان على خطأ كبير وأن ما حدث له ما هو إلا رحمة من الله عز وجل وتنبيه له من غفلته ، فعاد الرجل إلى الله وتاب توبة نصوحاً وأقبل على عمل الخير وبنى مسجداً تكفيراً عما اقترفه من ذنوب وعاهد الله عز وجل بأن لا يكسب إلا الكسب الحلال وأن يسخر أمواله لفعل الخيرات ، نسأل الله تعالى أن يتوب عليه وأن يتقبل منه عمله ويوفقه لطاعته والله غفور رحيم .

قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ : «من غشنا فليس منا» .

(حديث قدسي)

إن من عبادي من لو أغنيته لفسد حاله .

وإن من عبادي من لو أفقرته لفسد حاله .

وإن من عبادي من لو أصححته لفسد حاله .

وإن من عبادي من لو أمرضته لفسد حاله .

وإن من عبادي من يطلب باباً من أبواب الدنيا فأكفه عنه حتى لا يصيبه العجب ، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بهم ، إني بهم عليم خبير .

(١) سورة الحديد :الآية ٢٤ .

الفصل السادس

الظلم

أولاً : الملاح القاتل .

ثانياً : جزاء سب الصحابة .

ثالثاً: العقاب .

رابعاً : الغدر .

خامساً : الآية الباهرة .

الملاح القاتل

كان يعمل جزاراً كالعادة ذبح أغنامه قبيل الفجر وعاد مع الفجر إلى داره التي تقع على جانب طريق ضيقة متعرجة مسدودة ، وفي طريق عودته من المجزرة إلى داره وعلى بعد أمتار معدودات منها سمع صرخة مستغيث فهرول مسرعاً باتجاه الصوت المستغيث ، وعثر الجزار وهو يهرول بجثة قتيل يلفظ أنفاسه الأخيرة يسبح ببركة من دمه النازف فتلطخت يداه وثيابه بالدماء وسقطت سكينه من وسطه على صدر القتيل فتلونت السكين بالدماء ، وأصيب بصدمة عنيفة ولكنه لم يكد يصحو من هول هذه الصدمة إلا وأصيب بصدمة أخرى أشد هولاً من سابقتها فقد أحاطت به جماعة من الحراس الليليين المسلحين فأمروه بالنهوض فنهض عن جثة القتيل وهو في حالة يرثى لها من الفزع والهلع ، واجتمع عدد من الناس يتطلعون ليعرفوا حقيقة الأمر ، واقتيد الجزار إلى مخفر الشرطة ، وبدأ التحقيق في القضية وشهد الحراس بأنهم قبضوا على الجزار وهو على صدر القتيل وأن سكينه التقطت من فوق القتيل ، وأيد الشهود الذين تجمعوا شهادة الحراس فاقتنعت المحكمة بأن الجزار هو القاتل فحكمت عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت ! ! ولم يسمع أحد لإنكاره بأنه ليس القاتل ، ولم يصدق أحد قصته الحقيقية بأنه عثر بالقتيل وهو في طريقه إلى داره ، وذهبت أقواله أدراج الرياح ، وبعد أن صدر الحكم عليه قال لقضاته الذين تولوا محاكمته على مسمع من الحاضرين : «إن أقوالي صادقة وأقوال الشهود كاذبة ولكنني

أستحق الحكم علي بالإعدام لأنني قتلت طفلاً رضيعاً وأمه قبل سنوات ، ففتشوا عن القاتل الأصلي الذي ارتكب جريمة القتل وأفلت من العقاب» . ونُفذ فيه حكم الإعدام شنقاً حتى الموت . لكن إعدام هذا الجزار ترك أثره العميق في المجتمع بحيث لا يزال يتردد حديثه حتى اليوم ، وسر هذا الأثر يكمن في أنه كان بريئاً من دم القتيل الذي أعدم بسببه ، ولكنه لم يكن مظلوماً في الحكم عليه بالإعدام لأنه كان متهماً بقتل طفل ووالدته ، عجز البشر في حينه عن اكتشاف قاتلهما ، ولكن الله كان له بالمرصاد ، وإليكم قصة هذا الجزار القاتل :

نشأ في عائلة فقيرة جداً لا تكاد تحصل على قوتها اليومي إلا بشق الأنفس ، وفي السادسة عشرة من عمره عمل في قارب من قوارب العبور بين ضفتي النهر ومرت عليه سنوات في عمله الدائب وكان ما يجمعه يومياً لا يكاد يسد رمق عائلته الكبيرة المؤلفة من أبوين شيخين وخمسة إخوة وست أخوات وكان هو أكبرهم . وذات صباح وهو ينتظر في قاربه جاءته فتاة مع أمها يبلغ عمر الفتاة ست عشرة سنة على قدر كبير من الحسن والجمال ، ونقل الأم وابنتها إلى جانب النهر الآخر فتحرك قلبه للفتاة ونظر إليها نظرة تعبر عما يختلج في نفسه فبادلته النظرات ، فلما وصلت إلى الضفة الأخرى حيته بابتسامة مشرقة جعلت قلبه ينهار لوعة وحباً .

ومع مرور الوقت عرف أنها تصاحب أمها كل يوم خميس لزيارة خالتها فأخذ ينتظر قدومها وينقلها إلى الجانب الآخر وينتظر عودتها فيعيدها من حيث نقلها وهكذا حتى تم التعارف بين الطرفين وتبادل الكلمات القصيرة كالتحية والسؤال عن الصحة ، وهمس مرة في أذن الفتاة قائلاً : «أحب أن أتزوجك» .

فقالت : اطرق باب والدي فتسمع الجواب» .

رنت هذه الجملة في أصداء قلبه وصار يفكر في أسلوب عرض زواجه بالفتاة على أبويه حتى يقتنعا ، ومرت أسابيع عدة وهو غارق في تفكيره ، وكانت الفتاة تلاحقه بنظراتها وفي ذات صباح همست في أذنه قائلة : «طرق باب والدي غيرك» أشعلت هذه الجملة نار الشوق في قلبه وزادت لهيبها ، ولما عاد في المساء إلى أهله أخبر أمه بقصته فوعدته أمه أن تخبر والده ولكنها قالت له أين سيعيش هو إن تزوج مع زوجته إن المسكن ضيق والعائلة كبيرة العدد ثم من أين له بالمهر؟ بهذا الأسلوب حدثت الأم ولدها وهي تبكي على حظ ولدها ففهم الفتى ومضى إلى سبيله دون أن يرد عليها أو يحتج .

انتظرت الفتاة طويلاً وطال انتظاره دون أن يتقدم الفتى لخطبتها وأصيبت الفتاة باليأس وكذلك كان حال الفتى ، وتزوجت الفتاة وسلا قلبها بعد زواجها ونسيت تلك الأيام ، ولكن قلب الفتى لم يسل ولم ينس ، وعلم الفتى بزواج فتاته فامتلأ قلبه حزناً وأسى ومع مرور الأيام صار الحزن حقداً وضغينة ، ومضى عامان والفتى يعاني من الحزن ولا يفتأ يفكر في فتاته التي حُرِم منها بسبب ظروفه الاقتصادية القاسية .

وفي يوم من الأيام حمل في قاربه فتاة وطفلاً وكان الضباب كثيفاً والجو غائماً ، ولما صار في وسط النهر رأى فتاته فجأة تحمل طفلها الرضيع من زوجها الذي زُفت إليه فأمعن النظر في وجهها طويلاً حتى تأكد من أنها فتاته التي هام بها وكانت هي مشغولة عنه بطفلها ، فناداها وذكرها ولم تكن الفتاة ناسية فقالت له : «لست لك اليوم فأنا بذمة زوج وهذا طفلي» .

ولكنه تمادى في غيه وقد تقمصه الشيطان فصار نسخة منه واعتلج في نفسه الشوق فراودها عن نفسها فاستعصمت وهددها بإغراق طفلها في النهر فما استكانت ، فأخذ طفلها من بين يديها وقذف به في النهر دون رحمة أو شفقة فما هانت وما ضعفت ، وهاجمها بخنجره فصدته بقوة وطعنها بضع طعنات فما رخضت وأخذ يجرجرها كي يضمها إلى صدره فقاومته بكل شراسة وخارت قواها من شدة النزيف ولكنها لم تستسلم له ولفظت أنفاسها الأخيرة وهي تدافع عن شرفها وعرضها ، فحمل المجرم جثتها وقذفها في الماء الجاري على الساحل . غسل قاربه من الدماء وتخلص من آثار الجريمة ، وسجلت الجريمة ضد مجهول !!

وعاش المجرم في صراع مع نفسه خاصة إذا مر وسط النهر يخيل إليه صوت بكاء الطفل وصوت الأم وهي تهدده وتتوعده ، لذلك هجر الملاح عمله وعمل في الجزارة وحدث ما حدث .

جلس المجرم في ليلته الأخيرة يحدث أباه وأمه وإخوانه وأخواته عن قصته وكان هذا هو حديثه الأخير معهم واقترب موعد تنفيذ حكم الإعدام بالملاح القاتل ، وجاء من يضع فوق رأس الملاح القاتل كيساً أسود ويقوده إلى المشنقة ، وصاح المجرم وصرخ بأعلى صوته قبل أن يخرج من الدنيا صاح قائلاً : «فتشوا عن قاتل صاحبكم فأنا أشنق لقتلي الطفل الرضيع وأمه ، والحكم الذي صدر بحقي ليس عدلاً من البشر بل عدل من رب البشر»(١) .

انتهى الأمر والقصة ليست بحاجة إلى تعليق .

(١) تدابير القدر .

قال الشاعر :

ألا إن خَـيْـرَ العَـفْـوِ عـفْـوٌ مُـعَـجَّلٌ

وَشَـرُّ عـقـاب مـا يُجـازي بـه القَـدَرْ

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ : «لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عز وجل في النار»[2] .

---

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني .

جزاء سب الصحابة

قال القيرواني : أخبرني شيخ لنا من الفضل قال : أخبرن أبو الحسن المطلبي إمام مسجد النبي ﷺ قال : رأيت بالمدينة عجباً ، كان رجل يسب أبابكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فبينما نحن يوماً من الأيام بعد صلاة الصبح إذ أقبل رجل قد خرجت عيناه وسالتا على خديه فسألناه ما قصتك؟ !

فقال : رأيت البارحة رسول الله ﷺ وعلياً رضي الله عنه بين يديه ومعه أبوبكر وعمر رضي الله عنهما فقالا : يا رسول الله هذا الذي يؤذينا ويسبنا . فقال لي رسول الله ﷺ : «من أمرك بهذا يا أباقيس؟» فقلت له : علي ، وأشرت إليه .

فأقبل عليٌّ رضي الله عنه عليَّ بوجهه ويده وقد ضم أصابعه وبسط السبابة والوسطى وقصد بها إلى عيني ، فقال : إن كنت كذبت فقأ الله عينيك وأدخل أصبعيه في عيني فانتبهت من نومي وأنا على هذا الحال . فكان يبكي ويخبر الناس وأعلن التوبة .

عن أبي حاتم الرازي عن محمد بن علي قال : كنا بمكة في المسجد الحرام قعوداً فقام رجل نصف وجهه أسود ونصفه أبيض فقال : يا أيها الناس اعتبروا بي فإني كنت أتناول الشيخين واشتمهما فبينما أنا ذات ليلة نائم إذا أتاني آت فرفع يده فلطم وجهي وقال لي : يا عدو الله يا فاسق ألست تسب أبابكر وعمر ، فأصبحت وأنا على هذه الحالة .

وعن شيخ من قريش قال : رأيت رجلاً بالشام قد اسود نصف وجهه وهو يغطيه فسألته عن ذلك فقال : قد جعلت لله علي أن لا يسألني أحد عن ذلك إلا أخبرته به . كنت شديد الوقيعة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فبينما أنا ذات ليلة نائم إذا أتاني آت في منامي فقال لي : أنت صاحب الوقيعة فيَّ فضرب شق وجهي فأصبحت وشق وجهي أسود كما ترى(١) .

عن محمد بن سيرين رحمه الله قال : كنت أطوف بالكعبة وإذا رجل يقول : اللهم اغفر لي وما أظن أن تغفر لي ! !

فقلت : يا عبدالله ما سمعت أحداً يقول ما تقول !

قال : كنت أعطيت عهداً إن قدرت أن ألطم وجه عثمان رضي الله عنه إلا لطمته ، فلما قتل ووضع على سريره في البيت والناس يجيئون يصلون عليه فدخلت كأني أصلي عليه فوجدت خلوة فرفعت الثوب عن وجهه ولحيته ولطمته ، فأيبس الله يدي اليمنى فأصبحت كالخشبة لاتتحرك . قال ابن سيرين : فنظرت إلى يده فرأيتها يابسة ، وعثمان بن عفان ذو النورين الخليفة الثالث المظلوم قد فوّض أمره إلى ربه فقضى الله ونفذ قدره وجعل من ظلمه عبرة ، والله عزيز ذو انتقام .(٢)

عن عامر بن سعد رضي الله عنه قال : بينما سعد رضي الله عنه يمشي إذ مر برجل وهو يشتم علياً وطلحة والزبير ، فقال له سعد : إنك تشتم أقواماً قد سبق لهم من الله ما سبق والله لتكفن عن شتمهم أو لأدعون الله عز وجل عليك .

(١) كتاب المنامات لابن أبي الدنيا .

(٢) البداية والنهاية .

فقال : تخوفني كأنك نبي .

فقال سعد : اللهم إنه كان يشتم أقواماً قد سبق لهم منك ما سبق فاجعله اليوم نكالاً .

فجاءت بُختية ـ أي الأنثى من الجمال ـ فأفرج الناس لها فتخبطته فرأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون : استجاب الله لك يا أبا إسحاق(١) .

وعن قيس قال : شتم رجل علياً ـ رضي الله عنه ـ فقال سعد : اللهم إن هذا يشتم ولياً من أوليائك فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك .

فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه فمات(٢) .

سب الصحابة رضوان الله عليهم من أكبر الكبائر ولا يجرؤ على سب الصحابة إلا زنديق أهوج قد ملأ قلبه غيظ وحقد عليهم ويكفينا قول التابعي الجليل أبو زرعة رحمه الله : «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق» .

من سب الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه طرده الله من رحمته وأبعده عن جنته وأورثه الذلة والهوان في الدنيا قبل الآخرة ، وهل يُسبّ منْ أتىٰ القرآن والإنجيل والتوراة بوصفهم والثناء عليهم؟ !

قال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ

---

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه الحاكم .

رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ (١) .

قال رسول الله ﷺ : «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٢) .

---

(١) سورة الفتح :الآية ٢٩ .

(٢) رواه الطبراني وحسنه الألباني .

العقاب

نشرت جريدة (أنصاري إكسبرس) الهندية الأسبوعية أن جماعة من الهندوس المتعصبين الذين تلقوا تدريبات طويلة قاموا بهجوم كبير لهدم المسجد البابري في السادس من شهر ديسمبر عام ١٩٩٢م وذكرت الصحيفة أن حوالي أربعين هندوسياً ممن شاركوا في هدم المسجد قد أصيبوا بالعمى وفشلت جميع المحاولات من قبل الأطباء لعلاجهم ، ويعيش هؤلاء وآخرون ممن شاركوا في هذا العمل البربري الآن على المعونات التي تقدمها لهم المنظمات الهندوسية بعد أن فقدوا البصر .

ولقد ذكر لي أحد الإخوة الهنود عندما التقيت به في الشارقة تفاصيل الحادثة والجريمة النكراء وقال لي أن جميع من شاركوا في هذه العملية الهوجاء قد أصيبوا بالعمى وبعضهم أصيب بالشلل .

إن في هذه الحادثة وما أصاب هؤلاء المجرمين من جرائها لهو دليل قاطع وبيّن على أن الله عز وجل ينصر هذا الدين وأنه يدافع عن الذين آمنوا ، وأنه مهما حاول أعداء الإسلام النيل من الإسلام والمسلمين بأي طريقة كانت فإن الله عز وجل معز هذا الدين وناصره وظاهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1] .

(١) سورة الحشر : الآية ٤ .

قال رسول الله ﷺ : «إن الله ليُملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ :

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝﴾ .(١)(٢)

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة هود : الآية ١٠٢ .

الغدر

كان صديقان يحب أحدهما الآخر وكان كل واحد منهما يقدر الآخر ويحترمه ويشكو له همومه ويبث له أسراره ، وكان أحدهما لديه مال يحتفظ به وأما الآخر فكان فقيراً لا يملك درهماً ولا ديناراً ، وكان صاحب المال يضع نقوده في مكان لا يعلمه أحد من الناس إلا صديقه ، وكان الزمن زمن شح وقحط وكانت النقود عزيزة ، لذلك كان صاحب المال حازماً يقظاً وكان يحذر أن تسرق نقوده .

كان صديقه يفكر في حاله وكيف يحصل على نقود يتمتع بها مثل غيره ، فسولت له نفسه سرقة أموال صاحبه فهو يعلم أين يضع أمواله . وأخذ يفكر في رسم خطة يستطيع بها أن يسرق أموال صديقه دون أن يشعر به وبذلك يستولي على النقود دون علم صاحبه ، وأخذ يتحين الفرصة ، وفي ليلة من ليالي الشتاء الباردة والمطر يهطل والوحل كثير وكان صاحب المال نائماً هو وزوجته وبينهما نام طفلهما ، وفي حوش الدار كان صديقه يفكر كيف يتسنى له الحصول على النقود فهو يعلم أن صديقه يضع النقود في حفرة صغيرة تحت فراشه الذي ينام عليه هو وزوجته فكيف يصل إلى النقود؟ ! فكان لابد أن يبعدهما عن الفراش كي يسهل عليه أخذ النقود وهنا خطرت له فكرة خبيثة وبدأ بتنفيذها فوراً دون تردد فأخذ يحبو بخفة وحذر على يديه كي لا يشعرا بحركته ، ووسط هذا الجو البارد الممطر أخذ يزحف تارة ويقف أخرى ، ولما أيقن أنهما مستغرقان في النوم التقط الطفل

من بينهما بخفة دون أن يحسا به وخرج به إلى فناء الدار والحوش ووضعه وسط الوحل والمطر ينهمل عليه وعاد إلى مكانه وجلس بهدوء عند باب الغرفة منتظراً ما سيحدث ، لقد كان ينتظر بكاء الطفل كي يستيقظ أبواه ويخرجا ، من الغرفة عندها يدخل هو ويلتقط النقود ويهرب ولا يشعر به أحد ، لقد رتب هذا الماكر كل شيء ، وفعلاً صرخ الطفل صراخاً عالياً وقفزت الأم فزعة ووضعت يدها تبحث عن طفلها فلم تجده فأيقظت الأب فقفز من فراشه مذعوراً فقالت له : إن الطفل يبكي خارج الغرفة فهيا لنأتي به ، وخرجا معاً وما إن خرجا حتى دخل الصديق اللص مسرعاً ورفع الفراش وانتشل النقود بسرعة ، وما إن أمسكت يده كيس النقود حتى انهارت عليه الغرفة وأطبقت عليه ، والتفت الأبوان إلى مصدر الصوت وهما يحضنان طفلهما فإذا الغرفة عبارة عن كومة من الحجارة ، فنظر كل منهما للآخر وهما يضحكان ويتعجبان ويحمدان الله تعالى إذ نجا طفلهما من موت محقق ، وسمعا أنيناً منبعثاً من الغرفة المنهارة وتشجع الزوج وقصد مصدر الصوت وأخذ يبحث بين أكوام الحجارة وأخشاب السقف المنهار وفي الطين عن مصدر الصوت وسأله من أنت؟ !

وبعد جهد جهيد استطاع أن يعرف صاحب الصوت إنه صديقه وحاول أن يزيح عنه الأنقاض لكنه لم يستطع بسبب الظلام الحالك وشدة المطر ووحولة الأرض ووعده أن يحاول إنقاذه عندما يأتي بمن يعينه على إزاحة الأنقاض من عليه .

هذا جزاء الغدر والخيانة ، لقد أمنه صديقه على سره إلا أن الطمع أعمى بصره وطمس على بصيرته فأراد أن يغدر بصاحبه فكانت نهايته مثل نيته سيئة وكان جزاؤه من جنس عمله . قال الشاعر :

أخلق بمن رضي الخيانة شيمة
أن لا يرى إلا صريع حوادث
مازالت الأرزاء تلحق بؤسها
أبداً بغادر ذمة أو ناكث

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧﴾(1) .

قال رسول الله ﷺ : «لكل غادر لواء يوم القيامة يقال : هذه غدرة فلان»(2) .

(1) سورة النساء : الآية ١٠٧ .

(2) متفق عليه .

الآية الباهرة

في قرية «توب» بولاية جونجولي «شمالي نيجيريا» ظهرت آية من آيات الله تزيد المؤمن إيماناً وتقيم المزيد من الحجج الدامغة على الكافرين .

فقد كان هناك شخص مسيحي أسلم وبعد فترة ارتد وأخذ يحارب دين الله بوقاحة ، وذات يوم وقف بين النصارى في إحدى كنائس قريته يسخر من الإسلام ، ومما قاله هذا المرتد : «إن كان القرآن حقاً من عند الله فإني أسأل الله ألا يرجعني حياً إلى منزلي» .

وبعد خروجه من الكنيسة تعثرت قدماه ووقع في جدول ماء صغير ومات هذا المرتد في شبر ماء ، وحاول أحدهم إنقاذه لكنه لحق به فوراً ، فكانت الثمرة المباشرة لهذه الآية على صحة الإسلام وأنه دين الله وأن رسالة محمد ﷺ خاتم الرسالات هي أن سكان أربع قرى مجاورة دخلوا في دين الله أفواجاً[١] .

إن ما قام به هذا المرتد الضال من عمل قبيح ما هو إلا امتداد لمنهج الضالين المستكبرين في كل مكان وزمان أمثال فرعون وهامان وقارون وأبو جهل وأمية بن خلف وكل ظالم مستكبر لا يؤمن بالله العظيم ، ولقد كانت نهاية هذا المرتد أن سقط في جدول ماء فصار عنده كأنه محيط حيث إن الموت أحاطه من كل جانب ، ولقد ذهب هذ المرتد ولم يضر الإسلام شيئاً بل إن الله عز وجل هدى

(١) للحقيقة فقط ، الجزء الأول .

قبائل كثيرة دخلوا في الإسلام عندما رأوا بعيونهم هذه الآية الباهرة فاعتبروا يا أولي الألباب وليحذر كل من يسخر من آيات الله أو يستهزئ بسنة رسول الله ﷺ أن يكون له المصير نفسه :

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾(١) .

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾(٢) .

قال رسول الله ﷺ : «يقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم ينصره»(٣) .

---

(١) سورة يوسف : الآية ٢١ .

(٢) سورة يونس : الآية ٢٣ .

(٣) رواه أحمد .

الجزء الخامس

الفصل الأول

البر والإحسان

أولاً : فضل القرآن الكريم .

ثانياً : التأمين الإلهي .

ثالثاً : من كان مع الله كان الله معه .

رابعاً : التقوى .

خامساً : الرحمة .

سادساً : ثمرة الصدقة .

فضل القرآن الكريم

قال أحدهم : كنت ضالاً أعمل في السحر ، وكان في الحي الذي أسكن فيه امرأة جميلة وكنت هائماً بها وراغب النفس فيها ، وكانت هي امرأة صالحة ورعة حسنة السمعة ، وكنت دائم التفكير بها لا تفارق خيالي لحظة ، فقررت أن أحضرها إلى منزلي بأي وسيلة ، فأمرت شيطان الجن بأن يتلبس هذه المرأة ويأتي بها إلى المنزل ، فقال : حالاً ، وذهب لتنفيذ ما طلبته منه ، ولكنه عاد خائباً ، وقال : إن هذه المرأة لا أستطيع الاقتراب منها ، فقلت له : ولماذا؟ ما الذي يمنعك؟ !

قال : إنها تحفظ القرآن في قلبها فلا أستطيع أن أقترب منها أبداً .

قال الله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾(١) .

حادثة أخرى تبين لنا فضل القرآن الكريم وبركته .

شاب أحب فتاة فذهب إلى أهلها كي يخطبها من أبيها إلا أنهم لم يرضوا به حيث إنهم عائلة محافظة وابنتهم صالحة ملتزمة ، وكان هو شاباً غير ملتزم دينياً ، ولكنه يحب الفتاة وراغب فيها فكرر المحاولة عدة مرات وأرسل بعضهم ليتوسطوا عند أهل الفتاة إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل ، عندها احتار الفتى ماذا يفعل؟

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٥ .

فلم يجد وسيلة سوى أن يستخدم السحر فسافر إلى إحدى الدول كي يعمل سحراً للفتاة علها تحبه وتقبل به ، وذهب إلى أحد السحرة وشرح له الأمر فقال له الساحر : عد إليّ غداً ، وفي اليوم التالي ذهب إلى الساحر فقال له : لا أستطيع أن أفعل لك شيئاً ولكن اذهب إلى الساحر الفلاني فهو كبير السحرة في هذا البلد لعله يستطيع أن يصنع لك ما تريد .

فذهب الفتى مسرعاً وهو يمني نفسه ودخل على كبير السحرة وطلب منه أن يعمل أيّ شيء كي يفوز بقلب الفتاة وسوف يعطيه ما يريد ، فقال له كبير السحرة : عد إليّ بعد يومين وستجد كل شيء جاهزاً وخرج الشاب وهو فرح مسرور . وبعد مرور يومين ذهب مسرعاً إلى كبير السحرة وكله شوق وفرحة ، ولما دخل عليه ، قال له كبيرة السحرة : لا أستطيع أن أفعل لك شيئاً وخذ نقودك فلا فائدة .

فقال الشاب : ولكن لماذا لا تستطيعون عمل شيء؟ !

قال كبير السحرة : إنها تتحصن بشيء قوي لا نستطيع اختراقه ! !

قال الشاب : وما هو؟ !

قال الساحر : إنها تحفظ سورة البقرة .

وعاد الشاب إلى بلده بخفي حنين لم يستطع بفضل الله ثم بفضل كتاب الله وآياته العظيمة أن يفعل أي شيء للفتاة .

قال رسول الله ﷺ : «اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة» ومعنى البطلة : أي السحرة[1] .

---

(١) رواه مسلم .

وهذه قصة ثالثة تبين لنا عظمة هذا الكتاب الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الحصن الحصين لمن آمن به وتلاه وحفظه وعمل به .

فتاة صالحة على خلق ودين ملتزمة محبة لكتاب الله دائمة التلاوة لآيات الله ، شاء الله عز وجل أن تُصاب هذه الفتاة بمرض عضال فقد أصابها (سرطان بالكبد) ، وحُملت إلى المستشفى للعلاج ، وبعد مدة من وجودها في المستشفى وتلقيها العلاج قال الأطباء لأخيها : إن حالتها سيئة وهي من سيئ إلى أسوأ وقد تموت في أي لحظة .

وكانت الفتاة تشعر بأن حالتها سيئة وصحتها متردية فطلبت من أخيها أن يأتي لها بمصحف كي تقرأ فيه ، وأخذت تتلو آيات الله في الليل والنهار وكلما قرأت نفثت في كفيها ثم مسحت بهما جسدها ، وهكذا تقرأ وتنفث في كفيها وتمسح جسدها ، واستمرت على هذا أياماً وليالي ، وكانت المفاجأة للأطباء أن الفتاة تتحسن يوماً بعد يوم وأن بوادر الشفاء بدأت على محياها فأصبح وجهها كله حيوية وهذا بدنها بدأ ينشط فتعجبوا من ذلك وسألوا أخاها : هل أعطيتموها دواء؟ ! فقال الأخ : إنها استعملت أفضل دواء إنه القرآن الكريم إنها تتلو القرآن وتمسح جسدها فشفاها الله تعالى بفضله وكرمه ، ثم ببركة آيات الله فسبحان محيي العظام وهي رميم[1] ، قال الله تعالى :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[2]

(١) قص علينا هذه الحكايات الشيخ «جاسم العيناتي» . (٢) سورة الإسراء : ٨٢ .

إن آيات الله عظيمة وبركة القرآن على من يتلوه ويحفظه ويعمل به عميمة وما تشاهدة وما نراه اليوم من بعض الناس الذين يعانون من القلق والحيرة ومن العقد النفسية وغيرها من مشكلات ما هو إلا بسبب بعدهم عن كتاب الله ، فصارت قلوبهم خاوية ونفوسهم خربة فسيطرت عليهم شياطين الإنس والجن فحولوا حياتهم إلى ضنك وقلق وخوف وترقب ، أما من يقرأ القرآن ويحافظ على تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ويحفظ آيات الله في قلبه فلا تستطيع جيوش الشياطين الاقتراب منه وتراه في أمن وطمأنينة وسكينة لأنه يعيش مع كتاب الله فهو يردده في كل وقت ، فاحرصوا على تلاوة كتاب الله واعملوا على حفظ آياته والعمل به فإنه خير لكم في الدنيا والآخرة .

التأمين الإلهي

تاجران أحدهما من دولة الكويت والآخر من السعودية وهما صديقان حميمان جمع بينهما الإسلام فتحابا في الله فصارا أخوين يحب أحدهما لأخيه ما يحب لنفسه واتفقا فيما بينهما على أن يشتركا في عمل تجاري يتوج هذه الصداقة ويقوي جدرانها ، ووفقهما الله في مشروع تجاري وكانا مثالاً رائعاً للأخوة الإسلامية الصادقة المتينة الأركان . وكبرت تجارتهما وتعددت مشاريعهما ودرت عليهما بفضل الله تعالى الخير الكثير . وفي يوم من الأيام جلسا يتحدثان فيما بينهما .

قال التاجر الكويتي لصاحبه : لماذا لا نُؤَمِّن على تجارتنا؟

فرد عليه صاحبه قائلاً : ولماذا نُؤَمِّن على تجارتنا؟ !

قال : إن أغلب بضائعنا تأتي عن طريق البحر وهي عرضة لأي حادث ، فلو حدث لا سمح الله لبضاعتنا مكروه ، لا نخسر شيئاً وتعوضنا شركة التأمين ثمنها فما رأيك؟

قال له صاحبه : ألا تعلم أننا قد أمَّنا على بضائعنا .

قال : مع من؟

قال له صاحبه : مع الله عز وجل .

قال : ونعم الوكيل ولكن الاحتياط واجب .

قال له صاحبه : ألسنا نخرج زكاة هذه التجارة؟

قال : بلى .

قال له صاحبه : إذن لا تخش شيئاً فهذا أقوى تأمين على تجارتنا وتوكل على الله ولا تقلق .

قال : آمنت بالله وتوكلت عليه .

ومرت الأيام وتجارتهما في نماء وازدهار ، وفي يوم كانت إحدى البواخر تحمل بضائع كثيرة ومن ضمنها بضاعة التاجرين ، وقبل وصول الباخرة إلى الميناء تعرضت لحادث فغرقت وجاء من يُخبر التاجرين فهرولا إلى الميناء وهناك وقفا ينتظران عملية الإنقاذ . وكان أحدهما هادئ النفس مطمئن القلب ، أما الآخر فكان يبدو عليه القلق والاضطراب قليلاً .

فقال له صاحبه : لا تقلق إن الله معنا .

وبعد أن تمت عملية الإنقاذ كانت المفاجأة ، فقد غرقت جميع البضائع وتلفت إلا بضاعة هذين الصديقين التاجرين فقد أخرجت بضاعتهما من الباخرة سليمة لم يمسها سوء .

فقال له صاحبه : والله ما اهتزت ثقتي بالله ولم أشعر لا بخوف ولا بقلق وكنت واثقاً كل الثقة من أن الله تعالى سينقذ بضاعتنا ، وذلك لأننا كنا مواظبين على إخراج الزكاة بنفس راضية مؤمنة وهذا أكبر ضمان وأقوى أمان .

فقال : وأنا كذلك مع أنني شعرت بشيء من الخوف .

قال له صاحبه : لا تخف وثق أنه من كان مع الله كان الله معه .

ولكن كيف حدث ذلك وكيف غرق جميع البضائع إلا بضاعة التاجرين؟ حدث أنه عند تحميل البضائع إلى الباخرة كانت بضاعة التاجرين تحيط بها أكياس من الطحين بكمية كبيرة ، فلما غرقت الباخرة وأخذ الماء يتسرب إلى داخلها أتلف جميع البضائع عدا بضاعة التاجرين فلم يصل إليها الماء ، وذلك بسبب الحاجز والسد المنيع من أكياس الطحين ، حيث إنه لما وصل الماء إلى أكياس الطحين ذاب قليلاً ثم تشبع الماء وصار صلباً فصار مثل الجدار يحيط بالبضاعة لم يصل إليها الماء بإذن الله تعالى (١) .

لقد كان هذان التاجران مؤمنين بالله تعالى إيماناً صادقاً وكانت ثقتهما بالله قوية لم تهتز أبداً وكانا يؤديان حق الله عليهما ، وذلك بإخراج الزكاة ، فكان ذلك أفضل وأقوى تأمين فحفظ الله لهما مالهما .

قال الله تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ (٢) .

قال رسول الله ﷺ : «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء» (٣) . .

(١) قص عليَّ هذه القصة الأخ عدنان راشد الرومي .
(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٦ .
(٣) رواه الطبراني .

من كان مع الله كان الله معه

في أثناء الغزو الغاشم لدولة الكويت من قبل النظام العراقي ، وانتشار نقاط التفتيش وما يسمى (السيطرة) ، كان (سالم الخشان) يمر على هذه النقاط ويتعرض يومياً للتفتيش الدقيق والشدة في المعاملة من قبل جنود الاحتلال ، ولما كان أهل الكويت قد ترابطوا أثناء الاحتلال برباط الإيمان والمحبة والتعاون فقد كانوا يساعدون بعضهم بعضاً بأي وسيلة وأي طريقة كانت ، وكان الأخ (سالم الخشان) من الذين عملوا أثناء الاحتلال في توصيل المعونات المادية من مؤن وأغذية ونقود إلى أهل الكويت وتوزيعها عليهم كل حسب حاجته . ويروي الأخ سالم هذه الحادثة فيقول : «في يوم ذهبت إلى مسجد ضاحية العديلية ـ «مسجد الشيخ ابن جراح» حالياً ـ كي أستلم بعض النقود لتوزيعها ، فخرجت من منزلي في منطقة الأندلس متوجهاً إلى العديلية ، وفي طريقي مررت على عدة نقاط للتفتيش ، وكان الجنود يشددون في عملية التفتيش ، وصلت إلى مسجد العديلية وهناك استلمت المخصص من الأخ (جمال الحداد) ووضعت النقود في صندوق السيارة وتوكلت على الله متوجهاً إلى الأسر التي سوف أوزع عليها النقود .

وفي أثناء سيري لم أنتبه إلى أنني سوف أمرُّ على أصعب نقطة تفتيش والتي تقع بين مبنى وزارة الكهرباء والحرس الوطني ، وهذه النقطة يدققون فيها التفتيش وأغلب الناس يتحاشون المرور من خلالها ولكني لم أنتبه إلا وأنا واقف

بسيارتي أمام هذه النقطة ولا أستطيع الرجوع فقرأت قول الله تعالى :

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝﴾[1] .

ودعوت الله عز وجل واستعنت به سبحانه وفوضت أمري لله الواحد القهار ، ولما اقترب الجندي مني نظر داخل السيارة ثم قال : (امشي حجي) ، دون أن يفعل أي شيء حتى إنه لم يأخذ الإجازة أو أي هوية لإثبات الشخصية ، حمدت الله تعالى على لطفه وكرمه وتوجهت رأساً إلى الأسر المخصص لهم النقود ووزعتها عليهم ، وبعد ذلك توجهت إلى المنزل كي أطمئن على أسرتي وكان في البيت زوجتي وبناتي الثلاث ، ولما وصلت إلى الشارع الذي أسكن فيه وإذا الجيران واقفون أمام منازلهم ، فاستغربت لما يحدث وسألت أحدهم عن سبب وقوفهم فقال : لقد جاءت زمرة من جنود الاحتلال وفتشوا المنازل منزلاً منزلاً ، هنا خفت على أسرتي ولكن جاري طمأنني واستطرد قائلاً : إلا أنهم لم يقتربوا من منزلك أبداً ! !

حمدت الله عز وجل حمداً كثيراً وأسرعت إلى منزلي وهناك وجدت زوجتي جالسة وبناتي نائمات ولم يكن يعلمن بما حدث في (الفريج) وهذا من لطف الله تعالى وكرمه[2] .

من كان مع الله كان الله معه ، ومن استعان بالله تعالى أعانه وحفظه ، وكان له خير المعين ، وهذا ما فعله الأخ (سالم الخشان) عندما وقع في هذا الموقف

(١) سورة يس ، ٩ .

(٢) قص علي هذه الحادثة الأخ سالم الخشان .

الحرج فلجأ إلى الله تعالى ، وكان الله خير معين له فأعمى أعين الأعداء وحفظه من شرهم وحفظ أسرته ـ خاصة ـ وإنه كان في مهمة إنسانية جليلة وهي توزيع المساعدات على الأسر المحتاجة أثناء الاحتلال .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[2] .

(١) سورة الطلاق : الآية ٣ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

التقوى

كان (ع) يعمل في أحد المراكز الحدودية ، وكانت البضائع لابد أن تمر عليه حتى يوقع عليها كي يسمح بدخولها داخل البلاد ، وكان أميناً في عمله شديد الحرص على تطبيق القوانين فكان لا يسمح لأحد أن يتخطى القانون مهما كان هذا الإنسان ، وكان رئيسه في العمل يأخذ الرشاوى ويمرر المعاملات نظير مبالغ تدفع إليه ، ولقد بلغت برئيسه الوقاحة أن استدعاه في أحد الأيام وأخذ يرغبه ويحثه على أخذ المال ، ويسهل الأمور للآخرين كي يكسب المال ، ولما سمع (ع) هذا الكلام من رئيسه ارتعدت فرائصه وخرج من عنده وهو يكاد يختنق من الحزن والأسى لأن أمثاله عندما يسمعون مثل هذا الكلام يختنقون لأنهم يشعرون أنهم في جو ملوث آسن .

مرت الأيام والإغراءات والابتلاءات أمام عينيه في كل ساعة من ساعات العمل يأتيه الراشون برشاويهم ، فهذا يقول هذه هدية من مؤسستنا والآخر يقول هذا المال إكرامية من شركتنا ويحاولون إغراءه بأي وسيلة وهو صامد كالطود يرد ذلك ويرفضه ، وأخذ يفكر بينه وبين نفسه إلى متى سيبقى على هذه الحال؟ وخاف على نفسه أن تضعف وتغريه بأخذ مال حرام فهو الآن بين أمرين لا ثالث لهما : إما أن يتخلى عن وظيفته وراتبه أو أن يتعدى حدود الله ، ويأخذ الرشاوى .

وهنا تذكر قول الله عز وجل : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١) .

قدم استقالته وخرج من هذا الجو الخانق بحثاً عن رزق حلال ، واشترى شاحنة صغيرة وبدأ العمل عليها في نقل البضائع ، وشيئاً فشيئاً رزقه الله واشترى شاحنة أخرى وبدأ بعض التجار يطلبونه لنقل بضائعهم ، وذلك لمعرفتهم به وبأمانته وحرصه الشديد على سلامة البضاعة ، وكأنها بضاعته ، وصار لديه شاحنات يعمل عليها سائقون .

وفي يوم اصطدمت إحدى شاحناته وتكسرت ، وذلك بسبب نوم السائق ، فاعتذر السائق لـ (ع) فعفا عنه وسامحه ولم يفعل له شيئاً وكان أحد رجال المرور واقفاً ينظر إليه وهو يربت على كتف السائق يهون عليه الأمر فاندهش الشرطي من سماحة (ع) وحسن معاملته للسائق وأصر أن يتعرف عليه ، ومرت الأعوام وصار رجل المرور من كبار التجار وجاءت له بضاعة كبيرة وأراد أن ينقلها فتذكر (ع) فاتصل به لنقل بضاعته ، وذلك لأمانته وسماحته وحسن خلقه .

وأصبح (ع) الآن من كبار التجار يملك شركة نقل كبيرة(٢) .

إنه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، وهذا الموظف البسيط ترك وظيفته عندما خاف على نفسه من الحرام وخرج باحثاً عن الرزق الحلال ففتح الله تعالى له أبواب الرزق وأصبح من كبار التجار .

قال رسول الله ﷺ : «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس»(٣) .

---

(١) سورة الطلاق : الآية ٣ .

(٢) قصص إيمانية .

(٣) رواه البخاري .

الرحمة

رجل مَنَّ الله تعالى عليه بالمال وأنعم عليه بالنعمة والخير ، وشاء الله عز وجل أن يصاب بمرض في القلب فسافر إلى الخارج للعلاج حيث إن مرضه جعله ضعيف البنية ، وصارت حالته الصحية تسوء يوماً بعد يوم . وهناك في المستشفى المشهور بعلاج القلب نصحه الأطباء بعمل عملية مستعجلة وقالوا له : «إن نتيجة العملية غير مضمونة وذلك لخطورتها ولكن من الأفضل عملها» .

عندما سمع هذا الكلام من الأطباء طلب منهم تأجيل موعد العملية كي يعود إلى بلده لعدة أيام ليسلم على أهله ومعارفه لعله لا يلقاهم بعد إجراء العملية وحتى يؤدي ما عليه من حقوق للناس ، فوافق الأطباء على طلبه على أن يعود بأسرع وقت ولا يتأخر لأن أي تأخير فيه خطر على قلبه .

عاد إلى بلده ومكث مع أهله وأدى ما عليه من حقوق وأنجز بعض أعماله الضرورية واستعد للسفر ، وقبل سفره وهو يسير مع أحد أصدقائه في إحدى الطرق وبالقرب من محل أحد الجزارين رأى امرأة عجوزاً تجمع فتات اللحم والعظام من الأرض قرب محل الجزار ، فرقَّ لحالها وناداها وسألها عن سبب فعلها ذلك ، فقالت له : إنه الفقر والحاجة فلدي ثلاث بنات ونحن نعيش حياة قاسية دون معيل وأنا أجمع ما ترى لأسد به رمق بناتي وجوعهن حيث إننا لم نذق طعم اللحم منذ مدة طويلة وأصابتنا فاقة وحاجة لا يعلم بها إلا الله عز وجل .

فلما سمع كلامها أخذ بيدها إلى الجزار وقال له : أعط هذه المرأة ما تحتاج إليه من لحم ، قالت : كيلو يكفينا .

قال : بل كيلوان ، وكل أسبوع . ودفع له مقدماً عن سنة كاملة . فرفعت العجوز المسكينة يدها إلى رحمن السموات والأرض ورحيمهما تبتهل إليه تدعو لهذا الرجل الحنون العطوف دعوة صادقة نابعة من القلب ، وما إن أنزلت العجوز يدها حتى شعر الرجل المريض بالنشاط والصحة تتحرك في جسده وأحس بقوة وحيوية لم يكن يحس بهما من قبل ، وعاد الرجل إلى بيته فاستقبلته إحدى بناته فقالت له : ما شاء الله عليك يا أبي أرى علامات الصحة والنشاط والعافية تبدو على محياك ! !

فأخبرها بالقصة فسعدت كثيراً لذلك ، ودعت لوالدها بأن يشفيه الله ، ويسعده كما أسعد هذه الأم المسكينة وأسعد بناتها .

غادر الرجل بلاده ودخل المستشفى ، وفيها فحصه الأطباء فذهلوا وتفاجأوا وقالوا : هذا مستحيل . . . مستحيل لقد زال المرض وذهبت العلة ، كل التقارير السابقة والفحوصات كانت تشير إلى خلل كبير في القلب . . من عالجك؟ ! ! من شافاك؟ ! ! من أعاد إليك صحتك؟ كيف تشافيت بهذه السرعة؟ ! !

فرد عليهم وهو ينظر إلى السماء بعين دامعة : شفاني أرحم الراحمين[1] .

إن الله تعالى على كل شيء قدير ، لقد كان هذا الرجل أقرب إلى الموت منه إلى الحياة ، وجاء ليودع أهله وأحبابه وعندما رق قلبه لهذه العجوز المسكينة ورحمها كان هناك من هو أرحم منه وأكرم : الله الرحمن الرحيم ،

(١) جريدة القبس بتصرف .

فجزاء عطفه وحنانه على هذه المرأة البائسة رحمه الله وشفاه وأعاد إليه صحته فالراحمون يرحمهم الرحمن ، وصدق من قال : «ارحم من دونك يرحمك من فوقك» .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ : «من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر»[2] .

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٦ .

(٢) رواه أحمد .

ثمرة الصدقة

محبٌّ لفعل الخير يسعى لمعاونة الآخرين فكان يوزع مدخوله الشهري على حاجيات أسرته ويتصدق بالباقي على المحتاجين ، وكان يتفقد الأسر المحتاجة فيعطيهم مما رزقه الله تعالى ويرشد أهل الخير إليهم كي يتصدقوا عليهم ويساعدوهم على العيش الكريم .

ومع أنه لا دخل لديه سوى راتبه الشهري إلا أنه كان يعيش في بحبوحة من العيش مرتاح البال هادئ النفس مطمئن القلب ، ووفقه الله عزوجل بزوجة طيبة تعينه على عمله وتحثه على فعل الخيرات وتشد من أزره فكانت له خير معين على العمل الصالح ، كما قال رسول الله ﷺ : «**خير متاع الدنيا المرأة الصالحة**» .

وفي يوم من الأيام كان يستعد للذهاب إلى المسجد لأداء صلاة العصر فقالت له زوجته : بعد أن تؤدي صلاة العصر اشتر حفاظات للأطفال .

أخرج الزوج محفظة نقوده ونظر فيها فلم يجد إلا ديناراً واحداً فقال لزوجته : لعل الله يفرجها بعد الصلاة المهم الصلاة الآن .

وذهب يسعى إلى المسجد وهناك وقف أمام يدي الخالق عز ول يؤدي سنة العصر وكان في سجوده يدعو الله أن يرزقه ويوسع عليه ثم جلس بعد أن صلى ورفع كفيه يدعو الله ويرجوه ويتوسل إليه ، يدعوه من قلب خاشع ونفس

مطمئنة فالله عز وجل قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه ، وبعد أن أدى صلاة العصر جماعة خرج من المسجد وقلبه منشرح مؤمن متيقن بأن الله عز وجل سيفرج كربته ، ودخل بيته فقابلته زوجته الطيبة بوجه بشوش وابتسامة مشرقة وفرحة قد ملأت عينيها وقالت له : تفضل .

قال : ما هذا؟ ! قالت : مئتا دينار .

قال : مئتا دينار؟ من أين أتيت بها؟ !

قالت : كنت قد أخرجت ملابسك الشتوية كي نرسلها إلى المصبغة فالشتاء على الأبواب كما ترى .

قال : نعم ولكن كيف حصلت على هذه النقود؟

قالت : أخذت أفتش جيوب ملابسك حتى أتأكد من خلوها وإذا بي أجد هذا المبلغ في أحد جيوب ملابسك ، مئتا دينار .

هنا قال الرجل الحمدلله وخرَّ ساجداً شاكراً الله على كرمه وجوده ورحمته بعباده(١) .

لقد كان هذا الرجل يتحسس أحوال الفقراء ويتفقد المحتاجين وكان ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر ، وكان واثقاً بأن الله هو الرزاق ، فلما ضاقت حالته فرجها الله عزوجل عليه ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٢) .

(١) قص علي هذه القصة الأخ سالم الخشان . (٢) سورة الطلاق : الآيتان ٢ ، ٣ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال : «جُهد المُقل وابدأ بمن تعول»[1] .

(١) رواه أبو داود .

الفصل الثاني

كما تدين تدان

١ ـ جبروت امرأة .

٢ ـ الجزاء من جنس العمل .

٣ ـ البخل .

٤ ـ عاقبة الظلم .

٥ ـ ودارت الأيام .

٦ ـ الغيرة القاتلة .

٧ ـ الجهل .

جبروت امرأة

قصة امرأة هدمت بيتها بيدها ، استغلت طيبة زوجها وصبره عليها وغرها سكوته عن تصرفاتها فتمادت في غيها ومعاملتها السيئة له ، تروي هذه المرأة قصتها قائلة : «عندما تزوجت كنت فتاة جميلة صغيرة السن وقد أنعم الله علي بإنجاب عدد من الذكور ، وكنت كلما رزقت بصبي تمتلئ نفسي زهواً وغروراً .

كان إنجاب الذكور يهبني قوة وثقة وزرع في نفسي حب التسلط والسيطرة فمعظم من كن حولي ينجبن الإناث في الغالب ، وأول إنسان اكتوى بنار جبروتي وغروري هو زوجي المسكين ، فقد رحت أستغل سماحته وصبره وطيبته معتمدة بذلك على أمرين : جمالي ، ورصيدي العالي من الذكور ، وكانت سياط غروري وجهلي تلهب ظهر كل من حولي لا أميز بين ذي رحم أو قريب أو صديق أو جار . . فعاداني الجميع وتحاشوني اتقاء شري .

الأبناء يكبرون وأنا أردد على أسماعهم قصة الزوج الفقير الظالم والدهم الذي أذاقني الأمرين في مقتبل حياتي ، وهو في الواقع والحق أنه لم يكن كذلك بل كان مثال الأب الطيب والزوج الصبور إلا أني كنت أظهر للأبناء أنه كان قاسياً وظالماً لكي أستميل قلوبهم إليّ وعطفهم نحوي وأغرس كراهية أبيهم في قلوبهم ، لذلك كانوا لاينظرون إلا بعيني ولا يسمعون إلا بأذني ولا يضربون إلا بيدي ، لذلك تخرج من تحت يدي شباب جبارون قساة ظالموت فاشلون في حياتهم الدراسية كارهون للناس حاقدون على والدهم حتى وصل بهم الأمر

إلى تهديده إن تسبب بإغضابي .

ومرت الأيام وشاء الله عزوجل أن ابتليت بمرض عضال احتجت فيه للمساعدة الخاصة في كل شؤوني حتى الخاصة منها ، وهنا لم أجد أمامي سوى زوجي الطيب . . الصابر الذي لم يقصر في خدمتي ومساعدتي ، وإن كان يساعد مساعدة المكره المضطر بسبب ما ذاق مني على مر الأيام ، ولكن طيبته لم تمنعه من أداء واجبه نحوي ، أما أبنائي الذكور الذين كنت أعتمد عليهم فقد خذلوني وتركوني في أحلك الظروف بحجة أنهم مشغولون بعائلاتهم وشؤونهم الخاصة ولم ينفعني منهم أحد .

وها هو زوجي الآن يبحث عن امرأة تشاركه ما تبقى من أيام حياته تكون له سكناً وعوناً ورحمةً وهذا من حقه»[1] .

وهكذا أنهت هذه المرأة التعيسة قصتها بالندم والحسرة على تصرفاتها السيئة مع زوجها ، فقد أساءت إليه وغرها أنها جميلة وتنجب الذكور وغرها حُسن معاملة زوجها لها فبدل أن تشكر زوجها على حسن معاملته أساءت إليه وكرهت أبناءه فيه وها هي الآن تسكب دموع الندم والحسرة على ما فرطت في احترام زوجها بسبب غرورها فالحذر من الغرور فإن عاقبته وخيمة .

سُئلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها : أي النساء أفضل؟ فقالت : التي تعرف عيب المقال ، ولا تهتدي لمكر الرجال فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها ، والإبقاء في الصيانة على أهلها .

قال الحسن البصري رحمة الله : ينبغي للوجه الحسن ألا يشين وجهه بقبيح فعله ، وينبغي لقبيح الوجه ألا يجمع بين قبحين .

---

(١) كشكول الأسرة .

الجزاء من جنس العمل

كان يعيش مع زوجته عيشة شجار دائم وكان يعامل زوجته بقسوة فقد كان قاسي القلب حاد الطبع ، وكانت زوجته تعاني من شدته ومعاملته القاسية لها . وفي يوم من الأيام وكالعادة نشب شجار بين الزوجين فعمد الزوج القاسي إلى عصا غليظة فضرب بها زوجته ، ومن شدة الضرب ماتت الزوجة من دون أن يقصد الزوج قتلها بل كان غرضه تأديبها ، فلما رآها ماتت خاف واحتار ماذا يصنع وأخذ يفكر في كيفية الخلاص من هذه الورطة ولم يجد حيلة للخلاص ، فخرج من منزله متوجهاً إلى أحد أقاربه وقص عليه القصة عله يجد عنده حلاً لهذه الورطة .

فقال له قريبه : اسمع يجب أن تبحث عن شاب جميل الصورة وتدعوه إلى منزلك للضيافة ، ثم اقتله واقطع رأسه وضع جسده بجانب جنازة زوجتك وقل لأهلها أنك وجدت هذا الشاب مع زوجتك فلم تتحمل فعلهما السيء فقتلتهما معاً وتكون بذلك قد خلصت نفسك من هذه الورطة وظهرت لهم بصورة الرجل الشريف .

وحين سمع الزوج كلام قريبه أحس براحة وأسرع إلى منزله لينفذ الحيلة وجلس على باب منزله علّه يعثر عل يميتغاه ، وبعد مدة أقبل شاب جميل الصورة وسيم تبدو عليه ظواهر النعمة فقفز الزوج قائماً مستقبلاً الشاب مرحباً به ، والشاب مستغرب لما يحدث ، ولكن الزوج أصر على الشاب بأن يدخل معه

المنزل كي يضيفه وجره إلى داخل المنزل وأغلق الباب والشاب المسكين في ذهول ودهشة ، أسرع الزوج وفعل فعلته الشنعاء وقتل الشاب المذهول ثم قطع رأسه وألصق جسده بجسد زوجته ولما جاء أهل الزوجة وشاهدوا الجنازتين وقص عليهم الزوج القصة المختلقة ذهبوا وهم يلعنون ويشتمون ابنتهم على فعلتها القبيحة ، وهدأت نفس الزوج وأحس أنه قد أنقذ نفسه من موت محقق وأخذ يدعو لقريبه الذي دله على هذه الحيلة الماكرة .

وبينما الرجل جالس في منزله فرحان مسرور إلى ما آلت له الأمور سمع طرقات على الباب ، ولما فتح الباب فإذا بقريبه فاحتضنه الزوج وأخذ يقبله ويشكره وأدخله المنزل كي يقوم بالواجب نحوه ، فقال له قريبه : هل نجحت الخطة؟ فقال له الزوج : لقد نجحت نجاحاً باهراً وانطلت الحيلة عليهم وكل هذا من حسن تفكيرك وسلامة تدبيرك .

فقال له قريبه : وهل وجدت بغيتك؟

قال الزوج : أجل . . لقد وجدت شاباً جميلاً بهي الصورة .

فقال له قريبة : أرني ذلك الشاب الجميل الذي قتلته ، . . فلما رآه شهق شهقة وسقط مغمى عليه ، لقد كان هذا الشاب الجميل القتيل ولده . . والجزاء من جنس العمل(١) .

لقد دبر المحتال حيلة لقريبه كي ينقذه من ورطته بدل أن ينصحه بتسليم نفسه للعدالة أو يبلغ عنه ، ولكنه أعانه على جريمته بجريمة أعظم منها وكان الضحية ولده فلذة كبده فوقع في شر أعماله . . وكما تدين تدان .

(١) جريدة الرأي العام بتصرف .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[1] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قتل غُلام غيلة ، فقال عمر : لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم به[2] .

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٢) أخرجه البخاري .

البخل

عن هشام بن حسان عن واصل مولى أبي عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة قالت : كنت عند عائشة رضي الله عنها وأرضاها ، فأتتها امرأة مشتملة على يدها ـ أي غطت يدها بقطعة من القماش ـ فجعل النساء يولعن بها فقالت المرأة : ما أتيتك إلا من أجل يدي ، إن أبي كان رجلاً سمحاً وإني رأيت في المنام حياضاً عليها رجال معهم آنية يسقون من أتاهم فرأيت أبي فقلت له : أين أمي؟

فقال : انظري ، فنظرت فإذا أمي ليس عليها إلا قطعة خرقة .

فقال أبي : إنها لم تتصدق قط إلا بتلك الخرقة وشحمة من بقرة ذبحوها فتلك الشحمة تذاب وتطرى بها وهي تقول : واعطشاه قالت المرأة : فأخذت إناء من الآنية فسقيتها ، فنُوديت من فوقي : من سقاها أيبس الله يده ، فأصبحت يدي كما ترين(١) .

***

إن الصدقة خير وبركة على صاحبها في الدنيا وسعادة وهناء في الآخرة ، وهذا المرأة كانت مقلة في الصدقة شحيحة قليلة الإنفاق في أوجه الخير فكان جزاؤها العري والظمأ يوم القيامة ـ نسأل الله العافية ـ فعلينا أن نكثر من الصدقة

(١) نهاية الظالمين .

فإن أمامنا يوماً عسيراً فلنستعد له من الآن ولنعمل له من الآن ولا يكن لنا هم إلا هم الآخرة لعل الله عز وجل يمن علينا برحمته فيغفر لنا ما عملنا من ذنوب في الدنيا إنه هو الغفور الرحيم .

قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ : «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البُخل وسُوء الخلق»(٢) .

(١) سورة الليل : الآيات ٨ ـ ١١ .

(٢) رواه أحمد .

عاقبة الظلم

كان صياداً يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته فخرج يوماً للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم أخذها ومضى إلى السوق ليبيعها ، فالتقى في الطريق برجل قوي البنية فلما رأى السمكة أراد أخذها من الصياد غصباً فمنعه فرفع المفتري عصاً غليظة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه بالقوة بلا ثمن .

فرفع الصياد يديه ودعا ربه قائلاً : إلهي جعلتني ضعيفاً وجعلته قوياً عنيفاً فخذ لي بحقي منه عاجلاً ، فقد ظلمني .

أخذ الظالم المفتري السمكة وانطلق إلى منزله وسلمها إلى زوجته وأمرها أن تشويها ، فلما شوتها قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزته في أصبع يده نكزة طار بها عقله فقام ولم يأكل منها وذهب إلى الطبيب يشكو ألم يده فلما رآها الطبيب قال له : إن دواءها أن تقطع الأصبع لئلا يسري الألم إلى بقية الكف فقطع أصبعه فانتقل الألم إلى الكف وازداد الألم فقال له الطبيب :

ينبغي أن تقطع اليد إلى المعصم لئلا يسري الألم إلى الساعد ، فقطعها فانتقل الألم إلى الساعد ، فمازال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى العضو الآخر الذي يليه حتى خرج هائماً على وجهه مستغيثاً بربه ليكشف عنه ما نزل

به ، فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام فرأى في منامه قائلاً يقول : يا مسكين إلى كم تقطع أعضاءك امض إلى الصياد الذي ظلمته فأرضه .

انتبه من نومه وفكر في أمره فعلم أن الذي أصابه من جهة الصياد وتذكر فعله فيه ، فأخذ يسأل عن الصياد حتى استدل عليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه طالباً منه السماح مما فعله به ودفع إليه شيئاً من المال وتاب من فعله ، فرضي عنه الصياد وسامحه فسكن في الحال ألمه وبات تلك الليلة نوماً مريحاً هانئاً(١) .

***

الظلم عاقبته وخيمة وعقوبته فاضحة يسمع بها ويراها أغلب الناس ، ومهما تمر الأعوام فلكل ظالم نهاية تكون عبرة لغيره والظلم ظلمات يوم القيامة .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ (٢) .

***

قال رسول الله ﷺ : «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ، ففجوره على نفسه»(٣) .

---

(١) نهاية الظالمين .

(٢) سور الشورى :الآية ٤٢ .

(٣) رواه الإمام أحمد .

ودارت الأيام

رجل غني من الله عليه بالمال الوفير والخير الكثير ، تزوج من امرأة طيبة صالحة محبة للخير فكانت نعم الزوجة له ، أما هو فكان مع غناه وكثرة ماله شديد البخل أناني الطبع وكانت زوجته تحاول بشتى الطرق كي تصلح من حاله وتهذب خُلقه إلا أنه كان عنيداً شديد المراس حديد الطبع .

وفي يوم كان جالساً على مائدة الطعام والزوجة الطيبة جالسة بجانبه تقدم له أطباق الطعام وهو يلتهمها الطبق تلو الآخر ، وأثناء ذلك طرق الباب سائل فقير قد أخذ منه الجوع كل مأخذ يتمنى لقمة كي يسكت بها جوعه ، فقام الرجل الغني ليفتح الباب فلما رأى السائل واقفاً غضب غضباً شديداً واحمرت عيناه وانتفخت أوداجه وانتهره وطرده شر طردة ثم أغلق الباب بشدة خلفه وهو يسب ويلعن .

فقالت الزوجة : خيراً ، ما الذي حدث؟ !

قال : سائل سخيف نقص عليّ طعامي ، كم أكره هؤلاء الشحاذين .

قالت الزوجة : لو أعطيته لقمة .

قال : أعطيه لقمة ! ! هذا مالي لقد تعبت فيه وجمعته بكدي وعرقي أوزعه على هذا وأمثاله ! !

قالت الزوجة : ولكن الخير كثير ولله الحمد .

قال : ماذا؟ وتردين عليّ أيضاً؟ اسكتي وإلا ألحقتك بأهلك .

قالت الزوجة : أتكلمني بهذا الأسلوب بعد هذه العشرة الطويلة؟ !

قالت : ألا زلتِ تردين عليّ اذهبي فأنت طالق .

ودارت الأيام وتوالت الأعوام وشاء الله عزوجل أن تتزوج المرأة برجل آخر مستقيم الخلق هادئ الطبع رقيق القلب وعاشت معه أياماً جميلة ولحظات سعيدة ، أما زوجها الأول فقد زالت نعمته وافتقر وساءت حاله ، وهكذا هي الأيام لا تدوم على حال .

وفي أحد الأيام كان الرجل الثاني جالساً مع زوجته على مائدة الطعام يأكلان مما رزقهما الله وإذا بالباب يُطرق .

فقالت الزوجة : من الطارق؟

قال : سائل فقير قد أوشك على الموت من شدة الجوع .

فقال الزوج : خذي هذه الدجاجة وأعطيها إياه .

فحملت الزوجة الدجاجة وخرجت بها إلى السائل فإذا السائل هو زوجها الأول فأعطته الدجاجة ورجعت وهي تبكي ، فلما رآها زوجها على هذه الحالة سألها قائلاً : ما الذي يبكيك؟ ماذا حدث؟ !

قالت الزوجة : إن السائل الذي بالباب كان زوجي ، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول وطرده .

فقال لها زوجها : ومم تعجبين وأنا والله السائل الأول الذي طردني زوجك الأول(١) .

---

(١) جريدة الرأي العام بتصرف .

هكذا هي الأيام لا تدوم على حال والنعمة زائلة خاصة لمن لا يعرف حق الله فيها فالواجب على من رزقه الله ومن عليه بالمال والثروة أن يؤدي حق الله وأن يزكي ويتصدق على الفقراء والمساكين واليتامى والسائلين وأن يحرص على أن يشارك غيره فيما رزقه الله من نعمه وليعلم أن دوام الحال من المحال ، ومثلما يعمل الإنسان يلقى جزاء عمله والجزاء من جنس العمل .

قال أبو البقاء الرّندي :

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقي على أحد
ولا يدوم على حال لها شانُ

قال الله تعالى : ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ : «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً»(٢) .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٧٢ . (٢) متفق عليه .

الغيرة القاتلة

تزوج فؤاد من دلال وعاشا مثل أي زوجين إلا أنهما لم يكونا على وفاق فقد كانت أفكارهما وطموحاتهما تختلف كل عن الآخر ، ومع مر الأيام بدأت وجهات نظر كل منهما تختلف عن الآخر مما أدى إلى التباعد الفكري والنفسي إلى أن وصل الأمر بفؤاد أنه بدأ يفتش عن راحته لدى امرأة أخرى التقاها صدفة اسمها ميساء وفكر فؤاد بالزواج منها ، وفاتح فؤاد ميساء « بأمر الزواج ولم يكن لديها أي مانع . وعقد القران واكتملت الفرحة لدى فؤاد وعاش برهة من الزمن سعيداً . ولكن الأمر لم يطل مع هذا الزواج السعيد وقد أخفى أمر زواجه الثاني عن زوجته الأولى دلال التي كان يبرر لها غيابه عن المنزل بانشغاله المستمر في مهمات وظيفية ليلية .

طلبت دلال ذات يوم من زوجها أن يصارحها بحقيقة غيابه المتواصل عن المنزل ، فأخبرها أن سبب غيابه كثرة العمل المتواصل الذي يشغله دائماً ، ولكن دلال لم تصدقه وطلبت منه الإفصاح عن حقيقة هذا العمل فقال لها فؤاد : إذا لم تصدقي كلامي اسألي زميلي نزاراً هو أيضاً مثلي أتناوب وإياه العمل ، وخرج بعدها فؤاد من المنزل وهو غضبان .

عندها سارعت دلال واتصلت بزوجة زميله نزار نعمة التي نفت بدورها أن يكون زوجها غاب عن المنزل ليلة واحدة منذ زواجهما .

هنا ساور الشك دلال وأيقنت أن في الأمر سراً ، وبالتعاون سراً مع صديقتها نعمة زوجة نزار استطاعت دلال أن تعرف أن هناك امرأة أخرى واستطاعت أيضاً أن تحدد هوية غريمتها وتتعرف على اسمها وعنوانها .

قررت دلال فيما بينها وبين نفسها أن تتخلص من ضرتها ميساء وفكرت في الخطة ملياً واختمرت في ذهنها تماماً وعزمت على التنفيذ .

لم يدر فؤاد أن زوجته دلال قد اكتشفت أمر زواجه من ميساء فاستمر على ما هو عليه من اختلاق الأعذار لغيابه عن المنزل .

وفي أحد الأيام جاء فؤاد إلى منزل زوجته الثانية ميساء ووضع المفتاح في الباب وأذهله أن الذي فتح الباب أحد رجال الشرطة ، دخل فؤاد المنزل بخطى وئيدة ونظرات زائغة وقد امتلأ المكان برجال المباحث والطبيب الشرعي ، وهو حيران لا يدري ما الذي جرى إلى أن استقرت عيناه على زوجته ميساء في أحد أركان الصالون وهي تجيب بصوت متهدج على بعض الأسئلة التي يوجهها إليها قاضي التحقيق ، ونادى قاضي التحقيق على فؤاد وكشف (الشرشف) عن زوجته دلال الملقاة جانباً وسأله : أهذه زوجتك يا فؤاد؟ هز فؤاد رأسه دون أن ينبس بأي كلمة ، لقد صعقته المفاجأة . . ليس موت زوجته دلال فحسب وإنما وجودها في منزل ميساء !!

ولكن ما الذي حدث؟ كيف أصبحت القاتلة قتيلة ، لقد جاءت دلال للانتقام من ميساء فماتت دلال وعاشت ميساء كيف حدث ذلك؟ !!

عندما أعدت دلال الخطة للانتقام من ميساء طلبت من صديقتها نعمة أن ترافقها في زيارة إلى ميساء ولكن دون أن تطلعها على حقيقة ما نوت واكتفت

بالقول أنها سوف تطلب من ميساء أن تترك لها زوجها فؤاد لأنها أحق به منها لعلها تقبل طلبها ، وذهبت دلال ونعمة لزيارة ميساء ولكن دون أن تدري بأن ميساء تعرفها حق المعرفة ، فاستقبلتهما ميساء مرحبة وأجلستهما في الصالون ثم استأذنت منهما لتحضير القهوة ثم عادت تحمل فناجين القهوة إليهما ، وقبل أن تجلس ميساء طلبت منها دلال أن تحضر لها كأساً من الماء الدافئ لأنها لا تستطيع أن تشرب الماء البارد لالتهاب بلعومها ، وضعت ميساء الصينية على الطاولة وعادت إلى المطبخ لتحضر كأس الماء ، هنا أسرعت دلال ووضعت شيئاً ما في فنجان قهوة ميساء . عادت ميساء تحمل كأس الماء الدافئ ولكنها قالت لهما : لنجلس في غرفة الجلوس لأنها مشمسة ودافئة ، ولم تترك لهما فرصة الاختيار وأسرعت في لملمة فناجين القهوة إلى الصينية ونهضت متقدمة الجميع ، وكانت عينا دلال على فنجان القهوة المسموم بلهفة زائدة إلا أنها أخطأت هذه المتابعة حين أبدلت ميساء فنجان القهوة بحركة رشيقة لم تنتبه إليها دلال ، وقدمت لها ذات الفنجان الذي وضعت فيه السم وشربت دلال السم الذي كانت أعدته لميساء ، وصار القاتل مقتولاً والجزاء من جنس العمل ، لقد أدركت ميساء أن زيارة دلال إليها وهي متنكرة تحمل في طياتها أمراً معيناً وما طلبت كأس الماء إلا لإشغالها خارج الغرفة وإفساح المجال لتصرف ما من دلال ، إلا إن ميساء كانت تنظر من ثقب الباب فرأت كل شيء ووجهت التهمة إلى ميساء بجرم قتل ضرتها دلال(١) .

***

(١) جريدة الأنباء بتصرف .

لقد صدق من قال : من حفر حفرة لأخيه وقع فيها ، لقد اشتعلت نار الغيرة بقلب دلال وأججها الشيطان حتى انتهت بمأساة دامية ، ولو أن دلالاً صبرت ورضيت بما كتب لها ربها لكان خيراً لها ولكن نار الغيرة وضعف الإيمان يؤديان إلى عمى القلب ومن ثم يرتكب الإنسان أعمالاً تنتهي به إلى الهاوية وهذا ما حدث .

قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ (١) .

(١) سورة فاطر : الآية ٤٣ .

الجهل

لم يكن حظ (فائزة) من الزواج موفقاً فقد انتهى إلى الطلاق ، وأوعزت أن السبب في فشل زواجها الحسد وظنت أن العين قد أصابتها ، وكي تتفادى إصابة العين الحسودة كان لابد لها من حجاب يحميها من العين ، ومثل أي امرأة جاهلة غبية ذهبت إلى أحد الدجالين فهو الذي سوف ينقذها مما هي فيه حسب تفكيرها ويحل مشاكلها ، وعندما دخلت (فايزة) على الدجال ورآها وأدرك مدى لهفتها واعتقادها به قرأ لها الكف وأكد لها أنها تمتلك كنزاً ! ! ولكن كيف الوصول إلى الكنز؟ ! فلابد من بعض المصروفات كي يستدل الدجال على مكان الكنز فتفوز به (فائزة) كي تتزوج وتعيش سعيدة ، وهكذا انطلت الحيلة على (فائزة) وأخذت تمني نفسها بالثروة والغنى والزواج ، وأخذ الدجال من جانبه يطلب منها مبالغ مالية وهي تدفع وتدفع ، المهم عندها الوصول إلى الكنز . . كنز السعادة ، واستمرت الحال على هذا المنوال ، الدجال يطلب و(فائزة) تدفع ، ولكي يخدعها أكثر أخذ يطلب منها بعض الطلبات كي يبين لها مدى صدقه معها ، فمرة يطلب ديكاً أسود ومرة يطلب كبشاً عمره سنتين وطلبات أخرى لزوم العمل .

ولكن الأمر طال ، فسألته (فائزة) : أين الكنز؟ !

قال : الأرواح الشريرة هي التي تحول بيني وبين إمكان الوصول إلى الكنز .

قالت : وما العمل؟

قال : يجب أن تتزوجي وعندئذ يكون الكنز في متناول يدك .

قالت : ولكن من أين العريس؟ !

قال : لا أدري ولكن يجب أن تتزوجي .

ودبرت (فائزة) أمر العريس مع أهلها وتزوجت من رجل أبتر الساق أعور العين ليس مهماً عندها وعند أهلها الشكل ، المهم الوصول إلى الكنز !!

ذهبت (فائزة) إلى الدجال تزف إليه الخبر السعيد ، وكان الدجال الخبيث قد عرف بأمر العريس بأنه أبتر وأعور ، فلما أخبرته بالخبر ، قال لها الدجال بخبث ومكر : لابد لي من مشاهدة إخوتي تحت الأرض لأخذ رأيهم فتعالي غداً . وفي اليوم التالي جاءت (فائزة) فأخبرها عدم موافقة الأسياد على هذا الزواج .

قالت : ولماذا لم يوافقوا .

قال : لأنه أعور وأبتر فيجب أن يكون العريس سالماً لا نقص فيه ولا عيب وإلا ضاع الكنز . . الكنز يا فائزة .

ولما أحس الدجال أن اليأس بدأ يتسرب إلى نفس (فائزة) وهي الحريضة كل الحرص للوصول إلى الكنز قال لها بدهاء : إذا شئت أقبل أنا هذه المهمة . . ولكن لمرة واحدة !!

وافقت الحمقاء الخاسرة فالمهم عندها الكنز ، وكانت هذه المرة الواحدة كافية لأن تصبح (فائزة) حاملاً ، ولما نقلت (فائزة) إلى الدجال نبأ حملها تفاجأ بالخبر وتعقدت عليه الأمور إلا أنه فكر بحيلة خبيثة يضحك بها على هذه الحمقاء الغبية فقال لفائزة : إما أنك تحتفظين بالكنز أو بالجنين .

فآثرت الخاسرة الكنز . . الكنز ولا شيء غيره .

فسألته : ولكن من يقبل أن يسقط الجنين؟

قال الماكر : أنا . . أحاول أن أساعدك .

قالت : أنت !! . . ولكن كيف؟ !

قال : بواسطة إخوتي تحت الأرض !!

وقام المجرم السفاح بعملية بدائية لإسقاط الجنين والمسكينة الغبية تئن من شدة الألم ووطأة العذاب ، ولكن الأمر لم يطل فقد لفظت أنفاسها الأخيرة ، ولما رأى الدجال أن الأمر سينتهي به إلى المشنقة وأن جريمته سوف تكتشف هرب عن طريق سطح المنزل كي لا يشعر به أحد فتسلق سلماً خشبياً عتيقاً ، ولكنه ما أن وصل إلى نهاية السلم وكاد أن يضع قدمه على حافة السطح حتى علق طرف ثوبه في مسمار في السلم فاهتز السلم وهوى الدجال على الأرض وأخذ يبصق من فمه وأنفه الدم والزبد يرغى حول شفتيه ولقي جزاء فعلته(١) .

إن الطمع وحب الدنيا والجهل بالدين أسباب تؤدي بصاحبها إلى الهلاك والويل ، ولقد حذرنا الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ من اتباع خطوات الشيطان ومن ثم التردي في هاوية الجهل والضلال ، ولقد كان جزاء كل من اشترك في هذه الجريمة النكراء جزاءً وفاقاً في الدنيا ، والله أعلم بما سيلقونه في الآخرة ، فهذه المرأة الجاهلة الحمقاء أدى بها طمعها وضعف إيمانها إلى الموت بأبشع طريقة ، وهذا الدجال المشعوذ الخبيث لقي جزاء عمله ، وهؤلاء الأهل

(١) جريدة الأنباء بتصرف .

الذين أعماهم الطمع فأعانوا ابنتهم على السير في طريق الضلال قد فقدوا ابنتهم ولبسهم الذل والعار على مدى الدهر والجزاء من جنس العمل .

وصدق من قال :

الجـــــهل للأفكار قــــبـــــر مظلم

يعـمـي العـيــون ويخنق الأعــمـــالا

قـال الله تعـالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾(١) .

(١) سورة الجاثية : الآية ٢٣ .

الفصل الثالث

بين الآباء والأبناء

١ ـ الأبناء نعمة .

٢ ـ ذكر وأنثى .

٣ ـ اللهم لا أعتراض .

٤ ـ قتلت ولدي .

٥ ـ الحب القاتل .

٦ ـ الحسرة .

٧ ـ العصيان .

٨ ـ جزاءاً وفاقاً .

الأبناء نعمة

تزوج شاب من فتاة مقاربة له في العمر وكانا فرحين بحياتهما الزوجية وحملت الفتاة وبعد انتهاء الحمل ولدت طفلين ، وحملت مرة ثانية ثم وضعت طفلين كذلك ، فأصبح لديهما أربعة أطفال في أقل من سنتين ، وحملت للمرة الثالثة فاستشاط زوجها غضباً وخاف أن تلد طفلين للمرة الثالثة فتجعل في بيته الصغير ستة أطفال في مدة وجيزة وهو رجل قليل المال ودخله محدود ، وأقسم وهو في ثورة غضبه أنها طالق إذا ولدت هذه المرة طفلين أيضاً ، وأخذت الزوجة تبكي وسخر الناس من الزوج ولاموه على تصرفه ، وتمت أشهر الحمل فولدت المرأة . .

ولدت ثلاثة أطفال ، ومعنى ذلك أن يمين الطلاق لم يقع لأنه أقسم على اثنين فولدت المرأة ثلاثة ، وصدمت التجربة الزوج فاستغفر الله وأناب ، فأغدق الله عليه الرزق وفاضت عليه خيراته ، والعجيب أن المرأة توقفت عن الحمل بعد ذلك(١) .

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾(٢) .

(١) مقارنة الأديان .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٥١ .

ذكر وأنثى

تزوج شاب واسع الثراء من فتاة أحلامه التي كان يتمناها زوجة له ، وبعد فترة رزق منها بطفلة جميلة سمحة كانت مبعث سرور أبويها ، ثم حملت الزوجة مرة أخرى ووضعت طفلة أيضاً ولم يحسن الأب استقبال الثانية فقد كان يتمنى أن يرزق طفلاً ، وحملت المرأة للمرة الثالثة ووضعت طفلة كذلك ، وهنا أظهر الرجل من سخطه ما كان قد كتمه في المرة السابقة ولم يرض بقضاء الله عز وجل ، وقلّ حنانه عن فتياته الصغيرات وأصبح شغفه بابن ذكر حديث الناس ، وحملت المرأة للمرة الرابعة وأخذ قلبها يدق ويضطرب وأخذت الهواجس تلعب بنفس الرجل الذي نفد صبره ، ووضعت المرأة ذكراً هذه المرة ، قامت الزينات ودقت الطبول واتجهت كل العناية للطفل الذكر ولكن في غمرة الفرح اكتشف الطبيب أن الطفل ليس سويا وأن بإحدى رجليه لين عظام . . ومرت سنون رأى الأب فيها ابنه مصدر شقاء له ومبعث ألم لانحراف صحته وعدم استواء عوده ، أما الفتيات فكان مرور الأيام يزيدهن روعة وجمالاً ، كن لأبيهن مصدر اليمن والسعادة والخير والبركة(١) .

قال الله تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ ﴾(٢) .

(١) مقارنة الأديان .

(٢) سورة الشورى : الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

قال رسول الله ﷺ : «ما من مسلم تُدرك عنده ابنتان فيحسن صحبتهما إلا أدخلتاه الجنة»[1] .

***

(١) رواه البخاري .

اللهم لا اعتراض

شاب في مقتبل العمر كان مدرساً تزوج من فتاة أحلامه وكانت تعمل مدرسة أيضاً وأنجبا طفلاً فرحا به أشد الفرح ، ولكن سرعان ما أحسا بالعناء الشديد لصعوبة الجمع بين رعاية الطفل وبين عمل أمه ، وكان يمرض أحياناً فيضطر الأب أو الأم للتخلف عن العمل ، أو كانا يتركان الطفل في رعاية بعض الأقارب أو الأصدقاء ، وفكر الأب أن تتوقف الأم عن العمل ولكن ظروفهما الاقتصادية كانت سبباً لاستبعاد هذه الفكرة .

فوجئ الزوجان بأعراض الحمل تظهر على الزوجة وجن جنونهما فقد ضاقا بطفل فكيف باثنين ، وأسرعا لطبيب ليساعدهما على التخلص من الجنين ولكن الطبيب رفض أن يقوم بإسقاط الحمل ، وإزاء ضغطهما نصحهما بأن تجري الزوجة وتقوم ببعض الجهد الجسماني ليتم الإجهاض ، وقبل الزوجان كلام الطبيب وراحا يصعدان الهرم ويهبطان وركضا شوطاً بعيداً ثم اتجها عائدين إلى البيت ينتظران التخلص من الحمل ، وعند وصولهما إلى البيت كانت هناك مصيبة في انتظارهما ، فقد وجدا طفلهما قد فارق الحياة إثر سقوطه من فوق سلم كان يصعده في غفلة ممن يرعاه .

هنا كانت مفاجأة مريرة للزوجين ، وعندها سارعا للطبيب الذي كانا عنده منذ ساعات يطلبان منه التخلص من الحمل ولكن في هذه المرة يطلبان عونه ليوقف الإجهاض ، ومرة أخرى قال الطبيب : لا أستطيع وليس إلا الله تعالى

يستطيع عونكما ، وأخذ الزوجان يخلصان بالدعاء إلى الله عز وجل أن يرفق بهما ، والله سميع عليم والله غفور رحيم ، فاستجاب الله للدعاء ورعا الجنين الذي أصبح أملاً لهما وكان منذ ساعات شراً يحاولان التخلص منه[١] .

***

تلك نماذج واقعية تبين أن للكون مالكاً سبحانه وتعالى خلقه ويدبر أمره ويرعاه ، كما أنه يجب على المؤمن أن يرضى بقضاء الله وما قسمه له ويتقبله برضا وإيمان ولعل أمراً قد كتبه الله لك لا تبتغيه نفسك فيه خير لك ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وما هذه القصص التي ذكرناها إلا صور واضحة لتدخل الإنسان في أمور ليس له فيها شأن أو أمر ، بل الأمر كله لله عز وجل ، فلنسلم أمرنا لله ولنرض بقضاء الله فهو نعم المولى ونعم النصير .

قال الله تعالى :﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[٢] .

(١) مقارنة الأديان .

(٢) سورة البقرة :الآية ٢١٦ .

قتلت ولدي

ولد (س) في أسرة مفككة ، الأب لا هم له إلا كسب المال وزيادة ثروته المالية بأي وسيلة كانت ، والأم لا هم لها إلا الخروج والسفر والرحلات ، لذلك كان الوفاق بين الزوجين شبه مستحيل مما أدى إلى الطلاق . ومن قسوة الأم خرجت من البيت دون أن تلقي ولو نظرة عطف أو حنان على وليدها الصغير بل خرجت وكأنها مسجونة فتحت لها أبواب السجن ففرت هاربة تاركة وراءها أعز شيء على قلب الأم . . ولكن هل مثل هذه تسمى أماً؟ !

عاش (س) مع والده مرفهاً مدللاً ولكن دون عناية أو رعاية أو تربية صالحة . التربية عند هذا الأب فقط ماذا تريد وكم تريد؟ التربية عنده خذ . . خذ دون حساب ودون رقابة ، ونما وترعرع الولد على هذه التربية الخاطئة .

ولكي يظهر الوالد بمظهر الأب الغني الذي لا يبخل على ولده بشيء أدخل ولده مدرسة أجنبية ، ودرس (س) جميع المراحل التعليمية في هذه المدرسة ، ولكن ماذا تعلم من هذه المدرسة؟ لقد عرف شرب الخمر والمخدرات والعلاقات المشبوهة مع فتيات ساقطات وغاص في بؤرة الفساد إلى أذنيه ، ولكن أين الأب؟ الأب مشغول بتجارته وأعماله وأمور أخرى ، إنه يظن بتوفيره لولده المال والخدم والفيلا الفخمة وإدخاله أحسن المدارس الأجنبية يظن أنه قد أدى ما عليه من مسؤولية تجاه ولده ، ولكن أين الحب الأبوي أين الحنان؟ أين التوجيه والنصح والإرشاد؟

إن الولد لا يشعر بأي شيء من هذا ، لذلك لما فقد حنان الأم وعطف الأب أخذ يبحث عنه في أماكن أخرى فوجده ولكن أين وجده؟ لقد وجده عند معلمته الأجنبية فألقى بنفسه بين أحضانها فوهبته جسدها ، هذا الطفل الصغير الذي لم يتجاوز الخامسة عشرة الباحث عن الحب والحنان وجده عند هذه الساقطة وللأسف إنها معلمة ! !

فبئس المعلمة وبئس التعليم ، وعاش معها ولا أحد يسأل أو يحاسب أو يراقب ، وفي الإجازة الصيفية قررت المعلمة الرحيل إلى موطنها بعد انتهاء عقدها مع المدرسة التي تعمل فيها ، ولما علم (س) بذلك جن جنونه ، إنه كان يبحث عن قلب حان يحتويه وروح محبة وصدر دافئ يضمه إليه كي يبثه همومه فلم يجد هذا إلا عند هذه المعلمة الخبيثة التي استغلت حبه لها في إشباع رغباتها الحيوانية والمادية فلقد كان يغدق عليها من الأموال والهدايا الشيء الكثير فقد كان بالنسبة لها مصدراً مالياً كبيراً .

وسافرت المعلمة وأحس أنه يعيش في عالم خال من الحب والحنان ، أحس بفراغ قاتل يطوق حياته من كل جانب فقرر اللحاق بالمعلمة فليس هناك ما يمنعه أو من يمنعه ، أعطاه الأب ما يشاء من المال وسافر إليها .

عاش معها في بلدها في بيتها الريفي مع أسرتها التي لا تعترض على هذه العلاقة الشائنة المحرمة ، عاش معها وهي تغدق عليه من سحرها وجسدها فزاد حبه لها وهو ابن السابعة عشرة وهي في الثامنة والعشرين .

وبعد انقضاء الإجازة عاد (س) بجسد محطم تاركاً قلبه ومشاعره عندها .

وبعد تخرجه من الثانوية طلب منه والده أن يختار أي جامعة يريد أن يدرس

فيها؟ فاختار الولد جامعة في نفس البلد التي تسكن فيها المعلمة ، فوافق الأب دون تردد أو اعتراض ، وهكذا استمرت رحلة الضياع لهذا الشاب التائه المحطم ولكن من السبب؟(١)

إن كثيراً من الآباء والأمهات في هذه السنوات يحرصون على توفير جميع لوازم العيش لأبنائهم إلا أنهم ينسون أو يهملون أهم شيء ، يهملون أن يربوا أبناءهم التربية السليمة القائمة على الأخلاق الإسلامية الحميدة التي تكون لهم حصناً قوياً يعينهم على العيش في هذه الحياة دون أن ينحرفوا ، إن توفير الملبس والمأكل وغيرها من الكماليات ليس كل شيء بل أهم شيء هو الحب والدفء والحنان الأبوي الذي يلف الأسرة ويقوي أركانها ويشد من ترابطها وينمي علاقاتها .

وهناك بعض الآباء الذين يحرصون أن يتعلم أبناؤهم في مدارس أجنبية ، وهذا خطأ وقع فيه كثير من الناس ففي هذه المدارس أخلاق وعادات غريبة عن مجتمعنا ويحرمها ديننا الإسلامي فيكون الآباء بذلك قد وضعوا أبناءهم على طريق زلقة شائكة لا ينجو مما فيها إلا من تولاه الله برحمته .

فاحرصوا أيها الآباء على تربية أبنائكم التربية السليمة تفوزوا في الدنيا والآخرة ، فمثل ما يزرع الإنسان يحصد . وإنك لا تجني من الشوك العنب .

***

(١) جريدة الأنباء بتصرف .

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝١٤٠ ﴾(١) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول ﷺ قال : «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم» .

***

(١) سورة الأنعام : الآية ١٤٠ .

الحب القاتل

نشأ (أحمد) نشأة مدللة فلقد كان وحيداً لأب وأم أنجباه في سن متأخرة ، فرحا به فعاش بينهما مدللاً لا يرفضان له طلباً مهما كان ، وكان والده ميسور الحال فسخّر ماله في سبيل تنفيذ طلبات الابن فأدخله أفضل وأرقى المدارس التي تضم أبناء الطبقة الأرستقراطية والعائلات السياسية .

شبّ (أحمد) على حب المال وتكيف مع هذا الواقع الذي تربى عليه ، فليس في قاموس حياته شيء اسمه مستحيل فكل طلباته مجابه وكل أوامره منفذة .

اشترى له والده سيارة فخمة في سن مبكرة وأخذ يجول فيها في الطرقات متسكعاً مع شلة الأنس يقضون الليالي في سهرات وحفلات ماجنة والنهار في رحلات ونزهات ، وكانت نتيجة هذا الدلال والتراخي في تربية أحمد وتلبية جميع مطالبه الضياع وسلوك طريق الفساد ، وساعده على ذلك شلة الفساد من رفاق السوء الذين كانوا من رواد الملاهي الليلية وعشاق الميسر ، ومع هذا الضياع والانفلات الذي يعيشه أحمد إلا أن والده كان يغدق عليه من المال دون مراقبة أو محاسبة فالمهم عنده تلبية طلبات ابنه الوحيد .

واستمر أحمد في هذا الطريق المظلم وغاص حتى أذنيه في الوحل ولم يستيقظ والده من هذا السبات العميق إلا بعد أن بلغ أحمد أسوأ حال وانتشرت سمعته السيئة بين الناس ، وأخذوا يتناقلون عنه الأخبار السيئة وصار مثالاً لسوء الأخلاق . وعندما علم والده بالحالة التي بلغها ولده وضع خطة لتأديبه بالزجر

وانقطع عن إمداده بالمال ظناً منه أن هذه الطريقة هي التي تعيد ابنه إلى صوابه ولكن سبق السيف العذل ، فلقد نشأ أحمد على هذه الحياة الماجنة واستمرأها وأحبها وأعانه رفاق السوء ، وكان السبب الأول هو التدليل الزائد من قبل الأب والأم وحبهما المفرط وإمداده بالمال دون حساب حتى تاه في بيداء الضياع تتقاذفه شياطين الإنس والجن ، فلا فائدة من الأدب الآن .

وعندما قطع الأب المصروف عن أحمد وامتنع عن إمداده بأي مبلغ من المال تأديباً له كما ظن الأب ، ضاقت الأحوال بأحمد وبات يعاني عدم توفر المال وأخذ يفكر كيف يحصل على المال حتى يعود إلى سهراته الماجنة وحياته الفاسدة؟ فاتفق مع صديقه ودبرا عملية سرقة استهدفت منزل أقرب الناس إليه ، والده الذي أغدق عليه من المال دون حساب ، وكان أحمد يعرف أن والدته تحتفظ بمبلغ من المال في حقيبة موضوعة في غرفة نومها ، توجه أحمد مع صديقه يزفهما الشيطان إلى منزل والده واختار وقت خروج والديه من المنزل ودخل أحمد مع صديقه إلى غرفة النوم ثم فتحا الخزانة وأخرجا الحقيبة وتمكنا من فتحها واستولى أحمد على الأموال الموجودة في حقيبة أمه وكان مبلغاً كبيراً ، ثم خلع درج الخزانة وسرقا ما كان بداخله من مجوهرات وخرجا من المنزل وهربا إلى منطقة بعيدة واستأجرا فيها شقة ثم قصدا أحد الأماكن الفاسدة ولعبا الميسر وخسرا ما يقارب نصف المبلغ المسروق . وفي اليوم التالي استطاع رجال الشرطة القبض على أحمد وشريكه واعترف أحمد بجريمته وأعاد ما تبقى من المبلغ المسروق وصدر حكم القاضي عليهما بالأشغال الشاقة مدة ثلاثة سنوات(١) .

(١) جريدة الأنباء بتصرف .

وهذه هي نتيجة التدليل الزائد والتربية الخاطئة والحب المفرط دون حدود ، والإنفاق على الأولاد دون حساب أو مراقبة مما يُعوِّد الأولاد على الإسراف والتبذير وعدم تقدير الأمور . إن حب الوالد لولده خُلق مجبول عليه الناس وحبهم أمر طبيعي وفطري إلا أنه فاق الحد وتعدى الحدود فإنه يكون قاتلاً للولد وندامة وحسرة على الوالدين ، فيجب علينا تربية أبنائنا التربية الإسلامية الصحيحة التي تقوم على الأدب والحب في آن واحد ، أما التدليل وعدم الاكتراث فإن نتائج ذلك تكون وخيمة وهذا ما حدث لوالدي أحمد . . وكما تدين تدان .

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(١) .

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما حق ابني هذا؟ قال : «تُحسن اسمه وأدبه وضعه موضعاً حسناً»(٢) .

(١) سورة التغابن : الآية ١٥ .

(٢) رواه الطوسي

الحسرة

كان محباً للمال حباً جماً ويعمل للمال ويسعى للمال فأعمت المادة بصيرته فلم يعد يبصر إلا من خلال ثقوبها الضيقة ، وأصبح المال ميزانه الذي يزن به الأمور ، وكانت له ابنة بلغت مبلغ الزواج ، وأخذ الخُطاب على اختلاف مراتبهم يدقون أبوابه راغبين في الزواج من ابنته ، ولكنه كان يردهم بحجج واهية ظاهرها المصلحة وباطنها المادة ، مع أن من هؤلاء الخطاب أصحاب دين وخُلق ، ولكنه كان يريد أن يطرق الباب من يدفع أكثر ويريد صاحب المنصب الكبير والمركز العالي . ليس مهماً عنده الخلق والدين المهم المال . . والمال فقط ، ولكن هذا لم يأت ولم يطرق الباب فلينتظر فالبنت ما زالت صغيرة .

ومرت الأيام والأعوام وظل على أحلامه المادية ومر قطار العمر وترك ابنته في محطة العنوسة . ولم يعد يطرق الباب لا أمير ولا حقير ولا غني ولا فقير فالكل غادر بابه واتجه لغيره ممن لديهم بقية دين وخلق ممن يرفضون بيع بناتهم كالنعاج في سوق الأغنام .

وذبل شباب ابنته وانطفأت نضارتها وذوى عودها ، ومع مرور الأيام ضعف حالها وهزلت وأصيبت بداء عضال أضنى الأطباء شفاؤه ونقلت إلى المستشفى ومرت عليها الأيام والليالي وحالتها من سيئ إلى أسوأ ، وحانت لحظاتها الأخيرة وأبلغوا الأب بحالة ابنته فأفاق من عالمه المادي وأتى مسرعاً ليرى ابنته في ثوب

المرض بعد أن حرمها منذ زمن ثوب الزفاف ، نظر الأب إلى ابنته مشفقاً عليها فنظرت البنت المسكينة إلى أبيها بعينين قد اغرورقتا بالدمع ، وأخذت تتمتم وتحرك شفتيها . . دنا الأب منها ليسمع ما تريد البوح به في لحظاتها الأخيرة فوجدها تطلب منه أن يقول آمين ، فقال الأب : آمين .

ثم تمتمت مرة أخرى وطلبت منه أن يقول آمين . . فقال : آمين .

ثم فعلت ذلك مرة ثالثة وطلبت منه أن يقول آمين . . فقالها .

وبعد فترة صمت مشحونة بالأسى سألها الأب برفق عن الدعاء الذي طلبت منه أن يؤمّن عليه ، فانحدرت دموعها الأخيرة وأجابت بعد صمت واهن مليء بالأسى : لقد دعوت الله أن يحرمك الجنة كما حرمتني من الزواج .

وطوى القبر في باطنه مأساة دامية ، وبقي الأب الجشع الذي أعمى الطمع وحب المال بصيرته بقي يندب نفسه وابنته ويعض أصابع الندم ولات ساعة مندم(١) .

إن في هذه القصة المأساة تحذيراً للآباء والأمهات الذين يظلمون بناتهم وذلك طمعاً في زوج غني ويَدَعُون الأهم من ذلك وهو الدين والخلق ، فكم من فتاة مثل هذه الفتاة فاتها قطار الزواج بسبب طمع أبويها ثم بعد مرور الأعوام لا تجد من يطلب يدها فتعيش حياة تعيسة جافة تندب فيها حظها ، كما أن دعاء البنت أو الولد على والديه مهما صدر منهما فيه سوء أدب مع الوالدين ينبغي أن لا يصدر من أولاد مسلمين يعرفون حقوق الوالدين ويرعون واجباتهما .

(١) كشكول الأسرة .

قال رسـول الله ﷺ : «إذا جاءكم من ترضـون دينـه وخُلقـه فـأنكحـوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[1] .

***

(١) رواهالترمذي وأحمد .

العصيان

كان يعيش عيشة طيبة بين والديه اللذين كانا يحبانه ، وكان يعمل حداداً وكان عمله يدر عليه الكثير من المال فعاش في سعادة غامرة ، واستمرت حياته هكذا عمل وكسب وسعادة ، وكانت أيامه تمر عليه رتيبة شعر من خلالها أنه بحاجة إلى أن يتزوج وكان معجباً بفتاة كانت بنظره جميلة فتعلق بها ، وحادث أمه بموضوع زواجه من هذه الفتاة ، ولكن أمه رفضت أن يتزوج من هذه الفتاة وكذلك كان والده رأيه من رأي الأم ، ولما سألهما عن السبب قالا له : هذه البنت لا تناسبك ولا تناسبنا ، لكنه لم يسمع نصيحة أمه بل أخذ يلح عليها وأصر على رأيه ومع شدة إلحاحه وعناده خضعت الأم لرغبته وقالت له : اسمع يا بُني كلمة أخيرة أقولها لك : إن جمال الشكل لم يكن يوماً مقياساً للسعادة فاحذر يا بُني مما أنت قادم عليه . ولكنه كان أصم أعمى فلم يسمع ما قالته له أمه ، فعقله كان هائماً لاهثاً وراء الجمال الزائف الذي كانت تتمتع به تلك الفتاة .

وتم له ما أراد وتزوج فتاة أحلامه وفاز بمن كان قلبه يهفو إليها ، ولكن بالمقابل كسب غضب أمه وأبيه اللذين عارضا هذا الزواج .

أقام مع زوجته في منزل والده ، وما هي إلا فترة قصيرة وإذ بالخلافات تدب بين الأم والزوجة مما جعل الأب يتخذ قراراً بإخراج الابن وزوجته من منزله بعد أن أعطاه مهلة لترتيب أموره .

وبدأت رحلة البحث عن سكن يؤويه هو وزوجته التي كانت تفتعل المشاكل مع الأم المسكينة الطيبة والتي كانت تحرض زوجها على والده ، وكان الزوج يقف بصف زوجته دائماً ، وبعد بحث طويل وجد شقة مناسبة وأثثها بأثاث باهظ الثمن اختارته الزوجة كي تفاخر به صديقاتها ، وعاش الابن وزوجته حياتهما بعيداً عن أهله وقاطع الزوج أمه وأباه ، ولكن حياته مع زوجته كانت بها منعطفات وذلك من كثرة مشاكل الزوجة وإرهاق زوجها بطلباتها التافهة التي لا تنتهي ولعدم اهتمامها بشؤون زوجها مما جعل الزوج يعيش حياة كئيبة تعيسة ، وزاد الطين بلّة أن قل الطلب على عمل الحدادة وضعف مدخوله وبدأ يمر بضائقة مالية واحتار ماذا يفعل مع هذه الزوجة التي لا تنتهي طلباتها؟

ولما رأت الزوجة حال زوجها أشارت عليه أن يذهب إلى والده كي يأخذ منه مبلغاً من المال ، ولكن الزوج أبى فقد منعه كبرياؤه وغروره .

وخرج يبحث عن وظيفة حكومية لكن الأبواب كلها أغلقت في وجهه ، ولم يجد سبيلاً لتوفير المال سوى أن يبيع أثاث المنزل ، والزوجة لا تبالي وأخذت تنفق دون حساب حتى لم يتبقَّ في جيب الزوج فلس واحد بسبب هذه الزوجة اللعوب التي أخذ أهل الحي يتحدثون عن سلوكها المشين . ونشب خلاف حادّ بين الزوجين وأخذت الزوجة تعيّر زوجها بجلوسه في البيت مثل النساء وعدم تمكنه من توفير حاجيات المنزل ، وهكذا عاش هذا الزوج البائس أياماً مليئة بالآلام ، وفكر في أن يطلق زوجته ولكن خوفه من تشمت أهله به منعه . وداس على كرامته وسمعته إرضاء لغروره وكبريائه ، وأخذ يفكر كيف يوفر المال اللازم له ولزوجته؟ وقاده تفكيره إلى إصدار شيكات بدون رصيد ، وأصدر الشيك الأول واستطاع أن ينجح في عملية النصب لأنهم لم يستدلوا على عنوانه مما

جعله يستمر في هذا الطريق ، وزين له الشيطان سوء عمله وهونه عليه فأصدر شيكاً آخر ، ولكن لكل شيء نهاية ، وما هي إلا أيام قلائل وإذ برجال الشرطة يطرقون الباب ويقتادونه إلى حيث المصير المظلم ، وكانت نهايته العيش خلف القضبان أسير الذل والعار يذرف الدمع الغزير بين جدران السجن أملاً في عفو الله عز وجل ورضا والديه(١) .

هذه نهاية طبيعية لكل من يعصي والديه ويخالف رغبتهما .

قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٢) .

قال رسول الله ﷺ : «رضى الرب في رضى الوالدين ، وسخط الرب في سخط الوالدين»(٣) .

(١) جريدة الرأي العام بتصرف .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٣) رواه الحاكم

جزاءً وفاقاً

يعيش مع أمه في بيت واحد ليس معهما إلا خادمة ترعى شؤون أمه وتخدمها ، إلا أنه كان قاسي الطبع سيئ المعاملة حتى مع أمه التي فقدت البصر وأصيبت بالشلل ، فبدل أن يشفق عليها ويعاملها بعطف وحنان كان يسمعها بذيء الكلام الذي يؤلمها ويجرح نفسيتها .

كان هذا الولد العاق يذهب مع أمه إلى (البنك) كي تستلم راتبها الشهري فكان يجلسها على الكرسي المتحرك ويدفعها ، وأثناء ذهابه بها إلى (البنك) كان يتذمر ويتكلم بكلام جارح فكانت تسمعه وهو يقول لها : «أنت عمية ومشلولة وأنا ابتليت فيك» وكانت تتألم ولكنها لا تتفوه بكلمة .

وتبكي من كلامه ، وهو يزيد من كلامه المسموم فيقول : «والله لو ما هذا المعاش كنت رميتك في دار العجزة» يقول هذا الكلام وهو ينفخ بحسرة وألم ، والأم المسكينة يتقطع قلبها ألماً عند سماعها كلام ولدها العاق ، ثم يعود بأمه إلى البيت ويأخذ راتبها الذي قبضته من (البنك) ويتركها مع الخادمة ثم يذهب يلهو ويلعب مع أصدقائه في الديوانيات والسفر والرحلات لا يهتم بأمه ولا يسأل عنها ولا يبالي بما يجري لها ، بل إنه كان يمنع أي أحد من أقرباء أمه أن يزورها أو يسأل عنها وإذا رأى أحداً منهم طرده وأسمعه الكلام الفاحش وهدده وتوعده ، وهكذا كانت هذه الأم البائسة تعاني الويل من هذا الولد العاق ، ولكنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً .

وفي يوم من الأيام سافر الولد مع مجموعة من أصدقائه إلى إحدى البلدان المجاورة وكان سفرهم بالسيارة ، وبعد أن قضوا إجازتهم عادوا إلى البلاد وهم في طريق العودة انقلبت بهم السيارة وكانت إصاباتهم طفيفة إلا الولد العاق فقد أدخل غرفة الإنعاش وظل في المستشفى حوالي شهر ثم خرج من المستشفى على كرسي متحرك مشلولاً لا يستطيع الحراك ، وتكررت صورة ذهابه إلى (البنك) ولكن بدل أن يذهب مع أمه وهو يدفعها وهي على الكرسي المتحرك لاستلام راتبها كان هو يجلس على الكرسي وتدفعه الخادمة كي يستلم راتبه[1] .

***

إن الأم محبة وحنان لا يشعر بهذه النعمة إلا من فقدها ، ولكن بعض الأبناء قد قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قساوة والله عزوجل عزيز ذو انتقام ، وعقوبة عقوق الوالدين معجلة في الدنيا .

وها نحن بعد أن قرأنا هذه القصة قد عرفنا عاقبة العقوق فمن كانت أمه حية فليحمد الله وليقبل رأسها ويديها وقدميها فالله عز وجل يُكرم المرء بدعاء والديه ومن فقد والديه فليدع لهما ويستغفر لهما لعل الله يجمعهم في مستقر رحمته إنه سميع عليم .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2] .

سُئل رسول الله ﷺ عن الوالدين فقال ﷺ للسائل : «هما جنتك ونارك»[3]

(١) الأنباء . (٢) سورة الإسراء : الآيتان ٢٣ ، ٢٤ . (٣) رواه ابن ماجه .

الفصل الرابع

خطوات الشيطان

١ ـ النصاب .

٢ ـ الطمع .

٣ ـ من عمل الشيطان .

٤ ـ لظى الشهوة .

٥ ـ رحلة الفساد .

٦ ـ الهاوية .

النصاب

يحب الدنيا ويحب التمتع بملذاتها يصرف كثيراً على مُتع الدنيا مُسرف مبذر مع أن راتبه لا يساعده ، حيث إنه يعمل في إحدى الوزارات براتب ضئيل . ولو أنه رضي بما قسمه الله لما حدث ما حدث ولكنه الغرور بالدنيا .

كان راتب الوظيفة لا يساعده في الصرف على متعة وملذاته ، كما أن والده لم يقصر معه فكان يمده بين الحين والحين بمبلغ من المال إلا أن النقود ما إن يلمسها حتى تتبخر وكأنها لم تكن ؛ وذلك من شدة تبذيره وإسرافه .

كان أمام منزلهم الذي يقطنه بقالة يعمل بها رجل من إحدى الدول العربية وكوّن معه علاقة جيدة ، وكان صاحب البقالة يشبه صاحبه في الطباع فهو مثله يحب المال حباً جماً فوافق شَنٌّ طَبَقَة .

وفي يوم جلس الاثنان يفكران بطريقة يحصلان بها على المال الكثير بأقل جهد وأسرع وقت ، وكان صاحب البقالة محترفاً في عمليات النصب والاحتيال فاتفق مع صاحبه على حيلة ماكرة يحصلان بها على المال وأخذ يشرح لصاحبه تفاصيل الخطة فقال : نستأجر سيارة فخمة وهاتفاً نقالاً وتلبس أنت ملابس غالية الثمن تدل على شخصية مهمة وأنا ألبس ملابس تدل على أني سائق للسيارة كي نظهر أمام الناس بمظهر الرجل الغني والشخصية المهمة صاحب النفوذ ، فالناس أصبحت تنخدع بالمظاهر . واتفقا على تنفيذ الخطة واختارا يوم الخميس لتنفيذ الخطة .

وقفت السيارة الفخمة أمام أحد محلات الساعات الثمينة وأجاد صاحب البقالة دوره بإتقان واغتر صاحب محل الساعات بهما وأخذا بضاعة بقيمة (١٢٠) ألف دينار ووقع له التاجر المزيف على (شيك) وطبعاً كان (الشيك) بدون رصيد وخرجا من عنده وذهبا إلى محل المجوهرات وأخذا منه بضاعة بقيمة (٥٠) ألف دينار ، ثم عادا إلى بيت صاحب البقالة واتفقا على أن يخفيا هذه البضاعة مدة بسيطة ثم يتصرفا فيها . وترك الرجل صاحبه ومعه البضاعة المسروقة وعاد هو إلى بيته وهو يحلم أحلاماً وردية ويفكر كيف سيصرف النقود بعد بيع البضاعة؟ ويتمتع كيفما شاء؟ ثم أسلم جفنيه للنوم ، وفي الصباح استيقظ على صوت طرقات على الباب فأسرع لفتحه وإذ برجال المباحث أمامه وجهاً لوجه فقبضوا عليه واعترف بجريمته ولكنه لم يعترف على صاحب البقالة ولم يدلهم على مكان المسروقات ، وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ، وفي السجن جاءته رسالة من شريكه في الجريمة يخبره فيها أنه هو الذي أرشد رجال المباحث عليه ودلهم على مكانه وأن النقود معه وأنه هاجر إلى كندا ! !

ولما قرأ رسالة صديقه ضاق صدره وأحس بالقهر واعتصر الألم قلبه وضاقت عليه الدنيا بما رحبت وتمنى أن يكون شريكه أمامه حتى يطبق على رقبته وينتقم منه .

وفي يوم جاء من يزوره في السجن ولما رأى حالته المزرية سأله عن سبب حزنه فأخبره عن شريكه وكيف غدر به ، فقال له الزائر : أبشرك بأن شريكك قد قبض عليه في كندا وهو الآن في السجن أيضاً في قضية نصب واحتيال وصدر فيه حكم بمصادرة جميع أمواله لأنها مشكوك فيها[١] .

(١) جريدة الرأي العام .

هذه القصة الواقعية عبرة وعظة لكل من تسول له نفسه بسلوك طريق الحرام والكسب غير المشروع من أجل التمتع والثراء السريع ، فإنه مهما كان الحصول على المال عن طريق الحرام سهلاً وسريعاً ودون عناء فإن ذهاب هذا المال أيضاً سريع والعقاب شديد ، وليكن فيما قرأناه وما حدث لهذين النصابين عظة وعبرة فالسعيد من اعتبر بغيره .

قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده في النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»(١) .

(١) رواه أحمد في مسنده .

الطمع

كان طالباً في إحدى جامعات بلده وكان يحلم بأن يكون تاجراً يملك المال الكثير ، لهذا تخصص في مادة الرياضيات والمحاسبة ، وبعد تخرجه سافر إلى إحدى الدول الخليجية للحصول على فرصة عمل تحقق له أهدافه التجارية ، وعمل مدرساً لمادة الرياضيات ، ونجح في عمله وجمع مبلغاً من المال استطاع من خلاله الزواج وتكوين أسرة وعاش حياة سعيدة هانئة ، وكان كلما جمع مبلغاً من المال أرسله إلى أهله عن طريق أحد أصدقائه . وكان له رصيد في بلده فكان يأخذ منه العملة الخليجية ويعطيه (شيكاً) يصرفه في بلده ، فكان صديقه يربح فرق العملة بهذه التحويلات وكلما زادت التحويلات زاد ربحه ، ولما رأى المدرس أن صديقه يربح بهذه الطريقة فكر بأن يجرب هذا العمل خاصة وأن الربح فيه مضمون من غير عناء ولا تعب ، ودخل في هذا المجال وربح مالاً كثيراً ، ويوماً بعد يوم يزداد ربحه ويزداد حبه للمال وطمعه ، وفكر في أن يفتح شركة لتوظيف الأموال ، وكانت عبارة عن شركة وهمية ، وبدأ يستقبل أموال المودعين وكان يشترط عليهم ألا يطالبوه بأموالهم قبل عام من تاريخ الإيداع على أن يكون الربح (٥٠٪) حتى وثق الناس به ، فعرض عليهم وديعة الأموال لمدة ثلاث سنوات ويصبح الربح (١٠٠٪) وفكر بعد ذلك أن يترك عمله وينتقل بهذه الأموال إلى أوروبا لاستثمارها هناك . وقد كان له ما أراد ، وبعد عامين اشترى سوقاً مركزياً من الأرباح وكذلك اشترى بعض المحلات ، وقبل أن ينتهي العام

الثالث تم القبض عليه من قبل السلطات لمخالفته القوانين فقام بتوكيل محام ليدافع عنه وأعطى أخاه توكيلاً عاماً كي يتصرف في البيع والشراء وأن يكتب جميع ممتلكاته باسمه كي لا يطالبه المودعون بأموالهم ، وانتشرت القضية في الصحافة ، وبعد ذلك أعلن إفلاسه وحكم عليه بالسجن عشر سنوات ، وهو في السجن أخذ يراسل أخاه ويطلب منه أن يرعىٰ أسرته ، وقد فعل ونجحت ابنته الوحيدة في الثانوية العامة ودخلت كلية الطب ، وفي أثناء دراستها في الكلية أصيبت بمرض في صمام القلب فحزن عليها حزناً شديداً خاصة وأنه بعيد عنها يقضي أيامه بين جدران السجن مما يزيد من ألمه ، وكلما مرت الأيام عليه في السجن ازدادت حالته سوءاً وحياته كآبة وأصيب بمرض الضغط وفقد إحدى عينيه بسبب هذا المرض ، ولكن الخنجر الذي انغرس في قلبه وما جعل مصابه عظيماً هو أن أخاه قرر أن يصرف له راتباً شهرياً ما يعادل (٥٠) ديناراً كويتياً كمصروفات له ولأسرته وهو الذي أودع ما يقرب من (مليون دينار كويتي) باسم أخيه ، وذهبت كل الأموال التي جمعها بالحرام في جيب أخيه وعاش حياته سجيناً بائساً محروماً[١] .

***

وهذه نتيجة الطمع والكسب الحرام فالمال الحرام يأتي سريعاً ويذهب سريعاً ويكون وبالاً على صاحبه في الدنيا والآخرة فها هو الطماع يعاني الأمرَّين في حياته في سجن مظلم ، وحياة تعيسة بائسة وأسرة محرومة ، وماذا سيكون موقفه غداً عندما يقابل الذين ظلمهم وسلب أموالهم من دون وجه حق سوى أنهم وثقوا به مما أدى إلى موت بعضهم قهراً على ضياع أمواله ، فالويل للظالمين في الدنيا والآخرة .

***

قال الله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝ ﴾ (١) .

قال رسول الله ﷺ: «المكر والخديعة والخيانة في النار»(٢) .

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ٥٥، ٥٦ .

من عمل الشيطان

بدري وسعيد صديقان حميمان علاقتهما ببعضهما قوية ، لا يفترقان إلا حين الذهاب إلى المنزل ، وكانا يعملان في صيد السمك ، وكانا في الليل يسهران في الملاهي وشرب الخمر ولعب الميسر ، وفي ليلة من الليالي اجتمع الصديقان مع مجموعة من الساهرين في أحد المنازل للعب «القمار» وطالت السهرة حتى الفجر وكسب بدري مبالغ كبيرة في هذه الليلة وخرج مع صديقه سعيد ، وكان بدري مسروراً لأنه كسب جميع المبالغ التي قامروا عليها ، وهما يسيران في الطريق طلب سعيد من صديقه بدري أن يعطيه قليلاً مما عنده من النقود إلا أن بدري رفض فأخذ سعيد يرجوه ويتوسل إليه قائلاً له : كسبت مالاً كثيراً وأنا صديقك محتاج إلى مبلغ قليل .

فقال بدري : لقد كسبت المال بجهدي ومعرفتي باللعب فكيف أعطيك منه شيئاً؟ ! لن أعطيك ولا قرش .

وأخذ سعيد يلح على صديقه بدري فهو مفلس محتاج إلى بعض القروش بعد أن خسر جميع ماله في لعب (القمار) . ولكن بدري لم يستمع لصديقه ونهره بل وضربه ، فقام سعيد والتقط من الأرض عصا غليظة وضرب بها صديقه بدري على رأسه فانهار وسقط على الأرض ، وكان الصديقان قريبين من البحر وكان هناك قارب على الشاطئ فحمل سعيد صديقه بدري بالقارب وسار إلى عرض البحر وأغرقه بعد أن استولى على أمواله كلها ، ثم عاد إلى منزله .

وبعد أيام عُثر على جثة بدري طافية ، وبعد التحريات والبحث قُبض على صديقه سعيد وحكم عليه مدة خمسة وعشرين عاماً بالسجن مع الأشغال الشاقة(١) .

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝ ﴾(٢) .

(٢) رواه أبو داود .

(١) جريدة الأنباء .

لظى الشهوة

شاب مستقيم السلوك متزوج من امرأة طيبة ، عاش مع زوجته وطفلته حياة سعيدة يعمل في إحدى الوزارات وكان عمله فاحصاً للذهب في المطار ، ومن هُنا بدأت معاناته . ولنتابع قصته وهو يرويها لنا قائلاً : بما أنّ عملي فاحص للذهب كانت تأتيني الفتنة تمشي على أقدامها ، نساء من كل صنف ، وكان بعضهن مع شديد الأسف يعرضن عليّ أنفسهن مقابل أن أسمح لما يحملنه من ذهب بالمرور دون فحص ، لكني كنت قوياً متماسكاً ، ولكن مع مرور الأيام شيئاً فشيئاً وجدت نفسي وقد تراخيت فلم أعد أنا ذلك الرجل الذي يرفض المغريات مهما كانت ، لكنني كنت أخجل من زملائي فأنا صاحب المبادئ والقيم والأخلاق كيف لي أن أنحدر إلى هذا المستوى الوضيع ، وفعلاً تماسكت ولكن زملائي الذين ارتضوا طريق السوء وساروا في دروب الشيطان حاولوا إغوائي حيناً بعد حين وقد نجحوا في ذلك ، لاحظت زوجتي التغير الذي طرأ عليّ فلم أعد أحرص على صلاة الفجر ولا على صلاة الجماعة وكانت تحاول توجيهي ونصحي ، وكنت أوبخها بشدة .

أهملت زوجتي إلى درجة أن أصبحت أشعرها أني لست بحاجة لها ، ولكنها كانت حريصة على الوقوف إلى جانبي وعدم تركي في مثل هذه الظروف وذلك لأنها كانت امرأة صالحة تخشى الله وتراقبه .

مرت الأيام هكذا كنت أعيش حياة اللهو والمجون ، نساء وفتيات

وصداقات ، ودخلت في عالم شرب الخمور واعتدت على ارتياد شقق الفساد وسوء الأخلاق . وطريق الغواية يجر إلى المهالك فوقعت في وحل المخدرات وأخذت أغرق في هذا الوحل ، وكانت زوجتي الصابرة هي الوحيدة التي تحاول أن تنتشلني من هذا الوحل الآسن ، إلا أنني لم أكن أستجيب لها ، وكلما مر يوم ازدادت حاجتي للمخدر ، فبعت ذهب زوجتي وأثاث المنزل وسيارتي وكل ما تقع عليه عيني بعت كل شيء من أجل الحصول على المخدرات .

ومرة كنت جالساً مع أحد أصدقاء السوء فقال لي : إن ثمن المخدرات هنا مرتفع فلماذا لا نسافر إلى إحدى الدول حتى نأتي بها لأنها هناك متوفرة ورخيصة ، وسافرت معه واشترينا الكمية التي نريدها ، وفي طريق العودة كان الشيطان يزين لنا أعمالنا ويعدنا بأننا سنصبح أغنياء فقد كنا على ثقة من أننا سنمر عبر حاجز الجمارك لأنهم زملائي ويعرفونني ويستحيل أن يشكوا بي وحتى إن شكوا فإن من المستحيل أن يفتشوا أمتعتي مجاملة لي لأنني زميل لهم .

وعند وصولنا إلى حاجز الجمارك فتش الموظف المسؤول أمتعتي ليفاجأ بوجود المخدرات مدسوسة بين أغراضي الشخصية . وتم القبض علي من قبل السلطات المتخصصة وصدر ضدي حكم المحكمة النهائي بالحبس لمدة سبع سنوات أقضيها خلف أسوار السجن لأتعذب بلظى شهوتي التي قادتني إلى هذا الطريق المظلم ، ولما علم والدي بالأمر بعد صدور الحكم عليّ أصيب بالشلل وامتنع عن الطعام إلى أن مات ، وترملت والدتي وذلك كله بسبب بحثي عن الشهوات المحرمة(١) .

---

(٢) سورة المائدة : الآيتان ٩٠ ، ٩١ .

قال الله تعالى : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨﴾[١] .

هذه نهاية كل إنسان لا يعرف حق ربه عليه ولم يشعر بواجبه تجاه وطنه وعائلته وزوجته وأبنائه . وها هو هذا الضال العاصي الذي لم يتوان عن ارتكاب الفواحش ها هو الآن خلف القضبان يبكي ألماً وحسرة ويعض أصابع الندم على ما فرط في جنب الله وعلى ما آلت إليه حال أمه وزوجته وأبنائه . إنه لا شك يحتقر نفسه الأمارة بالسوء التي قادته إلى هذا الطريق الشائك فهل من معتبر؟ !

إذا المرءُ أعطى نفسه كل ما اشتهت
ولم ينهها تاقت إلى كل باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذي
دعته إليه من حلاوة عاجل

(١) جريدة الرأي العام بتصرف .

رحلة الفساد

تاجر كبير ووكيل رئيس لعدد من الشركات منّ الله عليه بثروة مالية كبيرة فكثرت أمواله واتسعت تجارته، إلا أنه لم يشكر ربه الذي رزقه وأنعم عليه بل انغمس في الرذيلة وأشبع شهواته واستلذ الحرام، فماذا كانت النهاية؟

سافر (ش) إلى لبنان ونزل في أحد الفنادق الفخمة، وفي أحد الأيام تعرف إلى شخص اسمه (رياض) كان يجلس في صالة الفندق ومعه فتاة صغيرة السن جميلة، وأخذوا يتحدثون، ثم دعا (ش) ضيفيه إلى قضاء الليل في أحد الملاهي الليلية وقضوا هناك ساعات شيطانية فعلوا فيها ما لا يفعله الشيطان نفسه وبعد نهاية السهرة أصر (رياض) على أن يصطحب (ش) إلى منزله ومعهما الفتاة لقضاء ليلة حمراء معها، ولم يمانع (ش) بل هذا ما يريده ويتمناه، وقضى ليلته مع هذه الفاسقة التي عرفت أنه تاجر كبير ووعدته بأن تمتعه كل ليلة بفتاة مثلها أو أجمل منها .

وفي اليوم التالي جاءت الفتاة ومعها فتاة أخرى قدمتها لهذا الماجن وخرجوا جميعاً إلى السوق، وتوقفت إحدى الفتاتين أمام واجهة إحدى محلات المجوهرات تنظر إلى عقود الذهب والماس وهي مندهشة، فلما رآها (ش) ورأى انبهارها أصر أن يدخلوا جميعاً لتختار كل منهما ما تشاء من المجوهرات واشترى لهما ما تريدان ودفع مبلغ مليون ليرة، وذلك لحاجة في نفسه، وخرجوا من محل المجوهرات وأصرت إحدى الفتاتين أن يقضوا الليلة في فيلتها الفخمة،

فاستجاب (ش) دون تردد وذهبوا إلى حيث أشارت عليهما الفتاة ، ولما دخل (ش) صالون الفيلا وجد عدداً من الأشخاص يلعبون القمار وأراد أن يظهر لهم مهارته في اللعب وانخرط معهم في اللعب بالعملة والدولار ، و(الشيك المفتوح) وخسر على طاولة الميسر ما مجموعة (خمس ملايين ليرة) . وفي نهاية السهرة اختلى (ش) بإحدى الفتاتين في غرفة من غرف الفيلا ، وفجأة داهمت مجموعة من الرجال المسلحين الفيلا وصعدوا إلى الطابق العلوي حيث يوجد (ش) والفتاة وأجبروا (ش) على كتابة شيك (بالدولار) ما قيمته (خمس ملايين ليرة) فاستجاب لهم ونفذ أمرهم وظل مرتهناً محتجزاً في الفيلا لحين صرف المبلغ من (البنك) ثم بعد ذلك أفرج عنه ، ومن ثم علم (ش) أن كل من التقى بهم ما هم إلا عصابة منتشرة بين الفنادق والملاهي وأنه كان صيداً ثميناً لهذه العصابة وخسر أمواله وسمعته(١) .

إن طريق الحرام قد يراه الإنسان سهلاً وممتعاً إلا أنه قصير ومتعته زائلة ونهايته وخيمة ، فالشيطان يغري الإنسان لسلوك هذا الطريق ويرغبه فيه حتى إذا انغمس في بؤره الفاسدة تخلى عنه وهو يضحك ملء شدقيه على غباء هذا الإنسان الأحمق ، فالحذر كل الحذر من إغراءات الشيطان ، والحذر من السير في طريق الحرام فنهاية هذا الطريق وبال وخزي في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾(٢) .

قال رسول الله ﷺ : «ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة رجل في رحم لا يحل له»(٣) .

---

(١) جريدة الأنباء بتصرف .

(٢) سورة النساء : الآية ٣٨ .

(١) سورة فاطر : الآية ٨ .

الهاوية

عمل (ص) في البورصة وكان الحظ حليفه فتمكن من تكوين ثروة مالية أفسحت أمامه طريق الثراء فعاش حياة رغدة مرهفة باذخة يصرف أمواله ويبذرها يميناً وشمالاً دون حساب ، ولكن الأيام لابد لها أن تدور وفي دورتها ترفع وتضع ، فتقلبت الأحوال وحدثت معها تقلبات مفاجئة وحادة في أسعار البورصة أسفرت عن إلحاق خسائر فادحة بـ (ص) فاضطر في ظل التراجع المستمر في الأسواق المالية والضربات المتلاحقة إلى بيع أرضه وأملاكه في موطنه ولجأ إلى التزوير وانتحال شخصية الغير وقام بعمليات نصب واحتيال وأصبح موضع ملاحقة أجبرته على مغادرة بلده والتنقل بين دول الخليج ، وأخيراً حط رحاله في لبنان ونزل في أحد الفنادق . وخلال إقامته كان يرتاد أماكن الميسر ويقضي معظم أوقاته يلعب على طاولات القمار يبدد عليها أموالاً طائلة دون حساب حتى انتهى به الأمر إلى خسارة كل أمواله ، ولكنه لم يرتدع ولم ينتبه من غفلته بل ازداد انغماساً في القمار مما اضطره إلى بيع كل ما يملك من ساعات وغيرها وخسر هذا المبلغ أيضاً كالمعتاد بألعاب الميسر وأصبح معدماً لا يملك قوت يومه ، وفي صبيحة أحد الأيام عثر على جثته ملقاة على جانب الطريق وبجانبه مسدس ، وكان نهاية الطريق الذي سلكه . . الانتحار[1] .

***

(٣) أخرجه أحمد كما في تفسير ابن كثير .

لقد منَّ الله عز وجل على هذا الرجل بالمال وأكرمه به اختباراً له إلا أنه بدل أن يوجه هذا المال الوجهة الصحيحة فينفقه فيما يرضي الله صار هذا المال نقمة عليه فطغى ، وأسرف وبذَّر وسلَّم زمام نفسه للشيطان فقاده إلى طريق الهاوية فزور ونصب واحتال وسرق ثم أنفق كل هذا على موائد الفسق والفجور فضاعت أمواله على طاولات الميسر وضاعت حياته بطلق ناري دخل في ناحية الصدغ الأيمن وخرج من ناحية الصدغ الأيسر فجلب لنفسه الخزي والعار في الدنيا والله عز وجل أعلم بحاله في الآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ : «من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمَّه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ ـ أي يضرب بها نفسه ـ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»(٢) .

***

(١) جريدة الأنباء بتصرف .

(١) سورة الحجر : الآية ٣ .

المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقي .

٣ ـ المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم ، صبحي عبدالرؤوف عصر .

٤ ـ منهاج الصالحين ، عز الدين بليق .

٥ ـ مقارنة الأديان ، الدكتور أحمد شلبي .

٦ ـ من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، إبراهيم الحازمي .

٧ ـ نهاية الظالمين ، إبراهيم الحازمي .

٨ ـ كشكول الأسرة ، مازن الفريح .

٩ ـ قاموس الطلاب ، دكتور فايز يوسف .

١٠ ـ جريدة الأنباء الكويتية .

١١ ـ جريدة القبس الكويتية .

١٢ ـ جريدة الرأي العام الكويتية .

١٣ ـ البداية والنهاية ، لابن كثير .

١٤ ـ جولة في رياض العلماء ، الدكتور عمر الأشقر .

١٥ ـ من غريب ما سألوني ، الشيخ عبدالله النوري .

١٦ ـ الجزاء من جنس العمل ، الدكتور سيد العفاني .

١٧ ـ غرائب الأخبار ، خالد سيد علي .

١٨ ـ صفحات مشرقة في حياة السابقين ، نذير محمد مكتبي .

١٩ ـ سير أعلام النبلاء ، الذهبي .

٢٠ ـ وفيات الأعيان ، ابن خلكان .

٢١ ـ زاد المتقين ، إبراهيم بن عبدالله الحازمي .

٢٢ ـ نصب الموائد ، عبدالله التليدي .

٢٣ ـ عدالة السماء ، محمود شيت خطاب .

٢٤ ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، للتنوخي .

٢٥ ـ الفرج بعد الشدة ، للتنوخي .

٢٦ ـ مواقف ذات عبر ، الدكتور عمر سليمان الأسقر .

٢٧ ـ جريدة «الأهرام» المصرية .

٢٨ ـ مختصر صحيح البخاري ، للإمام الزبيدي .

٢٩ ـ مختصر صحيح مسلم ، للإمام الحافظ المنذري .

٣٠ ـ اللؤلؤ والمرجان ، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي .

٣١ ـ الصارم المسلول ، شيخ الإسلام ابن تيمية .

٣٢ ـ موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا ـ ٥ أجزاء .

٣٣ ـ سمير المؤنين ، محمد الحجار .

٣٤ ـ الفرج بعد الشدة ، إبراهيم الحازمي .

٣٥ ـ من أخبار المتكسين ، صالح بن مقبل العصيمي .

٣٦ ـ جريدة الوطن الكويتية .

٣٩ ـ المعجم المفهرس لمعاني القرآن ، محمد بسام رشدي الزين .

٣٨ ـ موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا ، ٥ ـ أجزاء .

٣٩ ـ خطب الجمعة والعيدين ، عبدالقادر عطاة .

٤٠ ـ حوار مع إبليس ، محمد عبده المغاوري .

٤١ ـ تدابير القدر ، اللواء محمود شيت الخطاب .

٤٢ ـ للشباب فقط ، عادل بن محمد العبدالعالي .

٤٣ ـ الظلم وأثره السيء ، محمد بن عبدالله الحكمي .

٤٤ ـ المستطرف ، للأبتسيهي .

٤٥ ـ صفحات مشرقة في تاريخنا ، د . محمد عبداللطيف الفرفور .

٤٦ ـ للحقيقة فقط ، منذر الأسعد .

٤٧ ـ مقارنة الأديان ، الدكتور أحمد شلبي .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة	٧
الجزء الأول	٩
صور مشرقة لرجال من بلدي	١١
١ ـ المحسن المجهول	١٢
٢ ـ عظماء من بلدي	١٥
٣ ـ منصور الأبعي وأمانة البدوي	١٧
٤ ـ تفقد ذوي القربى	٢١
٥ ـ إكرام الجار	٢٣
٦ ـ فضل الصدقة على ذوي القربى	٢٥
٧ ـ أهل المعروف	٢٧
٨ ـ التكافل في المحن	٣١
٩ ـ الصدقة بعشر أمثالها	٣٤
الجزء الثاني	٣٧
الفصل الأول : الإحسان	٣٩
أولاً : ثمرة حفظ القرآن الكريم	٤٠
ثانياً : ثمرة الصدقة	٤١

ثالثاً : صدقة تورث الجنة ٤٢
رابعاً : المسلم في ظل صدقته ٤٣
خامساً : ثمرة الصدق ٤٦
الفصل الثاني : الغدر ٤٨
أولاً : الذنب ٤٩
ثانياً : الإنسان الظلوم ٥٢
ثالثاً : من قتل يُقتل ولو بعد حين ٥٥
رابعاً : رسالة الموت ٥٧
خامساً : سَقَيتَ فَسُقيت ٥٩
الفصل الثالث : الربا ٦٠
أولاً : يمحق الله الربا ٦١
ثانياً : حرب من الله ٦٣
ثالثاً : عاقبة البخل ٦٦
الفصل الرابع : عقوق الوالدين ٦٨
أولاً : ذنبان معجلة عقوبتهما ٦٩
ثانياً : ولك مثلها ٧١
ثالثاً : خسر الدنيا والآخرة ٧٢
رابعاً : دعوة أبو منازل ٧٣
خامساً : جزاء النضيرة بنت الساطرون ٧٥

الفصل الخامس : الظلم ٧٧
أولاً : الضوء الأخير ٧٨
ثانياً : صرخة ضمير ٨٣
ثالثاً : الحسرة ٨٤
رابعاً : إنها دعوة مظلوم ٨٦
الفصل السادس : جزاء الذنوب ٨٨
أولاً : العاقل من لم يغتر بإقبال الدنيا ٨٩
ثانياً : نسي القرآن بسبب تنصرُّه ٩١
ثالثاً : لله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم ٩٢
رابعاً : جزاء من يسخر من الشعائر الإسلامية ٩٤

الجزء الثالث ٩٧
الفصل الأول : العقوق ٩٩
أولاً : جزاء عقوق الأم ١٠٠
ثانياً : أعق الناس ١٠٣
ثالثاً : الشاعر العاقّ ١٠٤
الفصل الثاني : الظلم ١٠٥
أولاً : جزاء وفاقاً ١٠٦
ثانياً : وتضحكون وتضحك الأقدار ١٠٧
ثالثاً : إن ربك لبالمرصاد ١٠٩

رابعاً : عاقبة الافتراء والكذب على رسول الله ﷺ ١١١
الفصل الثالث : الزنى ١١٢
أولاً : على الباغي تدور الدوائر ١١٣
ثانياً : سوء الخاتمة ١١٨
ثالثاً : صدقوني إنني أموت ١٢٠
رابعاً : الشهوة ١٢٢
الفصل الرابع : جزاء الذنوب ١٢٤
أولاً : جهاز الدش (الستلايت) ١٢٥
ثانياً : المغرور ١٢٧
ثالثاً : العقيد ١٢٩
الفصل الخامس : بر الوالدين ١٣٢
أولاً : جزاء بر الوالدين ١٣٣
ثانياً : أبر العرب ١٣٥
ثالثاً : أويس القرني رضي الله عنه ١٣٦
الفصل السادس : الصدقة ١٣٨
أولاً : صاحب الرغيف ١٣٩
ثانياً : أعطى درهماً فوهب الله له مائة وعشرين ألفاً ١٤١
ثالثاً : صنائع المعروف تقي مصارع السوء ١٤٤
رابعاً : ثمرة الصدقة ١٤٦

الفصل السابع : العفة ١٤٩
أولاً : خالد المسكي ١٥٠
ثانياً : ثمرة التعفف ١٥٢
ثالثاً : خاف الله فعوَّضه خيراً ١٥٥

الجزء الرابع ١٥٧

الفصل الأول : الإحسان ١٥٩
أولاً : جزاء الإحسان ١٦٠
ثانياً : التنافس في الجود ١٦٣
ثالثاً : كوب ماء بمليون جنيه ! ١٦٥
رابعاً : حكاية حصة الطيبة ١٦٨
خامساً : الورع ١٧١
الفصل الثاني : ثمرة الصدقة ١٧٥
أولاً : الإيثار ١٧٦
ثانياً : لقمة بلقمة ١٧٨
ثالثاً : شربة ماء باردة ١٨٠
رابعاً : الإنفاق في سبيل الله ١٨٤
الفصل الثالث : العقوق ١٨٦
أولاً : قبل فوات الأوان ١٨٧
ثانياً : القصاص العادل ١٩١

ثالثاً : الولد العاق ١٩٦
الفصل الرابع : الخطايا ٢٠٠
أولاً : الصفعة ٢٠١
ثانياً : ماذا أقول له؟ ! ٢٠٤
ثالثاً : الفخ ٢٠٧
رابعاً : السفاهة ٢١٠
خامساً : ضياع العمر ٢١٢
سادساً : خطوات الشيطان ٢١٥
سابعاً : صرخات الندم ٢١٨
الفصل الخامس : جزاء الذنوب ٢٢١
أولاً : عاقبة التبرج والسفور ٢٢٢
ثانياً : الصفقة الخاسرة ٢٢٤
ثالثاً : النفوس الضعيفة ٢٢٦
رابعاً : الإنذار ٢٢٩
خامساً : نهاية الكبر ٢٣٣
سادساً : الغشاش ٢٣٧
الفصل السادس : الظلم ٢٤٠
أولاً : الملاح القاتل ٢٤١
ثانياً : جزاء سب الصحابة ٢٤٦
ثالثاً : العقاب ٢٥٠

رابعاً : الغدر ٢٥٢
خامساً : الآية الباهرة ٢٥٥

الجزء الخامس ٢٥٧
الفصل الأول : البر والإحسان ٢٥٩
أولاً : فضل القرآن الكريم ٢٦٠
ثانياً : التأمين الإلهي ٢٦٤
ثالثاً : من كان مع الله كان الله معه ٢٦٧
رابعاً : التقوى ٢٧٠
خامساً : الرحمة ٢٧٢
سادساً : ثمرة الصدقة ٢٧٥
الفصل الثاني : كما تدين تدان ٢٧٨
أولاً : جبروت امرأة ٢٧٩
ثانياً : الجزاء من جنس العمل ٢٨١
ثالثاً : البخل ٢٨٤
رابعاً : عاقبة الظلم ٢٨٦
خامساً : ودارت الأيام ٢٨٨
سادساً : الغيرة القاتلة ٢٩١
سابعاً : الجهل ٢٩٥

الفصل الثالث : بين الآباء والأبناء ٢٩٩
أولاً : الأبناء نعمة ٣٠٠
ثانياً : ذكر وأنثى ٣٠١
ثالثاً : اللهم لا اعتراض ٣٠٣
رابعاً : قتلت ولدي ٣٠٥
خامساً : الحب القاتل ٣٠٩
سادساً : الحسرة ٣١٢
سابعاً : العصيان ٣١٥
ثامناً : جزاءً وفاقاً ٣١٨
الفصل الرابع : خطوات الشيطان ٣٢٠
أولاً : النصاب ٣٢١
ثانياً : الطمع ٣٢٤
ثالثاً : من عمل الشيطان ٣٢٧
رابعاً : لظى الشهوة ٣٢٩
خامساً : رحلة الفساد ٣٣٢
سادساً : الهاوية ٣٣٤
المراجع ٣٣٧
الفهرس العام ٣٤٠